تمام الطالب/عبدالله بن حسين الشبري الشريف
بإجراء التعديلات المطلوبة

د. فواز بن علي الدهاس المشرف
د. عبدالله سعيد الغامدي
أ.د. أحمد السيد دراج
١٤١٠/٩/٥ هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



# الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

(١٠١-١٠٥هـ)



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي



إعداد الطالب
عبدالله بن حسين الشبري الشريف

إشراف
الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد دراج

الجزء الثاني

١٤١٠هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
عليه نتوكل وبه نستعين

# الفصل الخامس

## السّياسَة الإدارية والمالية للخليفة يزيد بن عبد الملك

المبحث الأول : سِيَاسة يزيد بن عبد الملك الإدارية .

المبحث الثاني : سيَاسة يزيد بن عبد الملك المالية .

## المبحث الأول

# سياسة يزيد بن عبد الملك الادارية

### ماقيل عن سياسته الادارية ، واهم معالمها :

تولى يزيد بن عبد الملك امر المسلمين بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فسار بسيرته برهة من الزمن ، ثم ترك نهجه ، واتخذ نهجا آخرا تابع فيه كثيرا من سياسات اسلافه من بنى امية الادارية والمالية . فلم يات بدعا من الامر ، لكنه خالف عمر بن عبد العزيز فى بعض اعماله ، وخاصة فى المجال المالى (١) .

لقد قدمنا بهذه المقولة عن سياسة الخليفة يزيد حتى لايندفع دارس التاريخ مع بعض ماقيل عن يزيد من انه اتى على اصلاحات عمر ، فهدم كل مابناه ، وجر الدولة الى هاوية الانهيار . ولوضوح الصورة لاباس ان نعرض نماذج من اقوال بعض المؤرخين فيه ، ثم نعرض لعموم سياسته داحضين بالحجة ماورد فى هذه المقولات من مغالاة .

يقول ابن الاثير : "عمد يزيد الى كل ماصنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ، ولم يخف شناعة عاجلة ولا اثما عاجلا" (٢) . ويقول اليعقوبى : "وعزل يزيد عمال عمر بن عبد العزيز جميعا" (٣) .

---

(١) عن مجمل سياسة عمر بن عبد العزيز الادارية والمالية ، انظر قبل : التمهيد ، ص ٦٧-٦٩ .
وسنعرض لبعض تفاصيلها فى ثنايا هذا الفصل وخصوصا ماوافق يزيد عمر فيه ، او خالفه .

(٢) الكامل ، ١٦٦/٤ – ووافقه ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٣٩/١ .

(٣) تاريخ اليعقوبى ، ٣١٠/٢ .

ومع ان عماد الدين خليل [١] ، ادرك مافى مقولة ابن الاثير من المبالغة ، واراد ان يكون واقعيا ، فقال : سنجد ان يزيد لم يعمد الى رد كل ماصنعه عمر ، مما لم يوافق هواه ، وانما الى بعضه فحسب . وبرر مقولة ابن الاثير وغيره ممن حذا حذوه ، بان قولهم جاء نتيجة خيبة الامل التى اصيبوا بها من جراء ماآلت اليه التجربة الكبيرة التى نفذها عمر ابن عبد العزيز من انتكاس . واوضح ان الذى قاد الى الانتكاس حقا ، لم يكن هدم الخليفة يزيد لبعض جوانب سياسة عمر ، بل فقدان الرؤية وضياع الاستراتيجية . والحقيقة ان فى قوله بعض الحق ، لكنه كغيره تابع قول اليعقوبى من ان يزيد عزل جميع عمال عمر [٢] . وهذه المقولات اتخذها بعض المؤرخين دليلا على عودة الدولة الى سابق عهدها ، وان يزيد حاد عن طريق عمر واصلاحاته . مستهدفا بذلك احكام قبضته على نواحى دولته وتنفيذ سياساته المتشددة [٣] .

ولكننا نجد بين الباحثين من ادرك مافى هذه المقولات من مبالغة [٤] ، فعمل على انصاف يزيد ، يقول حسين عطوان عن موقف يزيد من عمّال عمر : "وابقى يزيد عمال عمر بن

---

(١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٠ .

(٢) عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٠٦ (وقد اعتبر هذا الاجراء خسارة كبرى منيت بها الادارة الاموية ) .

(٣) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٧ ـ محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، ص ١١٤ ـ عبد الله الخطيب : الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢١ (ذكر ان سبب عزلهم ، عدم تعاونهم فى تطبيق سياسته التى اراد من ورائها نسف كل المكاسب التى حصل عليها الموالى والضعفاء من الناس) ـ فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٥٨ .

(٤) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٦-١٧ .

عبد العزيز فى وظائفهم ، وامرهم ان يسيروا بسيرته ، ولم
يفصل احدا منهم فى السنة الاولى من خلافته ولافى مطلع السنة
ثم يتابع حوادثها بما يتخذ على بعضه فيقول :
الثانية منها. "وحتى اذا ثار عليه يزيد بن المهلب بالبصرة
وحبس واليها عدى بن ارطاة الفزارى ، وقتله ، وهدد الخلافة
الاموية بعد انضمام القبائل اليمنية والربعية العراقية
اليه ، ومناداته بالرجوع الى الكتاب والسنة ، حينئذ سير
يزيد بن عبد الملك اليه اخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن
اخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فى جيش اهل الشام
من قضاعة وكلب ، وآزرتهما فى النصرة القبائل المضرية من
قيس وتميم ، فقتلا يزيد بن المهلب بالعقر من ارض بابل ،
وتعقب جندهما وقادتهما فلول المهالبة بفارس وابادوها ،
وكشفت ثورة ابن المهلب عن خطر القبائل اليمنية العراقية
على الخلافة الاموية ، فاعاد يزيد بن عبد الملك النظر فى
سياسته الداخلية ، واحدث تغييرات شاملة فى الوظائف
الادارية ، فاقصى القبائل اليمنية وجفاها ،واصطنع القبائل
القيسية وانحاز اليها ، اذ عهد بولاية العراق الى اخيه
مسلمة ، فعين على خراسان سعيد بن عبد العزيز الاموى ، ولم
يلبث ان عزل اخاه مسلمة عن العراق وخراسان، لانكسار خراج
العراق فى ايامه وولى عليها عمر بن هبيرة ، فصرف سعيد بن
عبد العزيز الاموى ، عن خراسان واستعمل عليها سعيد بن عمرو
الحرشى" .

ثم يشير الى تقدير الخليفة لدور يمنية الشام وولائها
فاحتفظ لها بمنزلة مرموقة ، واختار منها كثير من موظفيه
فى دمشق ، وعماله على الامصار عدا المشرق.(١) كما ناقش بعض

---

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٨-١٩ .

ماورد حول سياسته المالية من نصوص .(١)

ومع مافي قوله من الصحة ، فانه ليس دقيقا ، فقد عزل يزيد بعض عمال عمر منذ توليه ، وقبل حدوث حركة ابن المهلب لكنه لم يعزل الجميع كما قال ، فقد ابقى يزيد بعض عمال عمر وعزل آخرين ، كما عاد فعين بعض من كان قد عمل في خلافة عمر ، وسنبين ذلك عند مناقشتنا لهذه المقولات في الصفحات التالية ، وذكرنا لعماله على الاقاليم ولاية وعزلا .

ويهمنا في هذه الدراسة الوصول الى حقيقة سياسته في ضوء هذه المقولات وماتوفر لدينا من نصوص عن سياسته الادارية وفي ضوء ذلك يتبين مدى صحة كل مقولة او خطئها .

ولنبدا بما اشارت اليه كثير من المصادر الى عزم الخليفة يزيد التاسي بسلفه عمر ، فسار على نهجه مدة من الزمن ، لكن قرناء السوء والجهلاء لم يتركوه، فحسنوا له الظلم ، حتى عدل عن نهج عمر .(٢)

والحقيقة ان يزيد لم يعدل الى امر لم يكن ، بل عاد الى نهج اسلافه من بني امية قبل عمر ، ويتضح هذا من خلال اوامره بالعودة الى تطبيق بعض سياسات واجراءات اسلافه من بني امية قبل عمر ، وخصوصا المالية منها ،(٣) ويؤيد ذلك مانص عليه ابن قتيبة من عودة يزيد الى سياسة اخيه الوليد بن

---

(١) انظر ذلك بعد : ص٥٤٦ ومابعدها .

(٢) الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٢١٣/٤ ـ الذهبي : دول الاسلام ٥٥/١ ـ اليافعي : مرآة ، ٢٥٣/١ ـ ابن كثير : البداية ط١ ، ٢٦٠/٩ ـ القرماني : اخبار الدول وآثار الاول ، طبعة بغداد ، ص ١٤٠ ـ وانظر ماوردناه من اقوال المؤرخين في هذا الصدد ، خلال دراستنا لسيرة يزيد بالفصل الاول .

(٣) سيتضح ذلك من خلال حديثنا عن سياسة يزيد الادارية والمالية في ثنايا هذا الفصل .

عبد الملك ومنهجه .(١)

والصحيح ان يزيد راح ضحية قول ابن الاثير برده كل ماصنعه عمر ، وماأورده اليعقوبي من عزله جميع عمال عمر ، كما ان مجيئه عقب خلافة عمر جعله متواريا في ظلالها لايرى ، وان رؤى كان في صورة الخليفة اللاهي المنغمس في الملذات ، قد شغله عشق جاريتيه حبابة وسلامة عن مباشرة امور الدولة وشئون الحكم ، وذلك كما صورته كثير من المصادر التي تناولت سيرته الذاتية ، في شيء من المبالغة والتهويل .(٢)

وبتفحص الروايات عن شخصية يزيد وسياسته ، يتبين ان الاختلاف بين شخصيتي يزيد وسلفه عمر هو الذي كان وراء الاختلاف بين سياسة الرجلين ، فقد غلب على عمر الوازع الديني ، فاتسمت سياساته بالروح الاسلامية ، مما دفعه الى تطبيق السياسة الاسلامية على نظم الحكم ، كما فاقه عمر من حيث القدرة والكفاءة الادارية ، والحضور الدائم ، والانصراف الى العمل وتحمل المسئولية .(٣)

والحق ان يزيد لم يدع الأمور تجرى بلاضابط أو لغيره ، فلم يكن بالبعيد عن ادارة دفة الحكم ، فسنجده وراء الكثير من الأحداث ، يعالجها ويوجهها ويخطط لها . لكنه لم يعط كل جهده ووقته واهتمامه لشئون دولته كما كان يفعل سلفه عمر . ومع ذلك فقد حرص على بقاء دولته مهابة مصونة في الداخل

---

(١) انظر قول ابن قتيبة بذلك قبل : الفصل الأول ، ص ٥٤٦-٥٤٨ .

(٢) عما قيل حول سيرة يزيد الذاتية ، واثرها على تصوير شخصيته ، وماتوصلنا اليه حول ذلك ، (انظر : الفصل الاول) .

(٣) من أجل ذلك انظر ماكتبه عماد الدين خليل عن تميز شخصية عمر الادارية في بحثه : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٣-٣٠٤ .

والخارج ، ونجح في ذلك باخماد كل الحركات الداخلية التي حدثت في زمنه ، وصد القوى الخارجية الطامعة في حدود دولته وان كان قد اتخذ في سبيل تحقيق ذلك سياسات تخالف نهج سلفه عمر .(١)

وحقيقة سياسته انه لم يحدث تغييرا شاملا منظما لسياسة سلفه عمر . وذلك لأنه ابقى على بعض ماصنعه عمر ، واعاد بعض ماكان عليه الحكم قبل عمر ، واتخذ مالم يفعله غيره . اى ان خروجه عن نهج عمر كان نسبيا . وهذا ماذهب اليه ابن تغرى بردى ،(٢) الذى قال : "غير ان لما ولى الخلافة بعد عمر ابن عبد العزيز غير غالب ماكان قرره عمر" . وقال : ثم عزل جماعة من العمال . فلم يقل غير كل ماقرره عمر ، أو عزل جميع عماله . ويبدو جليا أن الخليفة يزيد لم يكن يملك الرؤية البعيدة ، ولم يعمل وفق استراتيجية مرسومة ،(٣) كما يظهر انه لم يحط بظروف دولته بعد حركة الفتوح الكبرى التى تمت فى عهد اسلافه ، واهمية استيعاب الدولة للمتغيرات التى تعيشها ، من جراء دخول أجناس ومذاهب مختلفة متباينة ، كان على الدولة صهرها فى جسم الأمة ونشر الدين الاسلامى بينها ، وهذا مالمسه عمر وسعى اليه ، الا أن الخليفة يزيد لم يدرك ذلك ، فعاد الى سياسة من سبق عمر من خلفاء بنى امية . وذلك عن طريق العودة الى تنشيط حركة الفتوح ، وضرب المعارضة بكل قوة ، واهمال الاصلاح الداخلى ، وعدم الاهتمام

---

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٤ .
(٢) النجوم ، ٢٣٨/١-٢٣٩ .
(٣) ذهب لمثل هذا القول عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٢٩٠ .

بمهر القوى الجديدة فى أمة الاسلام ، وتطبيق احكام الاسلام السامية عليهم .

وللحق ان سياسة يزيد لم تكن وراء الوهن الذى اصاب دولة بنى امية ، لكنه بعدم ادراكه ماتحتاجه الدولة فى تلك المرحلة من اصلاح وماتعيشه من متغيرات ، استمر فى سياسة اسلافه قبل عمر ،وادار ظهره للكثير مما صنعه عمر ، فاستمر الوهن فى عهده ، وجرت بعض سياساته الدولة نحو هاوية الانهيار ، وان كان هذا الوهن والتدهور لم يظهر جليا فى زمنه ، بل استطاع الابقاء على حدود دولته مصونة ، وكيانها موحدا مهابا ، فظل ينخر فى جسم الدولة متواريا ، حتى ظهر ذلك متاخرا فيما بعد .

ولنات الآن على الهيكل الادارى واهم معالم سياسته ، ولنبدا بشخص الخليفة ، فنجده حريصا على دولته ، وكثيرا ماانجده على راس الاحداث ، يباشرها بنفسه ، مخططا وموجها ومتابعا . كمتابعته حركة ابن المهلب ، وتوجيه الجيوش للقضاء عليها ومتابعة احداثها واصدار التوجيهات نحوها . وكذلك مباشرة بعض الحركات الخارجية ، والسعى الى اخمادها سلما ، أو توجيه القوى اليها والقضاء عليها حربا . وكذلك مباشرته حركة شيريم اليهودى (١) . كما يتبين ذلك من مواجهة الاخطار على الحدود وتوجيه القيادات اليها وذلك كما حدث من توجيهه الحرشى للقضاء على تمرد الصغد وصد الترك فيما وراء النهر ، وتوجيه الجراح الحكمى فى جيش الى الخزر فى

---

(١) من اجل دوره فى هذه الحركات ، انظر ماكتبناه عنها قبل : الفصل الثانى .

ارمينية[١] . ونراه وراء بعض الاوامر والقرارات الادارية والمالية ، ومعاملة الموالى واهل الذمة[٢] . ومع ذلك فهو لم ينذر نفسه وكل وقته وجهده لدولته وتحمل مسئولياتها ،اذ نجد بين ثنايا المصادر بعض الروايات الدالة على احتجابه عن الناس ومباشرة امور الامة ، والانغماس فى الوان من اللهو والعبث[٣] .

ولانغمط الخليفة يزيد حقه كادارى ، فقد تميزت شخصيته بالحزم والمرونة والواقعية ، وهذا ماتضح من مواقفه تجاه الأحداث ، فقد تجلى حزمه فى تعامله مع بعض الحركات الداخلية ، ومواجهة الخطر الخارجى ، كجديته وحزمه فى اخماد حركة ابن المهلب ومواجهة خطر الترك والصغد فيما وراء النهر ، والخزر فى ارمينية . اما المرونة واللين فنلحظها فى تعامله مع حركة عقفان الحرورى ، عندما لجأ للطريق السلمى فى اخمادها ، فكان موفقا ، وكذلك ملاينته لأهل الكوفة ابان حركة ابن المهلب حتى يضمن لزومهم الحياد وعدم انضمامهم لخصمه[٤] .

اما واقعيته فلعلها تتجلى فى اقرار تصرف البربر عندما قتلوا اميرهم يزيد بن ابى مسلم وولوا عليهم غيره[٥] . فجنب الدولة كثيرا من المشاكل ، ووفر عليها كثيرا من الجهد والمال . وينطبق على ذلك عزله عبد الرحمن بن الضحاك

---

(١) من اجل ذلك انظر ماكتبناه عن دوره فى الفتوح وتوجيه القوى الى الحدود : الفصل الرابع .
(٢) ستجد هذه الأوامر والقرارات بين ثنايا حديثنا فى هذا الفصل .
(٣) انظر تلك الاقوال فى ثنايا حديثنا عن سيرته بالفصل الاول .
(٤) انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول والثانى ، والفصل الرابع ، المبحث الاول والثانى .
(٥) من اجل ذلك انظر بعد : ص ٥١٦ .

عامله على المدينة ومكة ، بعد ان آذى الأنصار واغضب العلويين . فتدارك بهذه الواقعية الامر قبل فوات الأوان ، مما ينبىء عن رغبة جادة فى تصحيح الخطا ، واطفاء النار قبل اشتعالها (١) .

لكن بعض المؤرخين المحدثين (٢) يشيرون الى ان الخليفة يزيد بن عبد الملك تميزت سياسته باللجوء الى الشدة والعنف خصوصا مع اهالى الاقاليم المفتوحة حديثا ، ومن ذلك سياسته التعسفية مع البربر ، ويقولون انه لم يقر سياسة عمر التسامحية ، وانه كان يرى ان سياسة الترهيب اجدى على الدولة ، واعتبروا استعماله ليزيد بن ابى مسلم دليلا يوضح مرامى الخليفة يزيد . ونحن لاننكر تشدد يزيد فى الناحية المالية ، وهذا ماسيتبين من دراستنا لسياسته المالية . لكنه كادارى لم يلجا للعنف والترهيب ، وقد اوردنا آنفا امثلة على مرونته وواقعيته ، بل وتسامحه مع العراقيين بعد تصفية حركة ابن مهلب ، ومع البربر بعد مقتل عامله يزيد بن ابى مسلم . وهذا يدل على مبالغة هؤلاء المؤرخين ، الذين فيما يبدو ان كراهيتهم لسياسة الحجاج ، وكون ابن ابى مسلم من رجاله ، وقد اراد السير على نهجه فى افريقية ، جعلهم

---

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٨-٢٩٩ . ومن اجل اسباب عزل ابن الضحاك ، وموقف الخليفة ، انظر بعد : ص ٤٥٤-٤٥٥ .

(٢) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٥٨ – فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨ – السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/ ٢٩٣-٢٩٤ – حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، لم تطبع ، مقدمة لقسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ١٨ .





يتهمون الخليفة يزيد بالتعسف لاستعماله رجلا يمثل سياسة الحجاج التعسفية . وهو فى الحقيقة قد انكر ماعتزمه ابن ابى مسلم ، ولم يحاسب اهل افريقية على قتله ، بل ان ابن ابى مسلم فى حقيقة الامر لم ينفذ ماعتزمه من سياسات .(١)

وكان الخليفة يزيد محاربا للفساد الادارى اذا ماظهر له ، فسنجده يعزل اخاه مسلمة بن عبد الملك عن امارة المشرق ، لعدم رفعه الخراج كما قالت بذلك بعض المصادر .(٢) كما عزل الوليد بن هشام الأموى عامله على قنسرين عندما تبين نفاقه . وكان هذا عاملا لعمر بن عبد العزيز ، احب ان يرائى الخليفة عمر ، فكتب اليه بزيادة رزقه عن نفقته وطلب انقاص الفائض . فادرك عمر مراميه ، وامر بانقاص ما اشار اليه ، وكتب الى ولى عهده يزيد يخبره بذلك ويقسم عليه ان ساله الوليد شيئا من ذلك بعد وفاته ان لايعطيه . وما ان توفى الخليفة عمر حتى صدق حدسه ، فقد كتب الوليد الى الخليفة يزيد يدعى ان عمر نقصه رزقه وظلمه ، فغضب يزيد ، وامر بعزله وتغريمه كل ماأجرى عليه من رواتب وارزاق منذ ولايته ، ولم يلى له عملا بعد ذلك حتى وفاته .(٣) وينطبق على ذلك ايضا عزله عبد الرحمن بن الضحاك عامله على المدينة عندما اراد استغلال سلطاته فى اغراضه الشخصية وذلك عندما

---

(١) سنناقش سياسة ابن ابى مسلم مع البربر وموقف الخليفة فى الصفحات القادمة .

(٢) مجهول : العيون ، ٧٥/٣ ـ عبد الله الخطيب : الحكم الأموى فى خراسان ، ص ١٢٣-١٢٤ (واضاف : أن مسلمة انهمك فى استصلاح الأراضى فى العراق وضمها الى املاكه الواسعة ) ، ومثله قال ناجى حسن : القبائل ، ص ١٥٩ .

(٣) عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى ، ص ١٧٥ .

اراد ان يرغم فاطمة بنت الحسين بالتزوج منه [١].

لكن عماد الدين خليل [٢]، يتهم الخليفة يزيد بان اقالته رجاله وتعيينهم لم يتم وفق برنامج عمل واضح وخطة ثابتة، لعدم منحهم شيئا ذي بال، كما ان اختياره لهم لم يكن على اساس القدرة والكفاءة، وانما لعوامل غير موضوعية، وبخاصة الانتماء القبلي.

ويبدو انه يرمز هنا لما ذهب اليه كثير من المؤرخين وهو تعصب يزيد للقيسية [٣]. لكن هذا القول فيه كثير من عدم الدقة، فبمجرد النظر في قوائم عماله وتراجمهم يتضح انه اعتمد على اليمنية في كثير من اعماله وولايات الدولة. وفي ذلك رد شاف على مثل هذه المقولات. هذا وسنشير لاحقا الى كفاءة رجاله وان الكثير منهم من اهل الثقة.

ونحن لاننفي حدوث بعض مظاهر الفساد الادارى في زمنه [٤]، بل انه من المفترض هنا الاشارة الى ان الخليفة يزيد كان

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٢/٧-١٤ ـ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢-٣١٣ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٨٨/٤ -ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ ـ الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ .

(٢) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٤ .

(٣) انظر ماكتب عن ميله الى النزعة القيسية فيما كتبه : عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥ ـ ناجى حسن : القبائل ، ص ٢٠٠-٢٠١ ـ عواد الاعظمى مسلمة ، ص ١٤٩-١٥٠ ـ حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٤٢-١٤٣ ـ فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ١٦٠-٢٦١ ـ ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ١٠٠-١٠٢ ـ محمد شعبان : صدر الاسلام والدولة الاموية ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٤ .

(٤) انظر ماكتبناه فى الصفحة السابقة عن اسباب عزل مسلمة وانظر ماسنكتبه عن سياسة عماله فى الولايات فى الصفحات التالية ، لترى بعض صور ذلك الفساد . وانظر/ عماد الدين خليل : نفس المرجع ، ص ٣٠٤ .

قليل الاهتمام بمراقبة عماله وتوجيههم ، فقد افتقرت المصادر الى اى اشارة لمثل هذا الاهتمام[1] .

وقبل ان نخرج من الحديث عن شخصية يزيد الادارية ، نشير الى تغير البطانة المحيطة بخليفة المسلمين ومجالس الحكم ، فيتضح ان الخليفة يزيد اعاد بعض مظاهر الخلافة وابهة السلطان[2] ، كما وردت الاشارات الى ميله للهو ، وسماع الغناء والمغنين ، بل وانصرافه الى ذلك عن شئون الحكم . وقد ناقشنا مدى صحة هذا القول خلال حديثنا عن سيرة الخليفة يزيد[3] . ومع ذلك نجد ابن خلكان يشير الى ان الخليفة يزيد كان يجلس للمظالم ، فتعرض عليه مظالم الناس وحاجاتهم[4] .

ويشير اليعقوبي[5] ، الى غلبة رجل يدعى سعيد بن خالد بن عمرو الاموى على الخليفة يزيد[6] . وهذا القول لليعقوبي لانجد له مثيلا في المصادر الاخرى ، ولاتؤيده الاحداث . وبالنظر فى ترجمة الرجل ، يتبين انه من المحدثين الثقات . وهذه الرواية ان صحت ، فانها حجة ليزيد لاحجة عليه ، تدل على تقريبه اهل الصلاح والاستعانة بهم . مع تاكيدنا ان دلائل الاحداث لم تشر الى نفوذ لهذا الرجل وتسلطه على شخص

---

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣١٠ .
(٢) ترد الاشارات بين ثنايا الاخبار على تلقى الاخبار ، او اخذ المشورة من رجاله ، واصدار الأوامر ، وتوجيه الجيوش ، والاستماع الى الشعراء في مجالسه .
(٣) انظر ماورد في ذلك قبل : الفصل الاول .
(٤) وفيات ، ٤٧٢/٣-٤٧٣ .
(٥) تاريخ اليعقوبي ، ٣١٤/٢ – عماد الدين خليل : نفس المرجع والصفحة (نقلا عن اليعقوبي ، ٥٨/٣) ، لكنه اورد اسمه يزيد بن سعيد ابن خالد . وبالرجوع الى اليعقوبي ذكره سعيدا بن خالد كما اثبتناه فى المتن .
(٦) سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموى ، محدث ثقة ، كان قد سكن دمشق . (ابن حجر : تهذيب ، ١٩/٤) .

الخليفة . كما تشير بعض المصادر الى غلبة حبابة جارية يزيد عليه ، وتدخلها فى استعمال الولاة وعزلهم (١) .

ويذكر ان الخليفة يزيد لم يتنزه عن استغلال سلطانه وحقوق المسلمين فى اغراضه الخاصة ، من ذلك بطشة بخالد بن المطرف من آل عثمان بن عفان عندما الزم الخليفة مهرا باهظا لاخته التى تقدم الخليفة للزواج منها (٢) .

ومن ذلك امره عامله على مكة أن يحمل رجلا من آل ابى لهب على دواب البريد وان يعطيه الف دينار نفقة ، ويبعث به الى الشام من اجل ان يسمع منه شعرا يحسن اداءه (٣) . ويزيد فى هذا نقيض عمر فى تنزهه عن حقوق المسلمين (٤) .

اما سياسة يزيد فى ادارة الولايات ، فقد اتبع النهج الأموى فى اطلاق يد العامل وجعل ولايته عامة (٥) . بل انه عاد الى ضم الولايات الى بعض ، فجمع العراقين لمسلمة بن عبد الملك ثم لعمر بن هبيرة وفوض لهما امر المشرق كله (٦) ، كما

---

(١) اليعقوبى : مشاكلة الناس لزمانهم ، ص ٢٠ ـ ابن قتيبة المعارف ، ط٤ ، ص ٤١٨ ـ الاصفهانى : الاغانى ، ١٥/١٢٧-١٢٨ . وانظر ماأوردناه خلال الحديث عن سيرة يزيد فى الفصل الاول من القول بذلك .

(٢) البلاذرى : انساب ، ٥/١١١ .

(٣) المسعودى : مروج ، ٣/٢٠٨-٢٠٩ .

(٤) يذكر أن عمر بن عبد العزيز باع عسلا وجعل ثمنه فى بيت المال ، عندما علم ان عامله الذى ارسله اليه قد حمله على دواب البريد ، كما انب عامله وهدده بعدم استعماله ان عاد الى مثل ذلك . (انظر : ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٨٨) .

(٥) محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، ص ٩٥-٩٦ .

(٦) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٤-٦٠٥،٦١٧ ـ أبن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ ـ ابن الاثير : الكامل ،٤/١٧٧ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٩/٢٤٨ . وانظر ماسنكتبه عن ذلك بالتفصيل فى الصفحات التالية .

جمع لعبد الواحد النصرى المدينة[1] ومكة والطائف[2] . واعاد الاندلس تابعة الى ولاية افريقية[3] .

الا انه لم يطبق السياسة الاموية فى الفصل بين السلطة الادارية والمالية ، الا فى مصر ، والمدينة . فقد اعاد اسامة بن زيد على خراج مصر[4] . اما بقية الاقاليم ، فقد جمع لولاتها السلطات الادارية والمالية ، فلم نعثر على نص يدل على ذلك بل اننا نجد نصوصا تدل على استعمال الامراء ، والقضاة ، وعمال الخراج والصدقات والدواوين بشكل عام ، ونوابهم على المناطق التابعة لهم ، من قبلهم[5] . فاصحت

---

(١) عبد الواحد بن عبد الله بن كعب النصرى الدمشقى ، تابعى ، من رواة الحديث الثقات . ولى المدينة ومكة والطائف (سنة ١٠٤هـ) فكان محمود الامارة ، لايقطع امرا الا استشار فيه القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ، وذهب مذاهب الخير ، لم يقدم عليهم وال احب اليهم منه، وكان عفيفا ، صالحا . وقد كانت ولايته من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فبقى الى ان عزله هشام (سنة ١٠٦هـ) . (ابن حجر : تهذيب ، ٣٨٧/٦-٣٨٨ — أبو زرعة : تاريخ أبى زرعة ، ١٩/١ — الزركلى : الاعلام ، ١٧٦/٤) ويرد نسبه فى المصادر : "البصرى" ، و"النضرى" ، و"القسرى" ، والاصح ما اثبتناه فى المتن .

(٢) من اجل ذلك ، (انظر : الطبرى : تاريخ الامم ، ١٢/٦-١٤ -وكيع : اخبار القضاة ، ١٥٠/١ — ابن الاثير : الكامل ، ١٨٨/٤ — الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ — ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩) .

(٣) مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣١-٣٢ — محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ (وانظر ماسنكتبه عن ذلك فى الصفحات التالية ) .

(٤) من أجل اعادة اسامة بن زيد الى مصر ، (انظر : ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١١٩) . وانظر القول بفصل الامويين بين السلطات الادارية والمالية عند (فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ١٩١) وسيتضح تبعية صاحب خراج المدينة للخليفة يزيد مباشرة من قصة فاطمة بنت الحسين مع ابن الضحاك . (انظر بعد : ص ٤٥٤،٤٥٠) .

(٥) يتبين ذلك من دراستنا لعماله على الاقاليم وسياستهم الادارية . (انظر الصفحات التالية — وانظر فرج الهونى نفس المرجع ، والصفحة ) .

الولاية وكانها نيابة عامة عن الخليفة ، يستمد الأمير فيها سلطاته من سلطة الخليفة . ومع ذلك فقد كان يتدخل اذا مالزم الأمر واقتضت الحاجة والمصلحة ، من ذلك امره ابن هبيرة عامله على المشرق استعمال الحرشي على خراسان (١) .

ولاباس هنا أن نعرض للحديث عن عماله ، ودحض القول بانه عزل جميع ولاة عمر . وابتداء فان الخليفة يزيد لم يتخذ قرارا بهذا الشان ، بل انه اصدر امرا الى عمال عمر يدعوهم فيه الى ترك سياسته المالية والعودة الى سياسة اسلافه من بني امية (٢) . وفي ذلك دلالة على اقراره لهم ، وان عزله لبعضهم جاء بعد ذلك ، وفي اوقات مختلفة .

فلقد اقر يزيد من عمال الخليفة عمر بن عبد العزيز ، عبد العزيز بن عبد الله بن اسيد (٣) على مكة والطائف ، ولم يعزله الا (سنة ١٠٣هـ) (٤) . وعروة بن محمد (٥) على

---

(١) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٤٨٣،٣٢٧ .

(٢) انظر نص امره ذاك بعد : ص ٥٤٧-٥٤٨ .

(٣) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس الأموي ، ابو الحجاج . ثقة استعمله عبد الملك بن مروان على مكة ، وقد ذكره ابن شاهين في الصحابة لحديث ارسله (ابن حجر : تهذيب ، ٣٠٦/٦) . لكننا بالعودة الى تاريخ ابن خياط ، وجدنا ولايته على مكة قد جاءت من قبل سليمان بن عبد الملك فاقره عمر ، ثم يزيد حتى عزله . ولم يكن عليها من قبل عبد الملك بن مروان ولاابنه الوليد (انظر : ص ٢٩٣، ٣١٠، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٣٢) .

(٤) لم يعزل عبد العزيز بن اسيد عن مكة والطائف الا سنة ١٠٣هـ (انظر : الطبري : تاريخ الامم ، ٦٢٠/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٤٨/٤ - وكذلك ماسنكتبه عن ذلك مفصلا في الصفحات التالية ) .

(٥) عروة بن محمد بن عطية السعدي الجشمي ، من رواة الحديث ، وله صحبة . استعمله سليمان بن عبد الملك على اليمن واقره عمر بن عبد العزيز ثم اقره يزيد بن عبد الملك ، فكان من صالح العمال ، ويقال أن عروة ولي اليمن عشرين سنة ، وقيل عزل عنها (سنة ١٠٣هـ) وامر عليها مسعود بن غوث . وعروة من خيار الناس =

اليمـن (١) ، وعبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة (٢) ، وعدى بن ارطـاة على البصرة (٣) ، وايوب بن شرحبيل على مصر (٤) ، والسمح بن مالك على الأندلس (٥) (٦) .

اما اشهر الولاة الذين استعملهم يزيد ، فمسلمة بن عبد الملك علـى المشرق ، ثم عزله وولى عمر بن هبيرة ، والأخير كـان عـامل عمر بن عبد العزيز على الجزيرة (٧) . ويزيد بن أبى مسلم على افريقية ، ثم ولاها بشر بن صفوان بعد مقتل الأول ، وكان بشر بن صفوان اميرا محمود السيرة (٨) .

---

= دخـل اليمن براحلته ، وخرج ومامعه سوى السيف ومصحف . عـاش الـى مابعد المئة والثلاثين . (ابن حجر :تهذيب ، ١٦٨/٧-١٦٩) . والقـول بعزلـه سنة ١٠٣هـ من خلافة يزيد هـو الأولى ، لما اشارت اليه المصادر من استعمال يزيد لغيره على اليمن وكذلك هشام . (انظر ماسنورده عن ذلك اثنـاء حديثنـا عـن عمـال يزيد على اليمن فى الصفحات التالية ) .

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ١٠٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٧٦/٦ .

(٣) ظـل عـدى علـى البصـرة ، حتى غلب عليها ابن المهلب ، وقتـل فـى فتنتـه . (انظـر ذلك قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول : حركة ابن المهلب) .

(٤) ايـوب بـن شـرحبيل بـن ابرهة الأصبحى ، من بنى الصباح امـير مـن النبـلاء الصلحـاء ، ولـى مصـر لعمر بن عبد العزيـز أول (سـنة ٩٨هـ) ، وحسنت أحوالها فى ايامه ، واستمر بهـا الى ان توفى فيها سنة ١٠١هـ . (الزركلى : الأعـلام ، ٣٨/٢) . وقـد كـانت وفاته فى رمضان من خلافة يزيد بن عبد الملك . (انظر ذلك فيما سنكتبه عن اخبار ولاة مصر فى الصفحات التالية ) .

(٥) الكندى : الولاة ، ص ٦٩ .

(٦) بقى السمح بن مالك اميرا على الأندلس حتى استشهاده فى بـلاد الغـال ، فى شهر ذى الحجة من سنة ١٠٢هـ فى خلافة يزيـد بن عبد الملك . (انظر ذلك فى : الفصل الرابع ، المبحث الرابع (حملة السمح بن مالك الخولانى) ، وكذلك ماسنكتبه بعد فى الصفحات التالية عن ولاة الأندلس) .

(٧) نبيـه عـاقل : تـاريخ خلافـة بنـى امية ، ص ٢٥٦ – ابن الأثير : الكامل ، ١٨١/٤ .

(٨) مـن أجـل ذلـك ، (انظـر : السـيد عبـد العزيز سالم : المغـرب الاسلامى ، ٢٩٥/٢ – فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦٨) .

كما ولى عبد الرحمن بن الضحاك[(١)] المدينة وجمع له مكة ، ثم عزله عندما اساء السيرة فى اهل المدينة ، وولى عبد الواحد النضرى ، فسار فيهم بما يرضيهم ، وكان أميرا محمودا .

وقد ولى الجراح الحكمى ارمينية ، فاحسن السيرة ونجح فى حرب الخزر ، وهو من رجالات العصر المشهورين ، وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز على خراسان[(٢)] ، كما امر الخليفة بتولية سعيد الحرشى على خراسان عندما عزل عاملها سعيد خذينة والذى فشل فى ضبط الامور فى ماوراء النهر . فحقق اهداف الدولة ، واعاد السيطرة الاسلامية من جديد على ماوراء النهر[(٣)] .

ويبدو ان الخليفة يزيد بن عبد الملك سعى الى التوسيع على عماله ، حتى يحصنهم من الخيانة ، ويجعلهم فى كفاية تعينهم على التفرغ لمهام الامارة وامور المسلمين . فيروى ان عبد الواحد النضرى عامل الخليفة يزيد على الحجاز ، كان اذا اتى برزقه الشهرى وقدره ثلاث مائة دينار يقول : ان الذى يخون بعدك لخائن[(٤)] . وفى قوله هذا دلالة على ضخامة هذا المبلغ آنذاك وكفايته التامة لصاحبه .

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .

(٢) كانت ولايته على خراسان (سنة ٩٩هـ) . (انظر عن ولايته ابن الاثير : الكامل ، ١٥٥/٤ ومابعدها) .

(٣) انظر ماسنكتبه عن ولايته فى هذا الباب ، اثناء حديثنا عن عمال يزيد على خراسان .

(٤) ابن حجر : تهذيب ، ٦/هامش ٤ ، ص ٣٨٧ . وهذا نفس المبلغ الذى كان يأخذه أبو بكر بن محمد بن حزم أمير المدينة زمن عمر بن عبد العزيز . (انظر : الذهبى سيرة ، ٣١٤/٥) .

واجمالا فان الخليفة يزيد قد اقر بعض عمال عمر ، واستعمل بعض من كان عمر قد استعملهم ، وولى آخرين ، توفرت فيهم الكفاءة والقدرة ، فاحسنوا السيرة وكانوا من اهل الثقة والدين ، وقد عزل من خرج عن ذلك .

ومن سمات سياسته الادارية ، اتاحة الفرصة للموالى فى ادارة الدولة وشغل بعض الأعمال الكبيرة (١) .

وقد سار يزيد على نهج عمر فى استعمال الموالى فى وظيفة القضاء ، فقد اقر على قضاء مصر عبد الله بن يزيد بن خذامر الصنعانى مولى سبأ (٢) ، وذلك خروجا على عادة بنى امية فى المحافظة على عروبة القاضى (٣) . الا اننا نجد النباهى الأندلسى (٤)

---

(١) كانت مشاركة الموالى فى ادارة مرافق الدولة فى عهد الخليفة يزيد واضحة للعيان ، ومن امثلة ذلك : استعمال يزيد بن ابى مسلم مولى ثقيف على افريقية ، وجبلة بن عبد الرحمن مولى باهلة على كرمان . (انظر ذكر استعمالهم خلال ذكرنا لعماله على الأقاليم فى الصفحات القادمة) . وكذلك عبد الرحمن بن هرمز على ديوان المدينة . (انظر : عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٧٥) وغيرهم .

(٢) لم اعثر له على ترجمة ، وقد ذكرت ماجدة فيصل زكريا : ان اصل والده من ابناء الفرس الذين وجهوا من قبل كسرى لقتال الاحباش فى اليمن ، وانه حالف قوما من السبئيين ، واشترك فى فتح مصر واختط بها . ولاه قضاء مصر عمر بن عبد العزيز (سنة ١٠٠هـ) فكان اول من تولى قضاء مصر من غير العرب . وكان صرفه عنها فى رمضان (سنة ١٠٥هـ) فكانت ولايته على القضاء خمس سنين وثلاثة اشهر . (انظر : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ٢٩١-٢٩٢) . ويؤكد ذلك فى قول اكثر تفصيلا الكندى ، فيشير الى أن ولاية ابن خذامر مولى سبا كانت من قبل عمر ويزيد بن عبد الملك . (انظر : الولاة ، ص ٣٣٧-٣٤٠) .

(٣) انظر ماذكره ثابت الراوى عن هذه العادة فى كتابه : العراق ، ص ٩٢ .

(٤) تاريخ قضاة الأندلس ، وقد سماه مؤلفه : كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٤ .

يشير الى فتور الخليفة يزيد بن عبد الملك عن ملاحظة القضاة ويبدو ان ذلك راجع الى ثقته فيهم ورضى الناس عنهم ان صحت هذه الرواية ، فبالنظر الى تراجم قضاته نجد انهم من اهل الثقة والصلاح (١). ويحسن بنا ان نشير الى ان الخليفة يزيد قد ترك امر تولية القضاة وعزلهم فى الامصار الى عماله (٢).

كما يبدو ان يزيد بن عبد الملك تابع الخليفة عمر بن عبد العزيز فى منع اهل الذمة من العمل فى دواوين الدولة ، اذ لم نلمس مايشير الى عملهم فيها . وان كنا لانملك نصا يدل على متابعته فى هذه السياسة .

هذه اهم معالم سياسة يزيد بن عبد الملك الادارية ، وللوصول الى صورة اوضح ، نعرض فى الصفحات التالية لعماله على الاقاليم واهم اعمالهم وسياساتهم فيها .

رجال الحكومة فى عاصمة الدولة دمشق :

اعتاد الامويون احاطة انفسهم برجال من اهل العلم والراى ، يستشيرونهم فى شئون الحكم وتصريف الامور . ويتضح ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كان كذلك . وعلى راس الرجال الذين وقفوا الى جانبه يؤازرونه بالراى والنصيحة والعمل ، اخوه مسلمة بن عبد الملك ، الذى قيل : ان عزله عن امارة المشرق كان لحاجة الخليفة اليه (٣). وكذلك سعيد بن خالد

---

(١) انظر تراجمهم فى الصفحات التالية ، ابان ذكر استعمالهم من قبل الخليفة يزيد او عماله فى الامصار .

(٢) يتضح هذا من خلال عرضنا لسياسة عماله فى الامصار ، وصيرورة صلاحية تولية وعزل القضاة اليهم ، (انظر الصفحات التالية) .

(٣) اختلف فى اسباب عزل مسلمة ، وهذا ماسنبينه عند ذكر ولايته على العراق بعد ، ومما ذكر ماأوردناه اعلاه . (انظر : عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٤٤ [نقلا عن : سيد على المرصفى : كتاب رغبة الامل فى كتاب الكامل ، ط/الاولى ، ٢/١٦-١٧]) .

الاموى ، الذى قال اليعقوبى : انه غلب على يزيد بن عبد الملك[1] . ولقد وجدنا فى ترجمته[2] انه من المحدثين الثقات ، وقد سكن دمشق . وامر السكنى هذا يدفعنا الى قبول قول اليعقوبى انه من رجال يزيد واهل مشورته . لكننا قد اسلفنا انكار هذه الغلبة ، لاننا لم نجد من الحوادث مايدل على ذلك وان كان اهل العلم لايرجى منهم الا كل خير ان كان له من الامر شىء . والى جانبهما رجال حكومته فى عاصمة الخلافة دمشق ، ومن تضمهم مجالسه من علية القوم ووجهاء الناس[3] .

اما رجال حكومته فى دمشق ، فقد كان حاجبه خالد مولاه[4] وقيل : سعيد[5] وقيل : غالب[6] . وهذا الاختلاف قد يكون تصحيفا خصوصا بين خالد وغالب ، او انهم جميعا تولوا الحجابة له واحدا تلو الآخر .

كما كان على ديوان الخاتم والخزائن وبيوت الأموال ، مطير مولاه[7] . وقيل : كان على الخاتم اسامة بن زيد[8] . وعلى

---

(١) انظر قوله ومناقشتنا له قبل : ص ٤٣٣ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٤٣٣ .

(٣) من تلك المجالس ، ذلك المجلس الذى عرض فيه الخليفة يزيد طلب يزيد بن المهلب الأمان من الخليفة ، واستشارة الناس فى ذلك ، واتخاذ الخليفة قرار اعطائه الامان . (انظر ذلك قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٤٤) .

(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ١١٤/٢ — المسعودى : التنبيه ، ص ٢٧٧ ، مجهول : العيون ، ص ٨٠ .

(٥) المسعودى : نفس المصدر والصفحة — ابن حبيب : المحبر ص ٢٥٩ — الاربلى : خلاصة ، ص ٢٦ .

(٦) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة احمد السيد دراج ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، ص ٧٥-٧٦ .

(٧) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ — ابن عبد ربه : العقد ، ٨٧/٥ (لكن ابن عبد ربه اشار انه على خاتم الخلافة فقط ، كما وصفه بالفسق ، وقد اورد اسمه محرفا "مطر") .

(٨) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة .

الخاتم المغير بكير ابو الحجاج (١) .

وكاتبه يزيد بن عبد الله من قبل ان يلي الخلافة (٢) ، فلما تولى الخلافة استكتب اسامة بن زيد السليحي (٣) (٤) . ويفصل الجهشياري القول : بانه اسامة بن زيد صاحب خراج مصر (٥) ايام الوليد بن عبد الملك ، وان الخليفة يزيد عندما افضت اليه الخلافة طلبه . وان سليمان الخشني صاحب الديوان ، حذر يزيد ابن عبد الله كاتب الخليفة يزيد من اسامة في ان يحل مكانه لكنه اخيرا لم يصرح باستكتابه .

لكننا امام نص عن ابن عبد الحكم يقول : ان الخليفة يزيد رد اسامة بن زيد على خراج مصر . وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد عزله عن خراجها ، وكان قد تولاه للوليد وسليمان (٦) . وهذا يعني ان الخليفة يزيد استكتب اسامة بن زيد لفترة وجيزة ثم رده على خراج مصر . يسند قولنا مااوردته المصادر من اسماء لكتاب آخرين استكتبهم الخليفة يزيد بن عبد الملك (٧) . اذ كتب له عمر بن هبيرة ، ثم ابراهيم بن جبلة

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ٨٧/٥ .
(٢) لم تذكر المصادر بقية الاسم والنسب ، فبحثنا في اسماء من هم على اسمه فلم نجد في تراجمهم مايدل على علاقة لهم بالخليفة يزيد والكتابة له .
(٣) لم اعثر له على ترجمة .
(٤) الطبري : تاريخ الامم ، ١٨١/٦ - الجهشياري : الوزراء ص ٥٦ - المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ (ذكر استكتابهما بدون ترتيب ، واورد اسم يزيد بن عبد الله زيدا) - مجهول : العيون ، ص ٨٠ (فقط ذكر استكتاب اسامة ولم يشر الى ابن عبد الله) - الاربلي : خلاصة ، ص ٢٦ (لم يشر الى يزيد بن عبد الله وذكر كتابة اسامة للخليفة يزيد) .
(٥) نفس المصدر والصفحة .
(٦) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١١٩ .
(٧) لم اعثر له على ترجمة .

ولعلهما قبل اسامة بن زيد ، اذ ان الخبر الذى يشير الى استكتابهما ينص بعد ذكرهما قوله : "ثم اسامة بن زيد"[١] .

ويبدو أن كتابة عمر بن هبيرة ليزيد كانت قبل استعماله على العراق[٢] . كما كتب له سعيد بن الوليد الابرش ، ثم عبد الله ابن حارثة الانصارى[٣][٤] .

وينفرد عبد اللطيف عبد الرزاق العانى[٥] باضافة صالح بن جبير الغسانى (وقيل : الطبرانى)[٦] الى كتاب يزيد . بينما[٧] نجده يناقض نفسه ويذكر أن هذا الرجل كان على ديوان الخراج وكتب للخليفة يزيد بن عبد الملك عبد الحميد[٨] ، ثم لم يزل كاتبا لبنى امية الى ايام مروان بن محمد وانقضاء دولتهم ، وكان عبد الحميد كما يقول ابن عبد ربه[٩] : أول من فتق اكمام البلاغة ، وسهل طرقها ، وفك رقاب الشعر . وهذا التعدد ينبىء عن اختصاصات لكل كاتب ، او تكليفه باعمال اخرى ، تشغل البعض ويحضر البعض الآخر ، فمن حضر منهم كتب .

ومن توقيعات الخليفة يزيد : توقيعه الى صاحب خراسان "لايغرنك حسن رأى ، فانما تفسده عثرة" . والى صاحب المدينة "عثرت فاستقل" . وفى قصة متظلم شكا بعض اهل بيته : "ماكان

---

(١) مجهول : العيون ، ص ٨٠ – الاربلى : خلاصة ، ص ٢٦ .
(٢) لم اعثر على ترجمته .
(٣) لم اعثر له على ترجمة .
(٤) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٥-٧٦ .
(٥) ادارة بلاد الشام فى العهدين الراشدى والاموى ، رسالة ماجستير ، غير مطبوعة ، مقدمة لجامعة بغداد ، جمادى الأولى ، ١٣٨٨هـ/آب ١٩٦٨م ، ص ١٥٨ .
(٦) صالح بن جبير الصدائى أبومحمد الطبرانى ، كان كاتب عمر بن عبد العزيز على الخراج ، من رواة الحديث الثقات . (انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٤/٣٣٥-٣٣٦) .
(٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٧٨-١٧٩، ٢١٤-٢١٥ .
(٨) يقصد عبد الحميد الكاتب .
(٩) العقد ، ٤/٢٤٧ .

عليك لو صفحت عنه واستوصلتني" (١) . وفي هذه التوقيعات للملاحظ دلالة تحذيره عماله ومحاسبتهم ، والى حكمته وتوجيه عامة الناس الى مايزيد من تآلفهم وترابط المجتمع .

وكان نقش خاتمه : "قني الحساب" (٢) . وقيل : "قني السيئات ياعزيز" (٣) .

وكان على حرسه مولاه غيلان ابو سعيد ، ختن ابي معن (٤) . وقيل : يزيد بن ابي كبشة السكسكي (٥)(٦) .

وبالنظر الى ترجمة الأخير ، وجدنا أن وفاته كانت في خلافة سليمان قبل سنة مئة من الهجرة . وهذا مادفعنا الى تقديم القول الأول .

أما شرطته فقد أعاد عليها كعب بن حامد العبسي (٧) . وكان

---

(١) ابن عبد ربه : العقد ، ٢٩١/٤ .
(٢) المسعودي : التنبيه ، ص ٢٧٧ .
(٣) مجهول : العيون ، ٨٠/٣ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ – ابن عبد ربه : نفس المصدر ، ١٨٧/٥ .
(٥) يزيد بن ابي كبشة البجلي ، واسم ابيه جبريل بن يسار عد في التابعين ، وهو من كبار الأمراء . ومن رواة الحديث الثقات ، كان مقدم السكاسك وصاحب شرطة عبد الملك ، وولي على الغزاة ، ثم ولي امرة العراقين للوليد ، ثم ولاه سليمان خراج السند ، فادركه الأجل بالسند قبل سنة مئة . (ابن حجر : تهذيب ، ٣١٠/١١-٣١١ الذهبي : سير ، ٤٤٣/٤-٤٤٤) . ويقول الزركلي : أن سليمان ولاه امارة السند فمات بعد وصوله اليها بثمانية عشر يوما (الأعلام ، ١٨٠/٨) .
(٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٤/٢ – ابن خياط : نفس المصدر والصفحة (قال : "وقال حاتم : على الحرس ابومالك السكسكي") .
(٧) كعب بن حامد العنسي ، قائد من غزاة البحر ، ولاه عبد الملك بن مروان شرطته ، واقره بعده الوليد ، ثم اغزاه على البحر (الزركلي : الأعلام ، ٢٢٦/٥) . وقد لاحظنا اختلاف المصادر في ايراد اسمه . فيذكر ابن عامر وابن مالك وكذلك العبسي والعنسي . وقد اثبتنا ماوجدناه في اقدمها . (انظر : ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ) .

قد تولى ذلك لعبد الملك بن مروان ثم ولاه اياها الوليد على فترات حيث اغزاه مرتين ، ثم اقره سليمان فاقره عمر ثم عزله . فاعاده الخليفة يزيد ثم اقره هشام ثلاث عشرة سنة فولاه بعد ذلك ارمينية [١] .

وتعلق نجدة خماش على ذلك : ان شخصا يحتل هذا المنصب فترة طويلة كهذه ثم يعهد اليه بولاية ارمينية لابد انه يتحلى بصفات تؤهله لذلك [٢] . وقيل : كان على شرطته روح بن يزيد (بن يعلى) [٣] .

وكان على الخراج والجند والرسائل ، صالح بن جبير الغداني [٤] ، ثم عزله وولى اسامة بن زيد مولى كلب . ويذكر الجهشياري [٥] ان الخليفة يزيد اعاد سليمان بن سعد الخشني [٦] على

---

(١) عبد اللطيف العاني : ادارة بلاد الشام ، ص ١١٩ .
(٢) الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٠٠ .
(٣) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٥-٧٦ .
(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ – ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٨/٥ – حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩ (واورد اسمه صالح بن عبد الرحمن ، مشيرا الى الخلاف على الاسم ، ولم يذكر عمله ، والواضح انه ظن ان صالح بن جبير هو صالح بن عبد الرحمن صاحب خراج العراق زمن سليمان ، لكن هذا غيره ).
(٥) الوزراء ، ص ٥٦ – عبد اللطيف العاني : نفس المرجع ، ص ١٧٨-١٧٩،٢١٤-٢١٥ (يذكر ان عبد الملك بن مروان قد ولى سليمان بن سعد على ديوان الخراج بعد ان عزل سرجون بن منصور ، فبقى عليه حتى عزله عمر بن عبد العزيز ، وعين بدله صالح بن جبير الغساني (الطبراني) وبقى صالح على الديوان زمن يزيد بن عبد الملك ثم عزله واعاد سليمان الخشني) .
(٦) سليمان بن سعد الخشني بالولاء ، اول من نقل الدواوين من الرومية الى العربية ، واول مسلم ولى الدواوين كلها في العصر الاموي ، وكانت النصارى تلي الدواوين قبله . اردني نزل دمشق ، فولى دواوين الشام لعبد الملك والوليد وسليمان ، ثم عزله عمر لهفوة بدرت منه . توفي (نحو سنة ١٠٥هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ١٢٦/٣) .

ديوان الخراج ، وكان الخليفة عمر قد عزله . ويضيف : انه كان عفيفا عالما بصناعته . ويبدو انه قد ولاه ذلك ، بعد عزل مسلمة عن العراق ، فقد كان سليمان بن سعد على خراج العراق في ولاية مسلمة عليه .

وكان على الخزائن وبيوت الأموال مطير مولاه (١) . وقد وافق ابن عبد ربه (٢) ابن خياط ، في ولاية مطير ديوان الخاتم ، ولكنه خالفه فيمن كان على الخزائن وبيوت الأموال ، فيقول ان الذي كان عليها هو : هشام بن مصاد (٣) ، ولعل مطير كان عليها جميعا كما ذكر ابن خياط ، ثم قصر عمله على ديوان الخاتم ، وولي ابن مصاد الخزائن وبيوت الأموال .

ويبدو أن لاخلاف أيضا فيمن تولى ديوان الخراج . فصالح ابن جبير كان متوليها من قبل الخليفة عمر (٤) ، فامره يزيد ثم عزله باسامة بن زيد ، وان كان هذا هو صاحب خراج مصر المعروف – وقد اشرنا ان الخليفة اعاده على خراج مصر – يكون الخليفة قد اعاد سليمان الخشني على الدواوين بعده ، او انه كان على شيء منها وسليمان على بعضها الآخر ، ان كان المقصود رجلا آخر يدعى اسامة ، غير صاحب خراج مصر . فقد جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز لكل مورد مالي بيت مال خاص به ، فللخمس بيت مال ، وللصدقة بيت مال ، وللفيء بيت مال كل على حده (٥) .

---

(١) انظر ذلك قبل : ص ٤٤١ .
(٢) انظر نفس الصفحة .
(٣) ابن عبد ربه : العقد ، ١٨٨/٥ .
(٤) انظر الصفحة السابقة .
(٥) ابن سعد : الطبقات ، ٤٠٠/٥ .

اما القضاء ، فقد عمد خلفاء بني امية الى تعيين القضاة في الولايات من قبلهم ، واحيانا يتركون ذلك لأمراء الامصار.(١)

اما مايخص القضاء في عاصمة الدولة دمشق ، فقد كان ذلك للخلفاء ، وتطور الأمر ، حتى اصبحنا نلاحظ في خلافة يزيد ابن عبد الملك وجود قاضيين او اكثر في دمشق في نفس الوقت فنجد سليمان بن حبيب الداراني(٢) ، ومحمد بن مسلم الزهري(٣) ، ومما يثير الانتباه وجود مسمى قاضي الخلفاء ، فقد ورد في تاريخ داريا ان سليمان بن حبيب كان قاضي الخلفاء ، وكذلك يرد في تاريخ دمشق لابن عساكر ان سليمان بن حبيب كان قاضي الخلفاء . بالرغم من وجود قضاة آخرين يرد ذكرهم الى جانب هذين القاضيين . وهذه الأخبار تدفعنا للتساؤل فيما اذا كان هذا اللقب يعني رتبة رسمية ام كان هذا اللقب مسدى عليه من الناس كدليل على علو كعبه في العلم والقضاء(٤) .ولعل هذا اللقب جاء من توليه القضاء لاكثر من خليفة . وقد اعاد الخليفة يزيد سليمان الداراني على القضاء(٥) ، وهو ممن تلقى العلم على أيدي الصحابة ، فكان من كبار علماء

---

(١) نجده خماش : الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٠٦ .

(٢) سليمان بن حبيب المحاربي الدمشقي الداراني القاضي ، من رواة الحديث الثقات ، اماما كبير القدر ، من التابعين ، قضى بدمشق اربعين سنة وقيل ثلاثين ، وتوفى سنة ١٢٦هـ وقيل ١٢٥هـ وقيل ١١٥هـ . (انظر : ابن حجر تهذيب ، ١٥٦/٤-١٥٧ - الذهبي : سير ، ٣٠٩/٥) .

(٣) عن استقضاء يزيد بن عبد الملك الزهري ، انظر : الذهبي : سير ، ٣٣١/٥ .

(٤) نجده خماش : نفس المرجع ، ص ٢٠٨ .

(٥) ذكرت بعض المصادر أن يزيد اقر سليمان بن حبيب على القضاء ، والصحيح كما يقول عبد اللطيف العاني : أن الخليفة يزيد اعاده لأن الخليفة عمر كان قد عزله وعين على القضاء عبد الله بن سعد الأيلي . (انظر : ادارة بلاد الشام ، ص ١٣١ - ابو زرعة : تاريخ ابي زرعة ، ٢٠٢/١، ٤١٣) .

التابعين . وقد تولى قضاء دمشق لعبد الملك والوليد[1] وسليمان وعمر ويزيد وهشام ، ثلاثين سنة[2] .

واستقضى الخليفة يزيد بن عبد الملك محمد الزهرى ، مع سليمان بن حبيب الدارانى لما علم عنه من العلم وسمو المكانة[3] . وتورد المصادر اسماء لرجال آخرين استقضاهم الخليفة يزيد ،هم : عبد الرحمن بن الخشخاش ، وسعيد بن ابى وقاص[4] ، وابو مسعود عبد الله[5] ، ومحمد بن صفوان الجمحى[6] [7] .

وما من شك فى ان هذا التعدد ينبىء عن شىء من الاختصاص والتطور فى مجال القضاء ، كان قد حدث فى عصر بنى امية ، وبالأخص فى ثلثه الأخير .

---

(١) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ١٦٩ .
(٢) محمد الخطيب : نفس المرجع والصفحة ـ نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٠٨ ـ عبد اللطيف العانى : ادارة بلاد الشام ، ص ١٣١ .
(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ط٤ ، ص ٤٧٢ ـ أبو زرعة : تاريخ ابى زرعة ، ٢٠٢/١ ،٤١٣ ـ محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٤٩٣ ـ عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ،دار المشرق بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م ، ص ١٠٠ ـ كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى نقله الى العربية عبد الحليم النجار ، الثلاثة الأجزاء الأولى ، والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب الثلاثة الأجزاء الأخر ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٥٤/١ .
(٤) مجهول : العيون ، ٨٠/٣ ـ الاربلى : الذهب ، ص ٢٦ .
(٥) الاربلى : نفس المصدر والصفحة (والثلاثة هؤلاء لم أعثر لهم على ترجمة ) .
(٦) محمد بن صفوان الجمحى المدنى قاضى المدينة ايام هشام من رواة الحديث الثقات . (انظر : ابن حجر : تهذيب ، ٢٠٥/٩-٢٠٦) .
(٧) ابن دقماق : الجوهر ، ص ٧٥-٧٦ .

عماله على الحجاز :

لما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة عزل عن المدينة عامل عمر بن عبد العزيز ابو بكر بن محمد بن حزم (١) ، وولاها عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى (٢) . فكان قدومه اليها يوم الاربعاء لليال بقين من شهر رمضان (سنة ١٠١هـ) (٣) . فاستقضى من قبله سلمه بن عبد الله المخزومى (٤) . وكان على ديوانها عبد الرحمن بن هرمز ، وهو من حملة العلم من الموالى . وفى هذا رد على من قال : أن العرب ظلوا ولاة هذا الديوان حتى عمر هشام بن عبد الملك فولاه الموالى . وقد

---

(١) ابو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى المدنى ، يقال اسمه ابو بكر وقيل اسمه كنيته . من الائمة الاثبات ورواة الحديث الثقات ، تولى قضاء المدينة ، وكان أعلم أهل زمانه بالقضاء واستعمله سليمان على المدينة واقره عمر بن عبد العزيز . وقد أمره أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ، ولم يتول المدينة أمير انصارى غيره . وقد كان ثقة عابدا فقيها (ت ١٢٠هـ على خلاف)عن ٨٤ سنة . (انظر الذهبى : سير ، ٣١٣/٥-٣١٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٠/١٢-٤٢ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٧-٣٢٣).

(٢) لم اعثر له على ترجمة .

(٣) بشان عزل ابن حزم واستعمال عبد الرحمن بن الضحاك ، (انظر : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٢ - الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٧٥/٦ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٦٦/٤ - وكيع : أخبار ١٤٢/١، ١٤٨ - ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٤/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣ لكنه ذكر خطا أن ابن الضحاك اميرها من ايام عمر ابن عبد العزيز) .

(٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ (قال مسلمة المخزومى) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة - وكيع : نفس المصدر ، ص ١٤٨ (اورد الاسم سلمة بن عمر بن أبى سلمة ابن عبد الأسد المخزومى) - ابن الأثير : نفس المصدر والجزء والصفحة .

لاحظ هذا الخطأ وسبقنا الى تصحيحه عبد الله السيف[١] ، فقال : لقد تولى الموالى ديوان المدينة منذ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك بولاية عبد الرحمن بن هرمز واستمر ذلك فى عهد هشام بولاية ابن ابى عطاء عليه .

ويشير ابن حبيب الى ولاية رجل يدعى ابن خارجة الانصارى[٢] على ديوان المدينة منذ عهد عبد الملك بن مروان حتى عهد هشام . وليس لذلك من تفسير ان صحت هذه الرواية الا انه كان على فرع آخر لديوان المدينة ، مما يعنى وجود فروع متعددة بالامصار الاسلامية للدواوين التى انشئت واستحدثت فى عاصمة الدولة دمشق[٣] .

---

(١) الحيـاة الاقتصاديـة والاجتماعيـة فـى نجـد والحجاز فى العصر الأموى ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٧٥-٢٤٧ - اليعقـوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣١٢-٣١٣ - ابن الاثير : الكامل، ١٨٨/٤ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ .

(٢) المحبر ، ص ٣٧٨ .

(٣) كانت نشأة الدواوين الاسلامية ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد استحدث فى عهده منها ، ديوان الجند (العطاء) ، وديوان بيت المال ، وديوان الرسائل ثم اخذ الجهاز الادارى منذ ان وضع عمر لبنته الأولى ينمو شيئا فشيئا حتى اخذ صورته شبه النهائية فى العصر العباسى ، وفى العصر الأموى ، بلغت الدولة الأموية اقصى اتساعها ، وعاشت كثير من المتغيرات والمستجدات ، مما ادى الى تطوير الجهاز الادارى ، ونمو الدواوين القديمة ، وانشاء دواوين جديدة وتعريب الدواوين ، وقد استقر الأمر فى العصر الأموى على ستة دواوين ، ثلاثة منها التى تم انشاؤها زمن عمر اضافة الى ديوان الخاتم وديوان البريد ، وديوان الخراج . وكانت هذه الدواوين المركزية فى عاصمة الدولة ، ولها فروع فى الأمصار الاسلامية ، وكانت تكتب فى الامصار بلغة الاقليم ، حتى عربت الدواوين زمن عبد الملك بن مروان واتمها ابنه الوليد . وكانت الدواوين المركزية فى المدينة زمن الخلفاء الراشدين ، ثم انتقلت الى الكوفة فى عهد آخرهم وهو على بن ابى طالب رضى الله عنه ، ثم استقرت فى دمشق ابان العصر الأموى=

اما مكة والطائف فقد اقر الخليفة يزيد عامل عمر بن عبد العزيز عليهما وهو عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد ، وقد ظل عليها حتى (عزله سنة ١٠٣هـ)[١] ، وضمت مكة الى عبد الرحمن بن الضحاك امير المدينة .

واستعمل على الطائف عبد الواحد بن عبد الله النصرى[٢] .

وللاسف فان المصادر لاتمدنا باسباب عزله عبد العزيز بن اسيد عن مكة .

وتشير المصادر الى ان عبد الرحمن بن الضحاك قد اساء السيرة فى اهل ولايته ، فكان اميرا مذموما سار فيهم بالظلم والعدوان ، فكرهه الناس ، ولم يقله الخليفة من عثرته فعزله وعاقبه . ويكفينا ايراد هذا النص على لسان الزهرى ففيه صورة واضح لسيرته . يقول الزهرى : "قلت لعبد الرحمن ابن الضحاك انك تقدم على قومك وهم ينكرون كل شىء خالف

---

= (عن الدواوين نشاتها وتطورها ، انظر : احمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها ، ص ٢٠-٣٤ ـ فرج محمد الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٨١-٩٦، ١٩٦-٢١٢ ـ عبد العزيز عبد الله السلومى : ديوان الجند نشاته وتطوره فى الدولة الاسلامية حتى عصر المامون ،رسالة ماجستير مطبوعة ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ص ٩٣-١١٦ ، ١٤٥-١٧١) ، وانظر التمهيد ، ص ٤٢-٤٥ .

(٢) عن عزل عبد العزيز بن أسيد عن مكة والطائف وضم مكة الى ابن الضحاك واستعمال عبد الواحد النصرى على الطائف . (انظر : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٢ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٢٠ ـ ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٨٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٩/٢٤٩ ـ ابن خلدون :العبر ، ٣/١٣٩ ـ القلقشندى : مآثر ، ١/١٤٨ .

فعلهم ، فالزم ماأجمعوا عليه ، وشاور القاسم بن محمد
- يعني ابن ابي بكر ، من سادات التابعين واحد الفقهاء
السبعة - وسالم بن عبد الله - يعني ابن عمر بن الخطاب ،
من كبار التابعين واحد الفقهاء السبعة ايضا[1] - فانهما
لايالوانك رشدا ، قال الزهري : فلم ياخذ بشيءمن ذلك ،
وعادى الانصار طرا ، وضرب ابا بكر بن حزم ظلما وعدوانا في
باطل ، فما بقي منهم شاعر الا هجاه ، ولاصالح الا عابه واتاه
بالقبيح ، فلما ولي هشام رايته ذليلا"[2] .

وكما لاحظنا ان الزهري ضرب مثالا على ظلم ابن الضحاك ،
ضربه لابن حزم ، وقصة ذلك : ان ابن الضحاك لما قدم المدينة
اميرا وقد عزل عنها ابن حزم ، دخل عليه الاخير مسلما فلم
يقبل عليه ابن الضحاك فلزم بيته . وهذا ماجعل ابن الضحاك
يظن بابن حزم الكبر ويتهمه بالخيانة ، وحاول ابن حزم أن
يوضح له الأمر ، لكن الأمر ظل يترقى بين الرجلين ، ابن حزم
يخشى ظلمه ، وابن الضحاك يتصيد الأسباب للنيل من ابن حزم ،
فاراد ان يستغل شكوى رجل من بني فهر يتظلم فيهامن قضاء
لابن حزم في أرض دفعها الى خصمه ، لكن ابن حزم ابدى حجته
الشرعية فاقر بها الشاكي ، فلم يجد ابن الضحاك طريقا على
ابن حزم واخرج الخصوم وقد اسقط في يده .

وجاءت الفرصة لابن الضحاك للنيل من خصمه عندما طلب

---

(١) انظر ترجمتيهما عند (ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٩/٨ ، ٣٧٨/٣) .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ١٤/٧ . ويشير الى هذه السيرة ايضا : ابن الاثير : الكامل ، ١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ .

عثمان بن حيان[1] من الخليفة ان يقيده - اى يقتص له - من ابن حزم الذى ضربه حدين ، فابى الخليفة عليه ذلك ، وعرض عليه امارة المدينة ، فابى ابن حيان وقال : لو ضربته بسلطانى لم يكن لى قودا ، فكتب الخليفة الى ابن الضحاك امير المدينة : انظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فان كان قد ضربه فى امر بين فلاتلتفت اليه ، وان كان فى امر يختلف فيه فلاتلتفت اليه ، وان كان ضربه فى امر غير ذلك فاقده منه . وكان ذلك من الخليفة بعد ان سال ابن حيان حاجته عندما حمل اليه راس يزيد بن المهلب ، بعد القضاء عليه فى العقر[2] .

ويبدو ان ابن حيان قد اظهر للخليفة انه كان مظلوما . لذلك كتب الى عامله على المدينة ، لكنه امره بالتبين من ظلم ابن حزم له قبل اخذ القود منه .

وكان ابن الضحاك يعلم ان ليس له من طريق على خصمه من وراء كتاب الخليفة ، وقد اخبر ابن حيان بذلك . لكنه اراد ان يحسن الى ابن حيان ، وينال من خصمه لما فى نفسه من ضغينة عليه ، فجمع (سنة ١٠٣هـ) بين عثمان بن حيان وابن حزم ، فتحامل على الأخير ، وجلده حدين فى مقام واحد ظلما

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٣٤٦ .
وكان سبب العداء بين ابن حيان وابن حزم ان ابن حيان كان اميرا للمدينة ،فعزله سليمان بن عبد الملك بابن حزم ، فجلده الأمير الجديد حدين الأول فى خمر وجد فى بيته اعترف انه شرب منه . والآخر فى قوله لرجل يالوطى (انظر : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٠٥/٦ - وكيع : اخبار القضاة ، ١٤١/١-١٤٢) .

(٢) هناك قول آخر بأن من حمل راس ابن المهلب الى الخليفة رجل غير ابن حيان هو خالد بن الوليد بن عقبة بن ابى معيط . (انظر قبل : الفصل الأول ، المبحث الأول ،ص ١٩٨ فقد يكون حمله معه ،او انه سبق الى الخليفة ببشارة النصر .

وعدوانا ، قودا بعثمان بن حيان .[(١)]

وينفرد الذهبي بايراد خبر يشير فيه الى حسن سيرة ابن الضحاك فيقول :[(٢)] "عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهرى ، احد اشراف العرب ، ولى امرة المدينة فاحسن الى اهلها" .

ومن الصعب الالتفات الى قول الذهبي لاجماع كثير من المصادر السابقة له على سوء سيرة ابن الضحاك .

ويؤكد ذلك محاولته استغلال سلطانه فى مقاصده الشخصية من قصته مع فاطمة بنت الحسين[(٣)] التى ادت الى عزله ومعاقبته ذلك انه خطبها للزواج ، فابت لقعودها على بنيها ، فالح عليها وتهددها بجلد اكبر ابنائها فى الخمر ان لم تجبه ، وكان على ديوان المدينة – ديوان الخراج – عبد الرحمن ابن هرمز ، وقد كتب اليه الخليفة يزيد ، ان يقدم عليه للمحاسبة ، فدخل على فاطمة يودعها ، فطلبت منه أن يخبر الخليفة يزيد بما تلقى من ابن الضحاك ، وبعثت رسولا آخر بكتاب الى الخليفة بذلك ، فلما بلغه الخبر استشاط غضبا

---

(١) عن قصة ابن الضحاك وابن حزم ، انظر : الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٧٤/٦-٥٧٥، ٦٢٠) – اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢ – وكيع : أخبار القضاة ، ١٤٢/١ – ابو العرب : كتاب المحن ، تحقيق يحيى وهيب الجبورى، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ٣١٤ قال حمل رأس يزيد بن التيهان ولانعرف هذا النسب لابن المهلب – ابن الاثير : الكامل، ١٦٦/٤ – ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٤/٩ .

(٢) تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ .

(٣) فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ، تزوجت من ابن عمها حسن بن حسن بن على بن ابى طالب فخلف عليها بعد وفاته عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فمات عنها فقعدت على بنيها . فكان من أمر الضحاك معها – ما اشرنا اليه اعلاه – روت الحديث ، وقد ذكرها ابن حبان فى الثقات (ابن سعد : الطبقات ، ٤٧٣/٨-٤٧٤ – ابن حجر : تهذيب ، ٤٦٩/١٢-٤٧٠) .

ونزل عن فراشه وجعل يضرب بخيزران فى يديه وهو يقول : "لقد اجترا ابن الضحاك ، هل من رجل يسمعنى موته فى العذاب وانا على فراشى" . فقيل له عبد الواحد بن عبد الله النصرى . فكتب الخليفة امره بعزل بن الضحاك عن المدينة ومكة ، وتولية امير الطائف عبد الواحد النصرى المدينة ومكة ايضا كما كلفه بتغريم ابن الضحاك اربعين الف دينار ، وتعذيبه فعلم ذلك ابن الضحاك من صاحب البريد فارتحل الى الشام واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، الذى توجه الى الخليفة يستعفيه ، فما قبل منه ، ورده الى عبد الواحد النصرى فى المدينة ، فاجرى فيه حكم الخليفة ، فاصبح يرى فى المدينة عليه جبة من صوف وهو يسال الناس .(١)

وقد كان عزل ابن الضحاك فى النصف من شهر ربيع الأول (سنة ١٠٤هـ) .(٢) بعد ولاية دامت مايقارب الثلاث سنين . واذا صح ان ولايته فى رمضان سنة ١٠١هـ ، وعزله فى ربيع الأول سنة ١٠٤هـ تكون ولايته سنتين ونصف تقريبا .

---

(١) من اجل خبر ابن الضحاك وفاطمة بنت الحسين وموقف الخليفة وعزله اياه ، (انظر : ابن سعد : الطبقات ، ٤٧٤/٨ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ١٢/٧-١٤ ـ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٢/٢-٣١٣ ـ ابن الاثير : الكامل ١٨٨/٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ ـ الذهبى : تاريخ الاسلام ، ١٤٣/٤ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ (وقد اشار الى أن صاحب البريد كشف الخبر لابن الضحاك عن طريق رشوة قدرها (الف دينار) . وفى ذلك قرينة على وجود بعض الوان الفساد الادارى فى جهاز الدولة ) .

(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٢ ـ وكيع : اخبار ، ١٥٠/١ ـ ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص١٨٧-١٨٨ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والصفحة (وقد جعل ولايته ثلاث سنين واشهر) ـ القلقشندى : مآثر ، ١٤٩/١ ـ ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص ١٣٩ .

ويكفينا تعليقا على موقف الخليفة من ابن الضحاك وعزله ، قول عماد الدين خليل (١) اذ يقول : "فهاهو الخليفة يمتص باجرائه الحاسم هذا غضب العلويين والأنصار ويوفر على الدولة جهدا كبيرا ، وعلى وحدة المجتمع شرخا محتملا" . الى جانب مافي ذلك من المرونة وحسن التصريف وتدارك الأمور قبل تفاقمها .

والحق ان الخليفة قد احسن الاختيار في خلف ابن الضحاك وهو عبد الواحد النصري ، الذي كان قدومه المدينة يوم السبت للنصف من شوال (سنة ١٠٤هـ) (٢) فاستقضى سعد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري (٣) ، ثم سعيد بن سليمان بن زيد ابن ثابت (٤) ، وقيل سعيد بن سليمان بن سعد بن ابراهيم (٥) . وقد كان عبد الواحد النصري ، رجلا صالحا ، يتعفف في حالاته كلها ويذهب مذاهب الخير ، لايقطع أمرا الا استشار فيه القاسم

---

(١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٩ .

(٢) عن ولاية عبد الواحد النصري المدينة ومكة مع الطائف وقدومه المدينة ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ص ٣٣٢ - الطبري : تاريخ الامم ، ١٤٠،١٢/٧ - ابن الأثير الكامل ، ١٨٨/٤ - ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ - ابن خلدون : العبر ، ١٣٩،٨٤/٣ - القلقشندي : مآثر ، ١٤٩/١) .

(٣) سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، من رواة الحديث الثقات ، كان من سادات قريش ، دينا عفيفا ، تولى قضاء المدينة ، فكان يتقي بعد عزله كما كان يتقي وهو قاض . قيل : كانت وفاته سنة (١٢٦هـ على خلاف) . (ابن حجر : تهذيب ، ٤٠٢/٣-٤٠٤) .

(٤) سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني ، من رواة الحديث الثقات ، كان فاضلا عابدا ، أكره على القضاء ، وقيل ان قضاءه كان لابراهيم بن هشام المخزومي ، ووفاته (سنة ١٣٢هـ) . (ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٨/٤) .

(٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ - وكيع : اخبار القضاة ، ١٥٠/١-١٥١ .

وسالما . فلم يقدم على اهل المدينة احب منه [١] ، واستمر فيهم حتى عزله هشام (سنة ١٠٦هـ) ، بعد ولاية دامت سنة وثمانية اشهر [٢] .

وقبل ان نترك اقليم الحجاز لاباس من الاشارة الى خبر ينفرد به ابن الجوزى [٣] ، لانجده عند غيره اذ يقول : "ومن اولاد عمر بن عبد العزيز ، عبد العزيز ولى المدينة ومكة ليزيد بن عبد الملك" . واظنه وقع فى لبس . فعبد العزيز بن اسيد كان عاملا لعمر بن عبد العزيز على مكة ثم اقره يزيد ثم عزله . ولااراه الا وقع فى لبس بينهما ، اذ لم يرد ذكر عبد العزيز بن عمر فى عمال يزيد على المدينة او غيرها .

وقد اقام الحج فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، عبد الرحمن بن الضحاك (سنة ١٠١هـ ، سنة ١٠٢هـ ، وسنة ١٠٣هـ) كما اقامه عبد الواحد النصرى [٤] ، (سنة ١٠٤هـ) . وفى هذا دلالة ، على ان امير المدينة فى زمنه كانت له امارة الحاج اذ ان امارة مكة كانت فى (سنتى ١٠١هـ، ١٠٢هـ) لعبد العزيز ابن اسيد ، فلم يعهد اليه بذلك .

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٧/١٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٦/٣٨٧-٣٨٨ - ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٨٨ .

(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٨٨ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١١ . وقد ورد عند ابن حبيب فى كتابه المحبر ، ص ٢٨ ، عند ذكره أمراء الحج من يزيد قال : ويقال اقامه - اى اقام الحج - سنة ١٠١هـ ، عبد العزيز بن عمر ، لكنه لم يصرح بولايته .

(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، طبعة دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ٢/٣١٤ - ابن حبيب : المحبر ، ص ٢٨ (واضاف : وقيل اقام الحج سنة ١٠١هـ عبد العزيز بن عمر) . وهذا خبر غريب لعدم ورود خبر بولاية هذا امارة مكة او المدينة زمن يزيد . الا ماذكره ابن الجوزى عن ذلك متفردا به عن غيره ، مما دفعنا الى التشكيك فيه واعتباره من باب اللبس . (انظر أعلاه) .

## عماله على اليمن :

اقر الخليفة يزيد على اليمن عروة بن محمد السعدى (١)، وكان قد ولى عليها من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك، ثم اقره عمر بن عبد العزيز، ومن بعده الخليفة يزيد.
وقيل : بل كانت ولايته عليها من قبل عمر فاقره يزيد (٢)، فظل عليها حتى عزله عنها (سنة ١٠٣هـ)، وقد كان في ولايته من صالح العمال، عفيفا عن اموال المسلمين، خرج من اليمن وما معه سوى سيف ومصحف (٣). ومما يؤسف له ان المصادر لم تقدم لنا شيئا عن اسباب عزله.

واستعمل الخليفة يزيد على اليمن بعده مسعود بن غوث الكلبي (٤)، فبقى عليها حتى خلافة هشام بن عبد الملك (٥). ولانعرف شيئا عن السياسات التى اتبعها، سوى بعض الاجراءات المالية (٦).

---

(١) عروة بن محمد بن عطية السعدى الجشمى، من خيار الناس حليما، عفيفا، وهو من رواة الحديث الثقات. عاش الى مابعد الثلاثين ومائة من الهجرة. (ابن حجر : تهذيب، ٧/١٦٨-١٦٩).

(٢) عن ولاية عروة بن محمد على اليمن، (انظر : ابن خياط تاريخ ابن خياط، ص ٣٢٣،٣١٨،٣٣٢ ـ ابن سعد : الطبقات ٣١٤/٥ ـ ابن حجر : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث)، ص ٣٠٥).

(٣) ابن حجر : نفس المصدر والجزء، ص ١٦٩.

(٤) لم اعثر على ترجمته.

(٥) ابن حجر : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ الكبسى : اللطائف السنية فى اخبار الممالك اليمانية، مخطوط مكتبة كورسنى، ايطاليا، رقم ٣٦٢، مكروفيلم، بمركز البحث العلمى، جامعة ام القرى، رقم ١١٧٠، تاريخ، ورقة ٢ب ـ يحيى بن الحسين : غاية الامانى فى اخبار القطر اليمانى، ص ١١٨ (والاخيران ذكرا ولاية مسعود ولم يشيرا الى اقرار عروة بن محمد).

(٦) سنشير الى تلك الاجراءات، خلال دراستنا لسياسة الخليفة يزيد المالية (المبحث الثانى).

لكن حسين عطوان[1] ، يذكر ان عامل يزيد على اليمن وحضرموت ، هو الضحاك بن زمل السكسكي[2] ، من اهل بيت لهيا من قرى دمشق . وهو يخالف بذلك ما اوردناه عن عمال يزيد على اليمن ، ولعل الضحاك ان صحت هذه الرواية ، كان على حضرموت وعروة ثم مسعود اللذين قدمنا ذكرهما ، كانا على اليمن .

عماله على العراق والمشرق :

ادت احداث اقليم العراق الى توجيه سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك نحو ذلك الاقليم . فيبدو ان قيام يزيد ابن المهلب بحركته مستهل عهد الخليفة يزيد ، في البصرة من ارض العراق ، قد ادى الى اتخاذ خطوات وسياسات ادارية وعسكرية فرضتها الظروف .

فابتداء ، اقر الخليفة يزيد اميرا العراق من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وهما : عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، وعدي بن ارطاة على البصرة[3] . وذلك في محاولة منه للاستفادة من استقرار الاوضاع في الاقليم ، ورضا الناس عن سياسة سلفه عمر وعماله ، في كبح جماح ابن المهلب وواد حركته في مهدها .

الا ان فشل عامليه على العراق في منع ابن المهلب من دخول العراق ، والوقوف في وجه حركته ، ادى الى توجيه اخيه

---

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩ .
(٢) لم اعثر له على ترجمة .
(٣) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٧٦/٦-٥٧٨ – ابن اعثم : الفتوح ، م٤/٢٤٢ – مجهول : العيون ، ٥١/٣ – ابن الاثير : الكامل ، ١٦٨/٤ . (وانظر ترجمتيهما قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ، ص ١٣٨) .

مسلمة بن عبد الملك وابن اخيه العباس بن الوليد على رأس جيش كبير الى العراق ، للقضاء على ابن المهلب[1] ، ومن ثم تعيين مسلمة اميرا للعراق والمشرق كله ، كمكافأة له على انتصاره على يزيد بن المهلب ، واستكمالا لسحق جيوب المقاومة ، وتتبع من فر من المهالبة نحو قندابيل من أرض السند ، واعادة الاستقرار والهدوء لذلك الاقليم الهام فى الدولة الاسلامية[2] .

فلقد فرضت خطورة الموقف ، المتمثل فى حركة ابن المهلب ، الى اختيار الخليفة لرجل من اكفا رجال دولته ، وهو اخوه مسلمة ، لمواجهة ذلك الخطر الذى يتهدد كيان الدولة فى العراق . وهذا مالجأ اليه عبد الملك عندما اختار الحجاج بن يوسف الثقفى لامارة العراق[3] . بل وسبقه اليه معاوية رضى الله عنه عندما استعمل عليه زياد بن ابيه .

وكما كانت ظروف العراق دافعا لتعيين نوع معين من الولاه ، فقد ادت ايضا الى توحيد العراقين تحت امرة امير واحد ، بل وجعل لهم الاشراف على الشرق كله يولون العمال ويوجهون الفتوحات والسياسة فيه ، ويكون هؤلاء العمال مسئولين امامهم . وقليلا ماولى الخليفة أمراء المشرق من

---

(١) من اجل توجيه مسلمة الى العراق ، ودوره فى القضاء على حركة ابن المهلب ، (انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٧٣ ومابعدها ) .

(٢) ذهب الى مثل هذا القول ، محمد عبد الحى شعبان : الثورة ،ص١٦٤.

(٣) ثابت الراوى : العراق ، ص ٥٣ .

قبلـه ، واحيانـا يوصى امير العراق بتعيينهم[1] . والغاية من ذلك ان يكون المصران خاضعين لمشيئة رجل واحد وسياسة واحدة، لئلا تضطرب الامور باختلاف النزعات لو استقل كل مصر عن الآخر[2]، ولمـا فـى ذلـك مـن قوة للأمير تمكنه من مواجهة الفتن التى طالما كان ذلك الاقليم ميدانا لها .

وتختلف المصـادر عـلى ولايـة مسلمة بن عبد الملك أمر العـراق والمشـرق ، فمنها مايجعل ذلك قبل القضاء على حركة[3] يزيـد بـن المهلب فتقول : أن الخليفة يزيد جمع لمسلمة فى (اواخـر سـنة ١٠١هـ) امر العراق والمشرق ، وامره بمحاربة ابن المهلب .

ومـن المصـادر مايجعل ذلك بعد فراغ مسلمة من حرب ابن[4]

---

(١) حدث هذا فى عمر يزيد عندما أمر عامله على العراق عمر ابـن هبـيرة بتوجيه سعيد بـن عمرو الحرشي الى ولاية خراسـان . وهـذا التدخل فرضته ظروف ذلـك الاقليـم المتمثلـة فـى تمـرد الصغد وهجمات الترك على الممالك الاسلامية فيمـا وراء النهر . (انظر ذلك بعد : ص ٤٨٣-٤٨٤) .

(٢) ثابت الراوى : العراق ، ص ٥٥،٥٩ .

(٣) ابـن خيـاط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٥،٣٢٨ ـ الذهبى : دول الاسلام ، ٥٢/١ ـ الذهبى : العبر فى خبر من غبر ، ١٢٢/١ ـ اليـافعى : مرآة ، ٢٣٩/١-٢٤٠ ـ ابن العماد : شذرات ، ١٢٢/١ ـ ابـن العـبرى : مخـتصر ، ص ١١٥ ـ المقدسى : البدء ، ٤٧/٦ (وقد اضاف الى الاسم زيد فقال زيـد بـن مسـلمة مخطئـا . والمقدسى وابن العبرى ذكرا مخطئين : ان الخليفـة يزيـد ولـى ابـن هبيرة العراق والمشرق وبعث مسلمة لقتال ابن المهلب . وهذا خبر شاذ فولاية ابن هبيرة جاءت بعد عزل مسلمة بن عبد الملك) .

(٤) عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ١٤١ (نقلا عن الطبرى : تاريخ الأمـم ، ٦٠٤/٦ ـ ابـن خلكـان : وفيات ، ٣٠٧/٦) . وقد ذهـب الـى تقـديم القول بولايته بعد حرب ابن المهلب ، كما قلنا اعتمادا على نص ابن خلكان بذلك ـ ابن الاثير الكامل ، ١٧٧/٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٨/٩ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ . وهناك مصادر لم تحدد متى كانت ولايته مشيرة اليها فحسب كابن قتيبة : المعارف ، ط٤ ، ص ٣٥٨ ـ البـلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ ـ أبو حنيفة الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٣١٨ .

المهلب (اوائل سنة ١٠٢هـ) . والقول الاخير هو مانرجحه ، اذ لم يقم الخليفة يزيد بعزل عاملي عمر على العراق ، وظلا على ماهما عليه حتى غلب ابن المهلب على البصرة ، فاسر وسجن اميرها عدى بن ارطاة وظل فى سجن ابن المهلب ، حتى قتله معاوية بن يزيد بن المهلب صبرا بواسط ، بعد هزيمة ابيه ومقتله فى العقر .(١)

وقد خضع لابن المهلب خلال حركته بعض الاقاليم القريبة من البصرة ، ولى عليها رجالا من قبله ، فظلوا عليها حتى قضى عليه ، فعزلهم مسلمة واستعمل غيرهم .(٢)

وبقى عبد الحميد بن عبد الرحمن على الكوفة ، حتى نزل مسلمة ارض العقر للقاء ابن المهلب ، فعزله مسلمة عن الكوفة ، وولاها ذى الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عتبة ابن ابى معيط . وتعزو المصادر اسباب عزله الى استقلال مسلمة عدد الرجال الذين بعثهم عبد الحميد كمدد لمسلمة من اهل الكوفة ، ولعدم سيطرته على اهلها ومنعهم من الانضمام الى ابن المهلب .(٣) وان كان فى عزل عبد الحميد من قبل مسلمة اشارة لسلطان مسلمة على العراق ، او قرينة تؤيد القول بان امر تولية مسلمة كان قبل حرب ابن المهلب . الا ان هذا

---

(١) من اجل تصدى عدى لحركة ابن المهلب فى البصرة ، وما آل اليه امره ، (انظر : قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٤٠ ومابعدها) .

(٢) من الاقاليم والمدن التى استولى عليها ابن المهلب ابان حركته : البصرة ، عمان ، البحرين ، الاهواز ، فارس ، كرمان ، بكرمان ، السند ، الهند وغيرها . انظر اسماء من استعملهم عليها قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٥٩ .

(٣) انظر دوره فى مواجهة حركة ابن المهلب ، حتى تم عزله من قبل مسلمة اوائل سنة ١٠٢هـ قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٣٨-١٣٩، ١٥٠، ١٨٦-١٨٨، ١٨٩ ومابعدها .

السلطان فيما يبدو كان سلطانا عسكريا . والعراق في ساعة فتنة ، حق للقائد العام خلالها ، اتخاذ التدابير الكفيلة بانتصاره .

وبعد ان فرغ مسلمة من امر ابن المهلب ، جاءته ولاية العراق والمشرق . فاتخذ من مدينة الحيرة مركزا جديدا لادارة الاقاليم التابعة له ، ولعل ذلك راجع لبعدها عن احداث حركة ابن المهلب ، و بقائها بمنأى عن العصبيات القبلية والاهواء السياسية ، التي كانت تعج بها مدن العراق المهمة الكوفة وواسط والبصرة .(١)

ومنها وجه عماله ، فاستعمل على البصرة عبد الرحمن بن سليم الكلبي ، وكان قد قام بامرها بعد خروج آل المهلب منها شبيب بن الحارث المازني ، تراضى عليه اهلها فضبطها . لكن مسلمة عزله وولى الكلبي ، وعلى شرطتها واحداثها عمر ابن يزيد التميمي . فما لبث مسلمة ان عزل عبد الرحمن ، عندما بلغه من عمر التميمي ارادته استعراض اهل البصرة ، او كما قال ابن خلدون : قتل شيعة بني المهلب ، فولى امرها (٢) عبد الملك بن بشر بن مروان ، واقر عمر على الشرطة والاحداث (٣) فاستقضى عبد الملك بن بشر ، النضر بن انس بن مالك ، ثم (٤) ولى مسلمة قضاءها موسى بن انس بن مالك سنة ١٠٢هـ . ولعل في عزل (٥)

---

(١) عواد الاعظمي : مسلمة ، ص ١٥١ وهامش ٥٤ .

(٢) العبر ، ٨٠/٣ .

(٣) لم اعثر على ترجمة له .

(٤) موسى بن انس بن مالك الانصاري قاضي البصرة ، تابعي من رواة الحديث الثقات . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٨/١٠-٢٩٩) .

(٥) عن عمال مسلمة على البصرة ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٢ (لكنه لم يشر الى عزل عبد الرحمن الكلبي بعبد الملك بن بشر فقال : "ثم قدم =

مسلمة عبد الرحمن الكلبى لعزمه قتل شيعة آل المهلب ردا كافيا على من قال بتعصب الحكومة لقيس وتحاملها على اليمنية .

اما الكوفة فقد اشرنا الى استعمال مسلمة لذى الشامة عليها ، فظل عليها حتى عزله عنها عمر بن هبيرة (سنة ١٠٣هـ)(١) . واقر على قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود(٢) . وقد كان على ذلك منذ عهد عمر(٣) .

وقد استكتب مسلمة فى ولايته على العراق ، سميع مولاه ، وجعل على ديوان الرسائل الليث بن ابى رقية مولى ام الحكم بنت ابى سفيان ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخشنى،(٤) وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولى لأهل اليمن من فلسطين، وقيل بل رجاء بن حيوة الكندى(٥)(٦) .

---

= مسلمة بن عبد الملك وهو على العراق عبد الرحمن الكلبى مسلمة ، ثم ولى مسلمة عبد الملك بشر بن مروان" ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٤-٦٠٥ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٧٧/٤ (أورد الحارث فى اسم شبيب بن الحارث الحرث ، وكذلك أورد سليم فى اسم عبد الرحمن ابن سليم ، سليمان) .

(١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ . وانظر قبل : ص ٤٦٢ .

(٢) القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلى، الامام المجتهد ، قاضى الكوفة ،ولد صدر خلافة معاوية ، من رواة الحديث الثقات . كان لاياخذ على قضائه شيئا ، فقد كان فى كفاية . توفى (سنة ١٢٦هـ) . (الذهبى : سير ، ١٩٥/٥-١٩٦) .

(٣) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٨/٦ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ .

(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨١ .

(٥) رجاء بن حيوة بن جرول ، ابو نصر الكندى الأزدى ، ويقال الفلسطينى ، الامام القدوة ، العادل ، الفقيه ، من جلة التابعين ، من رواة الحديث ، وكان ثقة ، عالما فاضلا ، كثير العلم . وكان سيد أهل الشام فى انفسهم . عمل على عقد الخلافة لعمر بن عبد العزيز بعد سليمان ، وكان كبير المنزلة عند سليمان وعمر ، ثم اخر بعد ذلك، فاقبل على شانه . وكان يزيد بن عبد الملك يجرى عليه ثلاثين دينار فى كل شهر ، فقطعها هشام ثم ردها . أدرك معاوية وتوفى سنة ١١٢هـ . (الذهبى : نفس المصدر ، ٥٥٧/٤-٥٦١) .

(٦) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ عواد الأعظمى : مسلمة ، ص ٧٦ .

وفي ذلك قرينة على الاعتماد على الصالحين من الناس كرجاء في حكومة يزيد بن عبد الملك ، ودليلا على الاعتماد على العنصر اليمني في ادارة العراق في زمن يزيد . مما يدفع القول بابعادهم عن ادارة المشرق ، وان كانت المضرية قد اختصت بالولاية الكبرى في العراق بعد حركة ابن المهلب .

عماله على الاقاليم الشرقية :

كانت خراسان تحت امرة عبد الرحمن بن نعيم الغامدي منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فلما قام ابن المهلب بحركته في العراق بعث اليها اخاه مدركاً بن المهلب في محاولة للاستيلاء عليها وضمها اليه ، فمنعه من دخولها عبد الرحمن بن نعيم بمساعدة تميم (١) .

وكان الخليفة يزيد قبل قيام ابن المهلب بحركته ، قد وجه الى خراسان عبد الرحمن بن سليم الكلبي عاملا ، فبلغه وهو في طريقه اليها خروج ابن المهلب ، فكتب الى الخليفة يزيد يفضل رغبته في حرب ابن المهلب على امارة خراسان (٢) ، فانضم لمسلمة قائد الجيوش الأموية الموجهة للقضاء على حركة ابن المهلب (٣) .

---

(١) انظر موقف عبد الرحمن بن نعيم قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ، ص ١٦٠ .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ٥٨٤/٦-٥٨٥ - وانظر قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٤٥ .

(٣) لعل في استعمال عبد الرحمن بن سليم الكلبي اليمني على خراسان قبل قيام ابن المهلب بحركته دليلا على عدم تعصب الخليفة يزيد للقيسية ، وان موقفه من المهالبة، والاعتماد في ادارة الاقاليم الشرقية من الدولة على العنصر المضري،قد جاء على أثر تلك الحركة ، فيما ظل الاعتماد على القيادات اليمنية في كثير مما عداها من اقاليم الدولة .

ويبدو أن الخليفة قد علم بموقف عبد الرحمن بن نعيم من تلك الحركة ، وثباته على الولاء لدولته ، من خلال تصديه لمدرك بن المهلب ومنعه من دخول خراسان فاقره عليها ولم يبعث احدا بعد عبد الرحمن الكلبي ،حيث امن انضمام خراسان لخصمه يزيد بن المهلب .

ولاية سعيد بن عبد العزيز على خراسان (سنة ١٠٢هـ) :

وبعد ان جمعت امارة خراسان مع العراق لمسلمة بن عبد الملك ، استعمل على خراسان (سنة ١٠٢هـ) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابى العاص بن اميه ، وقد قيل : ولاه لانه ختنه ، فهو زوج ابنة مسلمة .(١)

وبولاية سعيد على خراسان ، عادت سيطرة مضر على الادارة فى خراسان ، حيث استعادت تميم بعض مافيها الذى اخذ بالانهيار .(٢) فقد سيطرت اليمنية على زمام الادارة هناك ابان عهد سليمان وخلفه عمر .(٣) وكذلك شطرا من زمن الخليفة يزيد ، وهى تلك الفترة التى استمر فيها عبد الرحمن بن نعيم

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ – ابو حنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ، ص ٣١٨ – الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٥/٦ – اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢ – ابن الاثير : الكامل ، ١٧٧/٤ – ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٨/٩ .

(٢) ذهب الى مثل هذا القول ، ناجى حسن : القبائل ، ص ٢٠٠

(٣) كان سليمان قد ولى خراسان يزيد بن المهلب الأزدى وعزل عنها وكيع بن ابى الأسود الذى قام بامرها بعد قيامه على قتيبة وقتله اياه . ثم ولاها عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمى بعد عزله يزيد بن المهلب ثم من بعده عبد الرحمن بن نعيم الذى استمر حتى خلافة يزيد ، وكل هؤلاء من اليمنية . (انظر : ابن الأثير : نفس المصدر ، ١٤٤/٤-١٤٥،١٥٧-١٥٨) .

اليمني عامل عمر في ولايتها حتى تم عزله بسعيد بن عبد العزيز . فان خذينة لما ولي امرها قدم اليها قبل مسيره بشهر سورة بن الحر من بني دارم . فاستعمل هذا شعبة بن ظهير النهشلي على سمرقند[1][2] . الا ان سعيدا قام بعزله عن سمرقند في العام نفسه (١٠٢هـ) وولى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشخير ، وولى الخراج سليمان بن ابي السري مولى لبني عوانة[3] . كما استعمل على هراة معقل بن عروة القشيري[4] .

وكل هؤلاء الذين ولاهم سعيد بن عبد العزيز ، من مضر .

وقد كان لأحوال الاقليم من جراء تمرد الصغد وتدخل الترك فيما وراء النهر ، دور كبير في فشل سياسات سعيد بن عبد العزيز ، وانتهاء الأمر بعزله ، فمع انه كان حريصا على سيادة المسلمين ، محرضا اياهم على الصبر والشجاعة[5] ، لمواجهة الاخطار ، الا انه فيما يبدو كان مقدما للاسلوب السلمي مع المتمردين من الصغد والمحاربين من الترك فيما

---

(١) كانت بلاد ماوراء النهر ، ومدنها الشهيرة كبخاري وسمرقند وفرغانة ، تخضع اداريا لحكومة خراسان التي كان مقرها مدينة مرو شاهجان . وكان يعين على بخاري امير وعلى سمرقند امير وهذان لهما سلطات محدودة ويخضعان لامير خراسان . (فامبري : تاريخ بخارى ، ص ٧٣) .

(٢) عن تقديم سورة بن الحر وولاية شعبة بن ظهير سمرقند ، (انظر : الطبري : تاريخ الامم ، ٦/٦٠٥-٦٠٧ – ابن الاثير الكامل ، ٤/١٧٧-١٧٨ – ابن خلدون : العبر ، ٣/٨٠) . (والاخيران جعلا ولاية شعبة على سمرقند من قبل خذينة ، والاصح من قبل سورة فعزله خذينة بعثمان) .

(٣) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٧ – ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٨ – ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٩/٢٤٨ .

وراء النهر . حيث كان يكتفي بصدهم ، والانتصار عليهم ساعة اللقاء ، ويمنع بعد ذلك جنده من تتبعهم واللحاق بهم ، مما اوقعه في مواقف حرجة ، واطمع فيه الاعداء مما دعاهم الى معاودة قتاله والانتصار عليه احيانا (١) . وكان اذا بعث سرية فاصابوا وغنموا وسبوا ، رد السبي وعاقب السرية ، فثقل على الناس ، وضعفوه (٢) . كما بالغ في المرونة ومحاولة ارضاء اهل خراسان ، فانه عندما وصلها ، لم يكن له علم باهلها فاستشار قوما من الدهاقين ، فيمن يولى على الكور ، فاشاروا عليه بقوم من العرب فلما ولاهم ، شكوا ، فسال عنهم الناس ، فاخبره عبد الرحمن القشيري عامل عمر بن عبد العزيز على خراج خراسان انهم ممن لايخالف المشركين واشباههم ، فاستبدلهم بآخرين (٣) . كما أن اتسام شخصه باللين والتنعم والسهولة لدرجة لقب معها بخذينة (٤) ، لم يمكنه من السيطرة على الموقف في ذلك الاقليم المضطرب (٥) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ - البلاذري : انساب ، ١٦١/٥-١٦٢ (وانظر ماكتبناه عن لينه وسعيه للمسالمة مع الاعداء قبل : الباب الثاني ، الفتوحات فيما وراء النهر ، ص ٣٤٣ ومابعدها) .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ٨١/٣-٨٢ (ويشير في قصة مقتل حيان النبطي وهو رجل من الموالي اشتهر في خراسان بعد مشاركته في مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي ، الى أن من الموالي من كان يرفض سياسة اللين التي اتبعها سعيد تجاه المفسد المتمردين ، وانه كان ممن يفضل تتبعهم واستئصال شأفتهم . ومن اجل ذلك حدث بينه وبين سورة بن الحر خصام لخروجه عن الالتزام باوامر الوالي في عدم اللحاق بالاعداء . فشكاه سورة الى سعيد وخوفه غدره وانه عدو للعرب والوالي ، فوضع له سعيد مسحوق ذهب في لبن واسقاه ، فمات) - واورد هذه القصة ايضا الطبري : تاريخ الامم ، ٦١٤/٦ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٠/٤ .

(٣) عبد الله الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) انظر ماكتبناه عن هذا اللقب قبل : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣١٧-٣١٨ .

(٥) عبد الله الخطيب : نفس المرجع والصفحات .

والحقيقة ان خراسان تعتبر في ذلك الوقت جبهة قتالية فكان من الضرورة ان يتسم اميرها بالحزم والخشونة ، وان يكون جامعا لصفات القائد العسكرى ، والادارى المحنك ، للزوم قيامه بقيادة الجيوش الفاتحة والقوى المدافعة ، الى جانب دوره كرجل ادارة لذلك الاقليم الكبير ، يدير شئونه ويرعى اهله .

وقد اتخذ عبد الله الخطيب (١) ، عدم نجاح سعيد بن عبد العزيز في ضبط الأمور سببا في لجوئه الى سياسة العنف ، وذلك بلجوئه الى القيام ببعض الاعتقالات لعمال تولوا ليزيد ابن المهلب بعض الاعمال خلال امارته على خراسان في خلافة سليمان ، وآخرين تولوا بعض الاعمال لعمر بن عبد العزيز ، مستعينا بدهاقين خراسان . والصحيح انه لاعلاقة لتلك الاعتقالات باحوال الاقليم المضطربة .

ويذهب ناجى حسن (٢) الى تفسير اعتقال سعيد بن عبد العزيز بعض رجالات الازد بتهمة احتجان (٣) فىء المسلمين ، بانه اتخذ مبررا للتنكيل بهم ، تنفيذا للسياسة الجديدة التى تقضى بتصفية الازد بشتى الطرق ، وكانه يشير الى ان سياسة الخليفة يزيد تقضى بتصفية الازد اليمنيين كونهم قبيلة خصمه يزيد بن المهلب .

ويقرر عبد الله الخطيب ماذهب اليه ناجى حسن فيقول : "وقد لقيت قبائل الأزد اليمن عنتا على يديه - يعنى

---

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢١-١٢٢ .
(٢) القبائل ، ص ٢٠٠ .
(٣) الحجنة : ما اختزنت من شىء واختصصت به نفسك ، ومن ذلك يقال للرجل اذا اختص بشىء لنفسه قد احتجنه لنفسه دون اصحابه ، واحتجن الشىء : احتوى عليه . انظر : اللسان (حجن) .

يزيد بن عبد الملك ـ بوجه عام وخصوصا فى خراسان ، فابعدوا واهينوا وعذب الموالون للمهالبة او المتهمون بذلك واخذت اموالهم" .(١)

ويبدو ان قول هذين المؤرخين ليسا من الدقة بمكان ، فلقد رفع الى سعيد ، ان ثمانية من عمال يزيد بن المهلب على راسهم جهم بن زحر الجعفى(٢) ، اختانوا اموالا من فىء المسلمين ، فحبسهم وشدد عليهم ليقروا بما عندهم ، فمات بعضهم فى العذاب واخرج من بقى منهم ، وقد ابدى ندمه على من مات ولم يكن يريد ذلك(٣) . فالمسالة مالية بحتة ، وهذا الاعتقال محاسبة على مال وتحقيق فى تهمة .

ومما يبين ان سعيدا لم يكن هدفه من وراء ذلك تتبع اليمنية والتنكيل بهم ، ماكان منه من اعتقال لعمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى عامل خراج خراسان زمن عمر بن عبد العزيز ، وحبسهم ، بتهمة ان عندهم اموالا من الخراج ، فضمن عنهم القشيرى سبعمائة الف(٤) ، ثم لم ياخذه بها . ونحن

---

(١) الحكم الاموى فى خراسان ، ص ١٢٤ (نقلا عن : ولهوزن : الدولة العربية ، ص ٣١٠) .

(٢) جهم بن زحر الجعفى ، والى جرجان ، كان من الاشراف الشجعان ، خرج مع يزيد بن المهلب بالعراق وولى له اعمالا ، قبض عليه فى خراسان ، فعذب ومات فى العذاب ، سنة ١٠٢هـ . (الزركلى : الاعلام ، ١٤١/٢) .

(٣) البلاذرى : انساب ، ١٦٢/٥ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٦/٦-٦٠٧ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٧٧/٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٨/٩ (قال : اخذ منهم اموالا جزيلة . وان صح قوله ، ففيه اشارة الى صحة التهمة) ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .

(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٠٦ ـ ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة (ولم يذكر سبب اخذهم) ـ ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة (لكنه لم يذكر ضمان عبد الرحمن القشيرى وتدخله) .

لانعلم لماذا تركها ، اذلك تهاونا فى أموال المسلمين ، وهو تفسير لايتفق مع تشدده فى محاسبة من اتهموا بذلك ، أم اتضح له براءتهم من التهمة التى الصقت بهم فاطلقهم ، وهذا أولى وللعلم ان عبد الرحمن القشيرى ، مضرى لايمنى ، مما يدل على ان الامر مالى ، والمحاسبة شملت من اتهم سواء كان يمنيا أو مضريا . بل ان حرصه على أموال المسلمين ومحاسبته على من اختان شيئا منها ، لم يتوقف على عمال الولاه السابقين ، فقد عمد سعيد الى محاسبة ابى سعيد معاوية بن الحجاج الطائى ، وهو أحد عماله ، بعد ان اتضح انه قد بقى عنده شىء من أموال المسلمين ، فأخذ به ، وسجن واوكل به من يحاسبه ويستاديه ، فضيق عليه ، فاستشفع قبيلة قيس ، وكان له دور محمود فى حرب العدو بوقعة قصر الباهلى (١) وبدا فى استنقاذ القيسية ، فتدخلوا فى امره ، فخلا سبيله (٢) .

ومما يقوى ماذهبنا اليه ، من ان سعيدا لم يعمل على تصفية الازد ، وان سياسته كانت موجهة بوازع من العصبية ، قوله عن نفسه : "سميت خذينة لانى لم اطاوع على قتل اليمانية فضعفونى" (٣) . وهذا مايبين قصور نظر بعض المؤرخين الذين يعمدون الى تفسير كثير من الحوادث فى ضوء روح العصبية القبلية ، أو النزعة الشعوبية ، والاعتماد على بعض النصوص وترك نصوص اخرى ، اذا ماتفحصت قد يكون فيها تفسيرا لكثير من المواقف ودفعا لكثير من التهم .

---

(١) انظر ماكتبناه عن هذه الوقعة قبل : الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣٢٠ ومابعدها .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٦/٦١١-٦١٢ ـ ابن الاثير : الكامل ، ٤/١٧٩ .

(٣) البلاذرى : أنساب ، ٥/١٦١-١٦٢ .

ونحن لاننفي وجود العصبية القبلية ، بل ان قول سعيد خذينة السابق فيه اشارة الى وجود تيار يدعو الى حرب اليمنية ، ولابد انه من ناحية المضرية . لكن امير خراسان الذي يمثل الدولة ، كان يريد ان تظل الدولة فوق مستوى الاحداث محتوية لكل الصراعات ومختلف النزعات ، الا ان سياسته وشخصيته لم تعجب الكثير ممن حوله ، فسعوا في عزله عند امير العراق (١) .

ونجد ان مسلمة نفسه عمد الى محاسبة عمال ابن المهلب ومن ذلك ماروي ان مسلمة (٢) استدعى صالح بن عبد الرحمن صاحب الخراج ايام ابن المهلب ، وكان بالشام عند اخيه يزيد بن عبد الملك . فاتهمه بانه رفع الى يزيد بن المهلب ستمائة الف درهم ، دون ان ياخذ بها تاييدا منه باستلامها ، فعذبه حتى مات في سجنه (٣) . ومن الواضح ان تلك التهم لم تات من فراغ ، وان الخلفاء والولاة لم يعمدوا الى محاسبة العمال بدون قرائن او دلائل . وهذا يدل على ان اضطراب الأحوال في الشرق الاسلامي ساعد على شيء من الفساد الاداري والمالي ، وهذا مادفع الدولة الى اتخاذ الأساليب الكفيلة باستئصاله . ويقال ان مسلمة عمل على سحق ماتبقى من مراكز المقاومة ، واخرج افراد اليمنية جميعا من مناصبهم (٤) .

---

(١) البلاذري : انساب ، ١٦٢/٥ .
(٢) هناك رواية تقول بان ذلك تم على يد عمر بن هبيرة امير العراق بعد مسلمة ، (انظر ذلك بعد : ص ٤٨٢) .
(٣) نافع العبود : آل المهلب ، ص ٩٢-٩٣ (نقلا عن / الجهشياري : الوزراء ، ص ٥٨) .
(٤) محمد شعبان : صدر الاسلام ، ص ١٥٤ (نقلا عن / الطبري ، ١٤١٦/٢-١٤١٨) . ولن نجد نحن في الطبعة التي بين ايدينا من تاريخ الأمم للطبري ، شيئا من هذا القبيل ، وان كان غالب العمال في هذا الاقليم بالذات كان من =

ونحن في الحقيقة لانجد بين النصوص مايؤيد هذا القول وغاية ماعرفناه هو القضاء على ابن المهلب في العقر ، وتتبع الفرار من اهله في قندابيل وتصفيتهم ، ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم . ولم تعم الاجراءات التاديبية قبائل اليمن عامة ، او من شايع آل المهلب ، الا ان يكون قتيل معركة او اسير حرب ، اما الاعتماد على مضر في ادارة الشرق الاسلامي ، فقد دعت اليه ضرورة الفتنة ، وانضمام الازد اليمنية الى الخارج يزيد بن المهلب . وكان اعتمادا نسبيًا لا كليا .

ولاشك ان فتن اقليم العراق قد ساعدت على ظهور الفساد الادارى والمالي في حكومة ذلك الاقليم ، فقد ادت تلك الاضطرابات والفتن ، الى منح الاموال لكسب ود المتنفذين واستمالتهم ، كما ادى الى غض الطرف عن تجاوز بعض العمال في الاستيلاء على اموال المسلمين وصرفها في وجوه غير مشروعة من ذلك ماذكر عن استيلاء مسلمة على خراج العراق ، وعدم رفعه الى الخليفة في الشام ، فخجل من محاسبته ، واكتفى بعزله (١) .

كما يشير عبد الله الخطيب (٢) الى امثلة اخرى لتجاوز مسلمة واستغلال سلطانه ، فيذكر انه انهمك في استصلاح الاراضي وضمها الى املاكه ، مما ساعد على ظهور الملكيات الكبيرة .

---

= المضرية ، والسبب في ذلك حركة ابن المهلب ، اذ نجد الاعتماد على اليمنية فيما عداه من الاقاليم ، مما يبين ان الاعتماد على المضرية ليس تعقبا من الحكومة لها ، وانما فرضت ظروف الاقليم هذا النهج لضبط الامور وفرض السيادة .

(١) محمد على نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضي ، ص ١٩٧-١٩٩ .

(٢) الحكم الاموى في خراسان ، ص ١٢٣ .

وقد ارتأى الخليفة يزيد بن عبد الملك عزل اخيه مسلمة عن امارة العراق والمشرق . فأمر بذلك (اواخر سنة ١٠٢هـ ، او اوائل ١٠٣هـ) . بعد ولاية دامت ثمانية اشهر وقيل ستة .(١)

والمصادر تختلف حول اسباب عزله ، فمنها : مايشير الى ان ذلك عائد الى عدم رفعه لخراج العراق .(٢) وقيل : لاستحواذه على كثير من الأراضي الخراجية .(٣) وقيل : قدح فيه بانه غير مستأمن على الخراج .(٤) واشارت بعض المصادر ان ذلك تم لحاجة الخليفة الى قرب مسلمة وشوقه اليه .(٥)

ومنها مايعزو ذلك الى تعصب الدولة لقيس ، فعزل مسلمة بابن هبيرة القيسي .(٦)

والحقيقة ان هذه الأسباب مجتمعة فيها شيء من الوجاهة وان كنا نستبعد آخرها . فمسلمة مضرى ، ولو كانت الخلافة مافكرت في عزل مسلمة الا من اجل العصبية لقيس لكان مسلمة المضرى قادرا على القيام بهذا الدور . مع ان الشك يراودنا

---

(١) من اجل تاريخ عزله ومدة ولايته ، (انظر مناقشة عواد الأعظمي لذلك في كتابه : مسلمة ، ص ١٤١-١٤٢ ـ الطبرى تاريخ الأمم ، ٦١٥/٦ ـ اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١١/٢-٣١٢ .

(٢) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٥-٦١٦ ـ مجهول : العيون ، ٧٥/٣ ـ ابن الأثير : الكامل ، ١١٧/٤ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٠/٣ .

(٣) ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٩ (نقلا عن : ابن الأثير : الكامل ، ٤٠/٥ . ولم نجد هذا القول في النسخة التي اعتمدناها عليها . ولعله اراد الاستحواذ على الخراج ، فقال اراضي الخراج) .

(٤) عواد الأعظمي : نفس المرجع ، ص ١٤٤ (نقلا عن : مجهول : العيون ، ص ٧٥) .

(٥) مجهول : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ عواد الأعظمي : نفس المرجع ، والصفحة (نقلا عن : سيد على المرصفى : كتاب رغبة الأمل ، ١٦/٢-١٧) .

(٦) عواد الأعظمي : نفس المرجع ، ص ١٤٨ .

فى احتجانه الخراج ، حيث ان ولايته لم تبلغ العام ، وان كنا لانستبعد تجاوزه فى بعض الأحوال ، بسبب فتنة ابن المهلب يسند قولنا هذا رواية للاصفهانى ، تشير بوضوح الى انه قدح فى مسلمة حسدا ، وخوفوا الخليفة من أن يقتطع الخراج ، فلايستطيع الخليفة محاسبته ، لمكانته وسنه ، كاخ كبير ذى يد على يزيد وحق (١). مما يدل على ان الامر كان خشية من امر لم يقع . كما ان فى الخبر بحاجة الخليفة الى قرب مسلمة سببا وجيها ، خصوصا وأن مسلمة قائد عسكرى أكثر منه ادارى.

وقد يكون لتحرك الخزر على الجبهة الأرمينية ، ومقتل عامله على افريقية يزيد بن ابى مسلم على يد البربر نذير خطر دعا الخليفة الى استدعاء مسلمة ، للاعتماد عليه ان دعت الحاجة . كما أن بقاء مسلمة الى جوار اخيه وقربه طوال خلافته ، مشيرا وناصحا ومعينا ، وهذا مالمسناه من اخبار يزيد المتفرقة ، يشير الى انه لاخلاف بين الأخوين ، وأن ذلك العزل لم يثر حفيظة مسلمة ، ولعله كان مقتنعا بأسبابه .

## ولاية عمر بن هبيرة على العراق والمشرق :

ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة الفزارى (٢)

---

(١) الاغانى ، ٥/١٢٧-١٢٨ .

(٢) عمر بن هبيرة بن معاوية ـ وقيل معية ـ بن سكين ، الفزارى ، يكنى ابا المثنى ، أمير شامى من الدهاة الشجعان ، كان رجل اهل الشام وهو بدوى أمى ، قدم من البادية من بنى فزارة فافترض مع بعض ولاة الحرب ، كان يمنى نفسه بولاية العراق ، غزا مع عمرو العقيلى الروم فاظهر بسالة ونجابة ، ثم كان مع الحجاج يبعثه فى البعوث وقد سيره فى الجيش الذى بعثه للقضاء على مطرف ابن المغيرة بن شعبة ، فجاء برأسه وقيل هو الذى قتله ، وكان هذا قد خرج على الدولة ، فسيره الحجاج بالرأس الى عبد الملك ، فاقطعه ، ثم سيره الحجاج الى كردم الفزارى ليخلص مالا فارتاب منه عمر ، ولجأ الى عبد الملك وابدى خشيته من الحجاج لانه قتل ابن عمه ، فاجاره ، ومنع الحجاج عنه ، وعظم شانه عبد الملك وبنوه . وقيل انه عمل على بر ابنة للحجاج تزوجها أحد=

العراق وخراسان (سنة ١٠٢هـ وقيل اول سنة ١٠٣هـ)[1] ، مكان مسلمة بن عبد الملك بعد عزله . وكان الخليفة قد استحيا ان يبعث الى اخيه بعزله ، فكتب اليه : أن استخلف واقبل . فاستخلف عبد الرحمن بن سليم الكلبي[2] . وفي طريقه لقي عمر ابن هبيرة ، فلما ساله عن سبب مقدمه قال : وجهني الخليفة لحيازة اموال بني المهلب . وكان يزيد قد صرفه عن امارة الجزيرة واذربيجان[3] ، وولاه العراق وخراسان[4] .

---

= بني عبد الملك ، فاخبرت اباها فرضي عنه وطلب ان ينزل اليه حاجاته ، ثم استعمله عمر بن عبد العزيز على الجزيرة ، فغزا الروم ونمر ، واستمر على الجزيرة الى خلافة يزيد فعزله عنها ، وجمع له العراق وخراسان (سنة ١٠٣هـ) ، ثم عزله هشام (سنة ١٠٥هـ) بخالد القسرى فسجنه ، فاحتال على الهرب ، واستجار بمسلمة بن عبد الملك ، واخذ له الأمان من هشام . وقد غزا البحر (سنة ١٠٧هـ) ، ثم لم يلبث أن مات بالشام سنة ١٠٧هـ ، وقيل نحو ١١٠هـ . (انظر : الذهبي : سير ، ٥٦٢/٤ ـ الزركلي الأعلام ، ٦٨/٥-٦٩ ـ الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٥/٦-٦١٦ ابن الاثير : الكامل ، ١٨١/٤ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٢/٣) .

(١) سبب الخلاف انه لم يعرف الشهر الذى عزل فيه مسلمة أو ولي فيه ابن هبيرة ، (انظر التاريخ لولايته عند : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ ـ الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٧ ـ ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ١٧٧/٤) .

(٢) عن استخلاف مسلمة له وهو راحل الى الشام ، (انظر / ابن اعثم : الفتوح ، م٢٧٥/٤ ، وقد أورد معلومات مضطربة عمن ولي من قبل مسلمة ، ومن ولاهم يزيد على العراق وخراسان ابان فترة ولاية مسلمة وبعدها ، فلم نعتمد عليه لمخالفته جمهور المؤرخين . انظر منه ص ٢٥٩) .

(٣) هناك اشارات الى كتابته للخليفة يزيد ، (انظر قبل ص ٤٤٢ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٢/٣) . ولعل هذا كان بعد عزله عن الجزيرة وقبيل توليته العراق وخراسان .

(٤) من اجل استعمال ابن هبيرة على العراق ، (انظر : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٨،٣٣٥ ـ الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ٦١٥-٦١٧ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١١/٢-٣١٢ ـ ابن قتيبة : المعارف ، ط٤ ، ص ٣٦٤ ـ مجهول : العيون ، ٧٥/٣ ـ ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ الذهبي : نفس المصدر والجزء والصفحة . =

وتشير بعض المصادر الى ان حبابة جارية يزيد كانت (١) وراء استعماله على العراق . الا ان الناظر الى شخصية هذا الرجل من خلال ترجمته يجده من الرجال المؤهلين لادارة هذا الاقليم .

كما أن بعض المؤرخين المحدثين قالوا (٢) : بان تولية ابن هبيرة امر المشرق جاء لتنفيذ سياسة يزيد القائمة على أساس التعصب لقيس ، والهادفة الى ابعاد اليمنية والنيل منها . فيقول عماد الدين خليل (٣) : ان تعيين الخليفة يزيد لابن هبيرة القيسي الدم ، جاء من جراء التعصب القبلي ، فكانت ادارته متمشية مع ذلك ، ولقد لقيت قبائل الازد بوجه عام ، خصوصا فى خراسان ، على يديه عنتا كبيرا ، وعذب الموالون للمهالبة او المتهمون بذلك وأخذت اموالهم (٤) .

---

= ويشذ مخطئا ابو حنيفة الدينورى بالقول : ان يزيد عزل مسلمة بن عبد الملك وولى مكانه خالد القسرى (انظر : الاخبار الطوال ٣٢٠/١) . والصحيح ان ولاية خالد جاءت بعد عزل ابن هبيرة من قبل هشام . كما ينقل البلاذرى مخطئا : ان ولاية عمر بن هبيرة على العراق جاءت بعد وفاة يزيد بن عبد الملك من قبل اخيه هشام . (انظر : فتوح البلدان ص ٤١٦-٤١٧) .

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٨١/٤ ـ الاصفهانى : الاغانى ، ١٢٧/١٥-١٢٨ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٢/٣) .

(٢) من المؤرخين الذين فسروا تعيين ابن هبيرة على أساس العصبية القبلية ، (احسان النص : العصبية ، ص ٢٦٤ ـ فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٩-٢٦٠ ـ نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٣٠٤ ـ عمر ابو النصر : الايام الاخيرة للدولة الاموية ، المكتبة الاهلية ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٢م ، ص ١٢٦-١٢٧ ـ ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٣٣ ـ عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ١٤٨) .

(٣) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩٤ .

(٤) الاشارات التى وردت فى المصادر عن محاسبة بعض الازد من عمال يزيد بن المهلب ، ذكرت ان ذلك تم فى ولاية سعيد ابن عبد العزيز على خراسان وكان ذلك ابان فترة امارة مسلمة على العراق ، قبل ابن هبيرة ، وكنا قد وضحنا الاسباب الحقيقية لذلك ، وان ذلك قد تم بعيدا عن روح العصبية القبلية . (انظر قبل : ص ٤٦٩) .

ويبدو ان هؤلاء المؤرخين قد اعتمدوا في تفسيرهم هذا على انتساب ابن هبيرة الى قبيلة فزارة القيسية ، وبعض الاحداث والاقوال التي لايمكن الركون اليها ، دون النظر في مجمل سياسته وسيرته .

لقد كان ابن هبيرة عاملا لعمر بن عبد العزيز على الجزيرة ، فهو أحد عماله الذين كما يقول نبيه عاقل عنهم (١) : لم يكن تعيين عمر لهؤلاء على أساس من عصبياتهم القبلية ، او انتمائهم لقيس او يمن ، بل لكونهم اشخاصا مشهود لهم بالمقدرة والتقوى . فابن هبيرة اذا من اهل التقوى والمقدرة اللذين وثق فيهم عمر بن عبد العزيز واستعملهم . يدل على تقواه ، ماروى من استشارته الحسن البصرى وابن سيرين والشعبي في بعض اوامر الخليفة يزيد ، التي يخشى من جراء تنفيذها على دينه وفي عدم التنفيذ على نفسه ، فنصحوه وصدقه الحسن النصيحة ، فضاعف له العطية (٢) .

ومن حسن سياسته اجتهاده في استعمال اهل الصلاح والمقدرة ، من ذلك دعوته المسيب بن رافع الأسدى (٣) للقضاء ، الا انه ابى (٤) . وكذلك استعماله اياس بن معاوية المزني (٥) ، رغم تهربه من ذلك (٦) . ومن ذلك ايضا نصيحته لعامله على خراسان

---

(١) تاريخ خلافة بني امية ، ص ٢٥٦ .
(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٣٤٣/٢ ــ ابن خلكان : وفيات ، ٧١/٢ .
(٣) المسيب بن رافع الأسدى ، كوفى ، تابعى ، من رواة الحديث الثقات ، اهل العلم والدين . (ابن حجر : تهذيب ، ١٣٩/١٠) .
(٤) ابن سعد : الطبقات ، ٢٩٣/٦ .
(٥) اياس بن معاوية المزني ، البصري ، قاضيها ، من رواة الحديث الثقات ، عاقلا فطنا ، فقيها عفيفا ، مات سنة ١٢٢هـ . (ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤١/١-٣٤٢) .
(٦) انظر قصة استعماله عند : ابن قتيبة : نفس المصدر ، ٢٨/١ ــ ابن عبد ربه : العقد ، ٢١/١-٢٢ .

مسلم بن سعيد ، أن يستعين في عمله بأهل الصلاح والأمانة وان يدع للناس اختيار عمالهم (١) .

كما ان ابن هبيرة ومن جاء بعده من الولاه كخالد القسرى ، ويوسف بن عمر ، اتبعوا سياسة معتدلة مع العراقيين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وان كانوا قد عادوا الى سياسة الحجاج المالية (٢) .

وهناك جانب مهم الا وهو موقف ابن هبيرة من عصبيته قيس وموقفهم منه ، أكان منحازا لهم ؟ وهل كانوا راضين عنه ؟ لنتبين على ضوء ذلك صدق القول بتعصبه لقيس ، وتحامله على اليمنية .

فيبدو أن تعيينه اميرا للعراق لم يكن مقبولا من بعض القبائل المضرية ، فالفرزدق الشاعر يعز عليه عزل مسلمة واستعمال ابن هبيرة فيقول من شعر له متهكما :

راحت بمسلمة الركاب مودعا

فارعي فزارة لاهناك المرتع

ولقد علمت لئن فزارة امرت

أن سوف تطمع في الامارة اشجع

من خلق ربك ماهم ولمثلهم

في مثل مانالت فزارة يطمع (٣)

ويظهر أن ابن هبيرة اتخذ سياسة متوازنة ، ولم يمالىء قومه على حساب العصبيات الاخرى ، مما أثار ضغينتهم عليه ، اذ لم يرضوا منه بالقليل ، ومن هنا جاء قول شاعرهم :

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٧/٣٤-٣٥ ،وانظر بعد : ص ٤٨٩ .
(٢) ثابت الراوى : العراق ، ص ١٨٠ .
(٣) عواد الاعظمى : مسلمة ، ص ٧٢ .

فمن مبلغ راس العصا ان بيننا
ضغائن لاتنسى وان قدم الدهر
رضيت لقيس بالقليل ولم تكن
اخا راضيا لو ان نعلك زلت

والمقصود براس العصا "عمر بن هبيرة" لصغر راسه ، وكانت العرب تطلق ذلك على صغير الراس .[1]

بل ان عصبية ابن هبيرة ، تعرضت لبعض العقوبات منه ، كمنع العطاء والارزاق . وهذه الافعال وردودها نجدها فى اشعار الفرزدق اذ يقول :

منعت عطاء من يد لم يكن لها
بشدى فزارى نصيب تواصله
فاصبحت مما قد منعت كقابض
على الماء لم تقبض عليه انامله

ويشير الى بعض هذه التدابير فى قوله :

لو لم تكن غطفان لاذنوب لها
الا لام ذوو احلامهم عمرا
مما تشجع بى حين هجهج بى
من بين مغربها والقرن اذ فطرا
ان تمنع التمر من رازان مائرنا
فلست مانع جل الحى من هجرا[2]

ونحن ان كنا لانعلم اسباب هذه الاجراءات التى اتخذها عمر بن هبيرة ضد قومه ، الا انها كفيلة بالرد على القول ان

---
(١) الجاحظ : البيان والتبين ، ط٥ ، ٣/٤٠-٤١ .
(٢) عون الشريف قاسم : شعر البصرة ، ص ١٨٨-١٨٩ .

سياسته وسياسة الدولة في عهد يزيد بن عبد الملك موجهة على أساس العصبية المضرية .

ومما لاشك فيه ان مصلحة الدولة كانت فوق كل اعتبار ، ومن هنا جاء عزل مسلمة بابن هبيرة ، وعزل ابن هبيرة لعمال مسلمة وعلى راسهم عبد الملك بن بشر بن مروان وكان على البصرة ، ومحمد بن عمر وكان على الكوفة ، وسعيد بن عبد العزيز وكان على خراسان ، وهؤلاء جميعا مضرية (١) ، بل ومن البيت الأموي الحاكم .

وقد ولي ابن هبيرة الصقر بن عبد الله المزني على الكوفة (٢) ، واستقضى (سنة ١٠٣هـ) الحسين بن الحسن الكندي بعد ان عزل القاسم بن عبد الرحمن ، فظل على قضائها مدة خلافة يزيد (٣) .

اما البصرة فولى امرها سعيد الحرشي ، ثم حسان بن عبد الرحمن بن مسعود الفزاري من اهل دمشق ، ويبدو ان ذلك تم قبل استعمال الحرشي على خراسان . ثم استعمل بعد حسان فراس ابن سمي الفزاري ، وهو زوج ام عمر بن هبيرة (٤) . واستقضى عبد الملك بن يعلى فظل عليها سنة ١٠٣هـ ، ١٠٤هـ ، فكان على قضائها بعده (سنة ١٠٥هـ) موسى بن انس بن مالك (٥) .

وقد كان على الشرطة بواسط سويد المري ، وحوثرة بن

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم ، ٦/٦١٥-٦١٦ — ابن الأثير : الكامل ، ١٨١/٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٢١١/٦ — عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٥ (وقد اورد اسمه "الصعر")

(٣) ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٢، ١٨٩، ١٩٣ .

(٤) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٢-٣٣٣ .

(٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٤ — ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٤ .

سهيل الباهلي ، وعلى شرطة الكوفة محمد بن منظور الأسدي ، وعلى شرطة البصرة ابن رياط .[1]

وكتب لابن هبيرة رجل من اهل الشام يدعى عثمان ، وسعد ابن عطية[2] والأخير[3] من تلامذة صالح بن عبد الرحمن .

ويذكر الجهشياري[4] أن ابن هبيرة عزم على الجباية ، فخاف مكان صالح بن عبد الرحمن عند الخليفة يزيد ، فاراد التخلص منه لما يعرف من علمه بامر العراق واموالة ، فكتب الى الخليفة يعلمه بحاجته الى صالح ، فبعثه اليه من الشام، فسجنه ابن هبيرة وعذبه بتهمة الخيانة ،اذ كان صالح قد رفع الى يزيد بن المهلب ستمائة الف درهم ولم ياخذ بها براءة منه ، فجاء لابن هبيرة من يضمن المال ، فاصبح صالح ميتا في سجنه .

ومن اهم انجازات عمر بن هبيرة واصلاحاته المالية والعمرانية ابان ولايته على العراق ، قيامه بمسح السواد بامر من الخليفة يزيد بن عبد الملك[5] ، وتنفيذ أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٤هـ القاضي بتعبيد طريق الحاج

---

(١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٥ .

(٢) صالح بن عبد الرحمن التميمي ، بالولاء . هو أول من حول دواوين الخراج من الفارسية الى العربية في العراق ، ولاه الحجاج أمر الديوان فنقله الى العربية (سنة ٧٨هـ) ، ثم ولاه سليمان خراج العراق ، فاقره عمر، ثم استعفى فاعفاه ، وقيل : عزله . فكان في الشام عندما كتب عمر بن هبيرة الى الخليفة يزيد أن يبعثه اليه في العراق ، ليسأله عن الخراج ، فلما وصل اليه قتله . (الزركلي : الأعلام ، ١٩٢/٣) .

(٣) ابن خياط : نفس المصدر والصفحة ــ فرج الهوني : النظم الإدارية والمالية ، ص ٢٠٩ (واورد الاسم "سعيد بن عطية" نقلا عن الجهشياري : الوزراء ، ص ٣٩) .

(٤) الوزراء ، ص ٥٨ .

(٥) انظر تفصيل القول في ذلك بعد : المبحث الثاني ،ص ٥٧٥ ومابعدها .

العراقي من الكوفة الى مكة ، وانشاء المحطات عليه ، وحفر الابار فيه . اذ ان حجاج الركب العراقي كانوا يجدون صعوبة في حصولهم على الماء ، ولهذا يعتبر يزيد بن عبد الملك اول خليفة اموى يهتم بطريق الركب العراقي ، فلم تذكر المصادر التاريخية اية خدمات اخرى كبيرة قدمت من قبل خلفاء الدولة الاموية في هذا الطريق .(١)

ويضاف الى انجازاته بناء قنطرة الكوفة ، التي قيل : انه احدثها ، ثم اصلحت بعد ذلك اكثر من مرة . وفي قول آخر انها اول مابنيت في الجاهلية ، فكان ابن هبيرة ممن اعاد بناءها .(٢)

ومما يذكر في ولاية ابن هبيرة على العراق ، تنبأ رجلين فبى يدعى الاخطل ، وآخر من الموالي ، يقال له سعيد . فكتب عمر بن هبيرة بامرهما الى الخليفة يزيد ، فامره بقتلهما ، فقتلهما .(٣)

## ولاية سعيد الحرشي على خراسان (سنة ١٠٣هـ) :

اما عمال ابن هبيرة على الاقاليم التابعة لامارة العراق ، فقد شكى اليه سعيد بن عبد العزيز عامله على خراسان فعزله ، وولاها بامر من الخليفة يزيد سعيد بن عمرو الحرشي ، من بني عامر بن صعصعة ، من قيس .

---

(١) سليمان عبد الغني مالكي : مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة ، رسالة ماجستير آداب القاهرة ، تاريخ ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، (الرسالة المخطوطة ) ، ص٦٢-٦٣ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٨٥ .

(٣) البلاذري : انساب الاشراف ، مخطوط ، مكروفيلم ، الجزء الثالث ، تراجم رجال الحديث ـ تاريخ ، أ-ت ، رقم ١٨٥٨ ، ص ١٣٦ .

ويبدو ان ظروف ذلك الاقليم المتمثلة في تمرد الصغد على سلطان المسلمين ، واعانة الترك لهم ، واتباع خذينة سياسة المسالمة التي لم تفلح في اعادة السيادة الاسلامية على منطقة ماوراء النهر ، مما اطمع فيه الاعداء ، وضعفه في نظر المسلمين ، قد ادى الى مسير بعض وجوه اهل خراسان الى امير العراق ، يشكون سياسته ويدعون الى عزله . ويظهر ان الخليفة راى في شخص الحرشي الرجل المناسب لخراسان ، التي تتطلب اميرا عسكريا اكثر منه مدنيا ، وكان سعيد الحرشي من الابطال المشهورين (١) ، وفارس قيس في زمانه (٢) .

وكان السبب في استعماله ان عمر بن هبيرة كتب الى الخليفة باسماء من ابلوا يوم العقر (٣) ولم يذكر الحرشي ، فقال الخليفة : لماذا لم يسم الحرشي - ولعل ابن هبيرة خشي مكانة الحرشي ، فاراد اغفال ذكره - فكتب الخليفة الى ابن هبيرة ، ول الحرشي خراسان ، فولاه ، وضم اليه جيشا ، فقدم على مقدمته المجشر بن مزاحم السلمي ، وكان ممن شكوا الى ابن هبيرة سعيد بن عبد العزيز (٤) ، فقدمها (سنة ١٠٣هـ) .

---

(١) ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٤٩/٩ (وانظر ترجمته قبل: الفصل الرابع ، المبحث الاول ، ص ٣٢٧) .

(٢) الطبري : تاريخ الامم ، ١٦/٧-١٧ - ابن الاثير : الكامل، ١٨٩/٤ .

(٣) يوم العقر ، هو اليوم الذي كان فيه القضاء على يزيد ابن المهلب على يد مسلمة بن عبد الملك (سنة ١٠٢هـ) . (انظر ماكتبناه عن ذلك قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ، ص ١٩٢ ومابعدها) .

(٤) عن عزل سعيد بن عبد العزيز عن خراسان ،واستعمال سعيد الحرشي عليها ، (انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٨ - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٢/٢ - الطبري: نفس المصدر ، ٦١٩/٦، ٦٢٠-٦٢١ - ابن اعثم : الفتوح ، م٢٥٨/٤ - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٣ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء والصفحة - =

ولـم يعرض الحرشي لعمال خذينة[1] ، وكان ممن استعمل على الاقاليم التابعة له ، سليمان بن ابى السرى وهو رجل من الموالى ، على كس[2] ونسف[3] . كما عزل سورة بن الحر واستعمل مكانه نصر بن سيار[4] .

ومن الواضح ان انشغال الحرشي بالمهمات العسكرية ، وضياع جل وقت ولايته فى اخماد تمرد الصغد واعادة السيادة الاسلامية على ماوراء النهر ، وهذا مانجح فيه وجعله من الفاتحين المعدودين فى تاريخ الاسلام وبالذات فى منطقة خراسان وماوراء النهر . ادى ذلك الى ندرة الأخبار عن تنظيماته الادارية والمالية .

ولقد جرت بين الحرشي وابن هبيرة امور ادت الى عزله عن خراسان ، فيذكر انه لما انتصر على الصغد ، كتب بذلك الى الخليفة ولم يكتب به الى ابن هبيرة ، مما أوغر صدره عليه[5] . اذ يعتبر ان ولايته جاءت من قبل الخليفة لاعمر بن هبيرة . كما خالف امر ابن هبيرة القاضى باطلاق الديواشنى وهو احد دهاقنة الصغد المتمردين ، وكان قد نزل على حكم

---

= ابن خلدون : العبر ، ٨٢/٣ .
ومن المصادر ماأشار الى ان عزل خذينة واستعمال الحرشي كان من قبل مسلمة . (انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦ – أنساب ، ١٦٢/٥) والاولى ماقدمناه .

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٩/٦ – ابن الاثير : الكامل ، ١٨٣/٤ – ابن خلدون : نفس المصدر والجزء والصفحة .
(٢) وتنطق "كش" ايضا .
(٣) الطبرى : نفس المصدر ، ١١/٧ – ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٦ – ابن خلدون : نفس المصدر والجزء ، ص ٨٣ .
(٤) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة (ولم يسم امارته) .
(٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٠ – ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٥ .

الحرشي ، فقتله وصلبه [١] . ويروى انه منع معقل بن عروة من تنفيذ امر ولاه اياه ابن هبيرة في هراة ، وجلده منتين ، وحلقه [٢] ، لانه نزل على هراة مباشرة قبل ان ياتي الحرشي امير خراسان ، بحجة ان ولايته من قبل ابن هبيرة [٣] .

كما كان الحرشي يستخف بابن هبيرة عند ذكره اياه في مجالسه ، فلايقول الامير ، وانما يقول : قال ابو المثنى، ولكاتبه اكتب لابي المثنى وهكذا . فبلغ ذلك ابن هبيرة ، فبعث من لدنه جميل بن عمران بحجة النظر في الدواوين ليستعلم امره ، فعندما علم الحرشي غايته ، اعطاه طعاما مسموما ، الا انه عولج فنجا ، فقال لابن هبيرة الامر اعظم مما سمعت ، مايرى سعيد الا انك عاملا من عماله . فغضب عليه وعزله ، وسجنه وعذبه حتى ادى ماعليه من الاموال [٤] .

ولعل في الخبر الاخير دلالة على ان هناك اسبابا اخرى مالية ، لعلها كانت السبب الرئيسي وراء عزله ، ونستشف ذلك من قول ابن هبيرة معللا عزله للحرشي وسجنه وتعذيبه اذ يقول "قدمت العراق فوليته ـ يعني الحرشي ـ البصرة ، ثم وليته خراسان ، فبعث الي ببرذون حطم واستخف بامري ، وخان فعزلته" [٥] . وفي قوله دلالة على انه استقل مابعث به اليه

---

(١) الطبري : تاريخ الامم ، ١١/٦ (ذكر قتله لكنه لم يشر الى كتابة ابن هبيرة باطلاقه) ـ ابن الاثير : الكامل ١٨٦/٤ . وانظر قبل ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٢) حلقه : وسمه بحلقة في فخذه . (التعريف نقلا عن / الطبري : نفس المصدر والجزء ، هامش ٣ ، ص ١٦) .

(٣) الطبري : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٤) الطبري : نفس المصدر ، ١٥/٧-١٦ ـ ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٨-١٨٩ ـ ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ ـ ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ .

(٥) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧ .

الحرشي من غنائم المعارك التي خاضها ، واتهامه بخيانة اموال المسلمين . ولعل في هذا الخبر شيء من الصحة ، فان هناك رواية تقول : ان الحرشي بعد نصره على الصغد اصطفى اموالهم ، فاخذ منها ماعجبه ثم دعا بمسلم بن بديل ليتولى المقسم ، فابى لما علم ما اخذ منها ، فولاه غيره ، فاخرج الخمس وقسم الأموال [(١)] . ولعلها تلك الاموال التي اشار اليها الطبرى عندما [(٢)] قال : ان الحرشي عندما استؤدى تحت العذاب ، ادى ماعليه من الاموال .

ويشير محمد شعبان [(٣)] الى ان اقتصار الحرشي على ارسال خمس الغنائم فقط للحكومة المركزية ، وابقاء بقية الاموال في خراسان ، تطبيقا للمبدا القديم المعمول به في خراسان ، والذى أكده عمر بن عبد العزيز ، وهو ان تصرف اموال خراسان في خراسان ، لم يرض عمر بن هبيرة ، وارسل الى الحرشي يدعوه الى بعث المزيد من الاموال ، فاباه ، فلما فشلت محاولاته في اقناعه ، قام بعزله عن خراسان .

## ولاية مسلم بن سعيد الكلابي على خراسان (سنة ١٠٤هـ) :

كانت الأسباب التي اشرنا اليها مجتمعة وراء عزل سعيد ابن عمرو الحرشي عن ولاية خراسان [(٤)] . وكان ذلك (سنة ١٠٤هـ) ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ١٠/٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٥/٤ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ١٦ - وقال ابن كثير : واخذ منه اموالا كثيرة . (انظر : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩) .

(٣) الثورة ، ص ١٧٤ .

(٤) لم يكتف ابن هبيرة بعزل الحرشي ، فقد امر عامله الجديد أن يبعث به مع معقل بن عروة الى العراق ، وهناك اوكله امر استيدائه الاموال ، فعذب ، وامر بقتله ، ثم عفا عنه ، من قمة تشير الى ان ابن هبيرة =

فولاها عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي[(١)] من بعده[(٢)] .

وفي ولاية هذا الامير ، عمل على دمج الادارة المحلية في خراسان في الكيان الحكومي العربي ، وذلك بتعيينه رجلا ايرانيا يدعى "بهرام سيس" مرزبانا[(٣)] على مدينة مرو ، وكان هذا التعيين الأول من نوعه في تاريخ الحكم الاسلامي، اذ لم يسبق للولاة العرب ان تدخلوا في اختيار الاشخاص وتعيينهم للمراكز البلدية ، وكانوا يتركون ذلك للدهاقين ويكتفون بتعيين ممثلين شخصيين لهم للاشراف على شئون المناطق المختلفة ، وبالأخص للاشراف على جمع الضرائب

---

= لما عزل ، سجنه خالد القسري ، فهرب من سجنه ، فارسل القسري سعيد الحرشي في طلبه ، فلحقه ، فلما تمكن منه تركه فنجا بنفسه ، متاثرا بآصرة النسب . (انظر من اجل ذلك : الطبري : تاريخ الأمم ، ص ١٦-١٧ — ابن الأثير : الكامل ، ١٨٩/٤) .

(١) لم اعثر على ترجمة له . وقال عنه الطبري : انه لما قتل ابوه سعيد بن أسلم ، ضم الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده ، فتادب ونبل ، ثم ولاه عدي بن ارطاة ولاية مضيرة ، فضبطها وأحسن ، ولما وقعت فتنة ابن المهلب ، حمل الأموال التي تولاها الى الشام ، فلما ولي ابن هبيرة العراق ، ولاه خراسان (انظر : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨) . وقال محمد شعبان : ان جده اسلم بن زرعة كان احد زعماء القبائل العربية في خراسان . (انظر : الثورة ، ص ١٧٤) .

(٢) الطبري : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥-١٧ — ابن أعثم : الفتوح ،م٢٥٩/٤ (وقد قال : بان العزل والولاية من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك) — ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٨ — ابن كثير : البداية ، ط١ ، ٢٥٧/٩ — ابن خلدون : العبر ، ٨٤/٣ .

(٣) المرازبة من الفرس معرب ، الواحد مرزبان . وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك . والمرزبان هو الرئيس من العجم على قومه ، تقول : فلان على مرزبة كذا ، وله مرزبة كذا ، كما تقول : له دهقنة كذا . اللسان (رزب) . ويفهم من هذا ان بهرام سيس عين رئيسا مدنيا على قومه العجم ، من قبل عامل خراسان ، وتابعا له ، وسائرا بامره .

والخراج ثم قبضها .

لذلك فان تعيين بهرام سيس على وظيفة المرزبان من قبل الوالي العربي ، تعني انه سيتولى حكم الايرانيين باسم هذا الوالي وكان بهرام سيس ذى شعبية في قومه ، فقبلوا ذلك التعيين ، ونجحت التجربة .(١)

كما حرص مسلم بن سعيد على كسب ولاء الايرانيين وارضائهم ، وذلك بتوجيه من أمير العراق عمر بن هبيرة الذى قال له حين ولاه : "ليكن حاجبك من صالح مواليك ، فانه لسانك والمعبر عنك ، وحث صاحب شرطتك على الامانة ، وعليك بعمال العذر . قال : وماعمال العذر ؟ قال : مر أهل كل بلد ان يختاروا لأنفسهم فاذا اختاروا رجلا فوله ، فان كان خيرا كان لك ، وان كان شرا كان لهم دونك ، وكنت معذورا" .(٢)

فاهتم بوظيفة "الحاجب" وكان الفرس يسمونها "على الخاتم" واختيار الرجل المناسب لها ، وكان يشترط فيمن يتولى هذا المنصب ان يكون على علاقة طيبة بالسكان الاصليين ليؤدى دوره في توطيد العلاقة بين العرب وأهل البلاد الاصليين فعين لهذا المنصب توبة بن أبي أسيد وكان نفسه مولى لبني العنبر وكان شخصا معروفا بالاستقامة والنزاهة والكفاءة ، فظل على هذه الوظيفة فترة مسلم بن سعيد ثم أقره عليها أسد

---

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٦-١٧٧ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٧/٣٤-٣٥ .

ابن عبد الله القسرى أمير خراسان بعد مسلم .(١)

وكان توبة بالعراق ، فبعث مسلم الى ابن هبيرة فى طلبه ، فعندما رآه استحسن اختياره ، فبعثه ، فأعطى الخاتم وجعل له مسلم أن يعمل برأيه ، فألان جانبه ، وأحسن الى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، وكان أسد قد أراد منه أن يحلف الناس بالطلاق الا يتخلف أحد عن الغزو ، ولايدخل عنه بديلا ، فأباه . وعندما أريد من الناس بعد ذلك الحلف بالطلاق أبوا وقالوا : نحلف بأيمان توبة .(٢)

كما بعث مسلم على الكور رجالا من قبله على حربها ،(٣) وكان ممن استعملهم نصر بن سيار ، الذى ولاه طخارستان .(٤)

وبدت الأوضاع فى خراسان هادئة عند تولى مسلم بن سعيد لها ، بفضل جهود الحرشى ، الذى تمكن من اخماد تمرد الصغد وصد الترك ، وزوال عوامل السخط عند العرب ، الذين أعادوا هيبتهم بانتصاراتهم مع الحرشى ، وماتمتعوا به من وافر الغنائم ، التى أبقاها الحرشى لهم ولم يبعث للعراق أو الشام سوى الخمس ، كما انه جامل العرب ، فلم يحاسب العمال السابقين ولم يعرض لهم ، وامتنع عن تنفيذ أمر ابن هبيرة باستيداء أموال منكسرة ، اتهم بها بعض سادات العرب فى خراسان ،(٥) كما ظهر الايرانيون متعاونين ، وقد زالت عوامل

---

(١) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٧-١٧٨ . (وقد فهم محمد شعبان النص خطا ، وظن أن أمر ابن هبيرة يعنى استحداث تلك الوظيفة والصحيح ، انها كانت معروفة وكان للولاة حجابا كالخلفاء ، ولكنه وجهه الى اختيار الرجل المناسب الصالح) .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٣٥/٧ .
(٣) الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٩ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٦-٤١٧ .
(٥) الطبرى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

السخط والاستياء عنهم ، منذ ان قتل رأسهم "حيان النبطي" (١)(٢) .

لكن طمع الحكومة المركزية في اكثر من الخمس من خيرات خراسان ، دفع ابن هبيرة كما يقول محمد شعبان (٣) ، الى الامر على مسلم بزيادة حصة الدولة ، مع نصيحة مسلم لابن هبيرة بالاقتناع بالخمس كما كان حادثا زمن الحرشي . وكان تنفيذ ذلك يعني خفض حصص عرب خراسان ، ونقص اعطياتهم .

والواقع اننا لم نجد في المصادر ذكرا لمثل هذا الامر وتنفيذه ، ولانعلم من اين استقاه محمد شعبان ؟ كما أن ابن هبيرة استطاع دفع مسلم الى محاسبة اولئك الرجال من سادات العرب والذين اتهمهم قهرمان (٤) ليزيد بن المهلب ، لدى ابن هبيرة ببعض الاموال ، اخذوها بغير حق ، وكان الحرشي قد امتنع عن محاسبتهم ، فلما عزم مسلم على استيدائها منهم ، خوف عاقبة الأمر ، وبين له حقيقة أمرهم ، وأن فيما اتهموا به مبالغة وظلم فكتب بذلك الى ابن هبيرة ووجه بوفد منهم اليه ، فاوضح الوفد له الامر ، وأن في قوتهم نكاية باعدائهم ، واخبروه بوافر من الاموال ، اقتطعها الدهاقين من اهل البلاد من جراء ولايات ولوها هناك . فاصدر امره الى مسلم بجبايتها من اهل العهد ، فكلف مسلم من يتولى محاسبتهم ، فاخذها منهم (٥) .

---

(١) انظر ماكتبناه عن مقتله قبل : ص ٤٦٨ .
(٢) ذهب الى شيء من هذا القول ، محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٤ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .
(٤) قهرمان : فارسي معرب ، وقيل : هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه ، وهو كالخازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس . وفي قول : يعني الترجمان . اللسان (قهرم) .
(٥) الطبري : تاريخ الامم ، ١٩/٧-٢٠ .

ويبدو ان هذه الأساليب ، قد أدت الى شيء من التوتر ، خالطه ضعف في سيطرة العرب على هذه النواحي ، من جراء ندرة جهود مسلم بن سعيد العسكرية (١) .

وقد ادى ذلك الى طمع الأعداء فتحرك الترك وتدخلوا في منطقة ماوراء النهر ، كما تخاذل بعض الجند العربي عن المشاركة في الغزوات التي خرج مسلم بها في اواخر ولايته ليتصدى لخطر الترك ، واضطر بعد أن فشلت محاولاته لاقناعهم وتهديدهم الى حملهم على الاشتراك قسرا ، فبعث اليهم نصر بن سيار الذي اضطر الى الاصطدام معهم في البروقان - قرية قرب بلخ اتخذ فيها المسلمون حامية لهم - وذلك سنة ١٠٦هـ في اول خلافة هشام بن عبد الملك ، مما ساعد على تدهور الأوضاع (٢) .

عماله على سجستان وكرمان والسند :

ومن الاقاليم التابعة لامارة العراق "سجستان" ، وقد ولاها الخليفة يزيد بن عبد الملك القعقاع بن سويد من بني منقر بن عبيد التميمي (٣) (٤) ، من اهل الكوفة ، فعزله عمر بن هبيرة (٥) ، وولى السيال بن المنذر بن عوف بن النعمان .

اما كرمان فقد ضمها ابن المهلب اليه ابان حركته صدر خلافة يزيد بن عبد الملك ، فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ،

---

(١) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠-٣٠١ .
(٢) محمد شعبان : الثورة ، ص ١٧٥-١٧٦ .
(٣) لم اعثر له على ترجمة .
(٤) من اجل انتساب جده الابعد منقر بن عبيد في بني تميم ، (انظر : الزركلي : الاعلام ، ٣٠٩/٧) .
(٥) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ .

استعمل عليها جبلة بن عبد الرحمن[1] ، مولى لباهلة[2] .

أما السند ، فقد كان عليها عمرو بن مسلم الباهلي من قبل عمر بن عبد العزيز ، فلما غلب يزيد بن المهلب على البصرة في خلافة يزيد بن عبد الملك ولاها رجل من بني شيبان ثم بعث عليها وداع بن حميد الأزدي ، ثم تولاها هلال بن أحوز التميمي بعد ايقاعه بالمهالبة عند قندابيل ، وذلك (سنة ١٠٢هـ) من قبل مسلمة بن عبد الملك . فلما ولي ابن هبيرة العراق ، ولاها سنة ١٠٣هـ عبيد الله بن علي السلمي ، ثم عزله ، وولاها الجنيد بن عبد الرحمن المري من غطفان ، وذلك (سنة ١٠٥هـ) ، فظل عليها حتى وفاة الخليفة يزيد ، فاقره عليها هشام بن عبد الملك[3] .

ويبدو أن الأوضاع كانت مستقرة في ذلك الاقليم طوال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز وخليفته يزيد بن عبد الملك وذلك من جراء استجابة ملوك السند لدعوة الخليفة عمر اياهم للاسلام ، وذلك انه كتب اليهم (سنة ١٠٠هـ) يدعوهم الى الاسلام على أن يملكهم بلادهم ولهم ماللمسلمين وعليهم ما على

---

(١) لم أعثر له على ترجمة .
(٢) الطبري : تاريخ الأمم ، ١٨/٧ .
(٣) من أجل عماله على السند ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ – ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ص ٤٢١ – فوزي محمد عبده ساعاتي : انتشار الاسلام في بلاد السند والبنجاب ، ص ١٤٧-١٤٩ – (لكنه لم يشر الى ولاية الشيباني ، والسلمي) – شكري فيصل : المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، نشاتها ، مقوماتها ، تطورها اللغوي والأدبي ، رسالة دكتوراه مطبوعة ، مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م ، ص ٢١٧ – وفيق الدقدوقي : الجندية ، ص ١٠٤ .

المسلمين ، فاسلم جيشبه بن داهر وباقي الملوك (١) . وبقى ملوك السند مسلمين على بلادهم خلافة عمر ويزيد (٢) . فلما كانت ايام هشام ارتدوا عن الاسلام ، وحاربوا عامله على السند الجنيد ابن عبد الرحمن المرى ، فانتصر عليهم ، واعاد سيطرة المسلمين على ذلك الاقليم ، وقام بعدد من الغزوات فى ذلك الثغر (٣) .

اما البحرين واليمامة :

فقد ولى ابن المهلب ابان حركته على البحرين هرم بن القرار العبدى (٤) ، فلما قضى على حركته ، رد الخليفة يزيد على البحرين واليمامة ابراهيم بن عربى (٥) ، وكان قد تولاها من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ثم اقره عليها الوليد بن عبد الملك (٦) .

وقد ذكر ابن الاثير (٧) اثناء عرضه لحركة مسعود بن ابى

---

(١) ينطق ايضا جيسيه ، حليشه ، مكيشه ، وجشه . وقد يكون ذلك عائد لخطا فى النقل ، والتعريب .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٢٨-٤٢٩ — ابن الاثير : الكامل ، ١٦٠/٤ — حسن أحمد محمود : الاسلام فى آسيا الوسطى (بين الفتحين العربى والتركى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م ، ص ٢٢٠،٢٣٣ — شكرى فيصل : المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول ، ص ٢١٧ — وفيق الدقدوقى : الجندية ، ص ١٠٤ .

(٣) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٤٢٩-٤٣٠ — ابن الاثير : نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٧ (الا انه جعل ولاية الجنيد من قبل هشام (سنة ١٠٧هـ) ، فمنعه جيشبه من دخول السند ، فكانت الحرب بينهما) والاصح أن هشاما اقره ، لكنه امره بمكاتبة القسرى ، فاتى الديبل ، فمنعه جيشبه بعد ذلك العبور اليه . (انظر عن اقراره على السند : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٥٩) .

(٤) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦٠٠/٦ .

(٥) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .

(٦) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٢٩٨،٣١١ .

(٧) نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٠ .

زينب العبدى ، احد الخوارج ، أن أمير اليمامة سفيان بن عمرو العقيلى من قبل ابن هبيرة ، وقد صححنا هذا الخطأ .(١)

كما اخطأ عبد الرحمن بن عبد الكريم النجم(٢) ، عندما ذكر ان ابن المهلب قد ولى على البحرين بعد استحواذه على البصرة ، ابان حركته ، الأشعث بن عبد الله بن الجارود ، والصحيح ان ابن المهلب ولى البحرين ابن الجارود . ولكن ذلك ليس ابان حركته فى خلافة يزيد بن عبد الملك وانما اثناء ولايته على العراق فى خلافة سليمان بن عبد الملك .(٣)

وقبل أن نترك العراق والمشرق الاسلامى لابأس من ذكر ما اشار اليه القلقشندى(٤) من ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراقين ، فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، وهو خبر تفرد به مخطئا . والصحيح انه وليها فى خلافة ابنه الوليد بن يزيد ، فكان ذلك منه لبسا(٥) . فقد ظلت العراق تحت امرة عمر بن هبيرة حتى عزله عنها الخليفة هشام بن عبد الملك فى شوال (سنة ١٠٥هـ)(٦) .

---

(١) انظر مناقشتنا لهذا الخطأ قبل : الفصل الثانى ، المبحث الثانى ، ص ٢٣٨ ومابعدها .
(٢) البحرين ، هامش (٣) ، ص ١٩٨ .
(٣) من أجل ذلك ، (انظر / ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٣،٣١٨) .
(٤) مآثر ، ١٤٩/١ .
(٥) انظر ذلك عند : ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٧٠ .
(٦) الطبرى : تاريخ الأمم ، ٢٦/٧ ــ ابن الأثير : الكامل ، ١٩٢/٤ .

**عماله على أرمينية وأذربيجان والجزيرة والموصل :**

يقول صابر دياب[1] : "ومن الواضح أن العرب - في العصر الأموي - جعلوا من منطقة أرمينية وأذربيجان والموصل والجزيرة ، ولاية واحدة" . لكن استقصاءنا لعمال يزيد بن عبد الملك على الأقاليم في الدولة الاسلامية ، بين عكس ذلك ، حيث وجدناه قد بعث عمالا من قبله على كل من أرمينية والموصل والجزيرة ، ويشك في أنه قد فصل أذربيجان عن أرمينية أيضا .

فقد ولى يزيد بن عبد الملك (سنة ١٠٣هـ) ، معلق بن صفار البهراني الحمصي ، أرمينية[2] ، ولانعلم من كان عليها قبله ، أولى أحدا فلم يرد ذكره في المصادر ، أم أقر عامل عمر بن عبد العزيز عليها[3] ، حتى سنة ١٠٣هـ ، ثم عزل معلقا فولاها الحارث بن عمرو الطائي[4] ، الذي قام بجهود عسكرية محدودة[5] . ان صح القول بولايته أرمينية زمن يزيد ، والأرجح عدم صحته[6] .

---

(١) أرمينية من الفتح الاسلامي الى مستهل القرن الخامس الهجري ، ص ٥٥-٥٦ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٣ - البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٠٨ - قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠ .

(٣) كان عامل عمر عليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان ، ثم ولاها عدي بن عدي الكندي . (ابن خياط : نفس المصدر ص ٣٢٣) . لكن في ذلك شك واختلاف ، من أجله انظر / البلاذري : نفس المصدر والصفحة - ابن حجر : تهذيب ، ١٥٢/٧ .

(٤) البلاذري : نفس المصدر والصفحة - قدامة بن جعفر : نفس المصدر والصفحة .

(٥) من أجل جهوده العسكرية ، انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثاني ، ص ٣٥٣ .

(٦) انظر هامش (١) الصفحة التالية .

ثم ولاها الجراح بن عبد الله الحكمي في (سنة ١٠٤هـ)(١)، وهو الذى تصدى للخزر زمن يزيد ، وحقق انتصارات وغنائم عظيمة ، وظل عليها حتى وفاة الخليفة يزيد ، فاقره هشام بن عبد الملك(٢) .

وقد كانت مدينة "بردعة" دار الامارة والجند في ولايتي ارمينية واذربيجان(٣) . وقيل هي عاصمة اقليم اران الأرمني(٤) . أما صابر دياب فيقول(٥) : أن مقر الادارة في ارمينية "مدينة دوين"(٦) بها الوالي ، ودار الامارة ، والحامية الاسلامية ، التي كان قوامها لايقل عن خمسة آلاف جندي ، ذاكرا ان قد كان بها ايضا كرسي البطريركية ، لكن الأسقف دافيت الاول ، الذى كان يشغل كرسي البطريركية ، ضاق بوجود المسلمين ، وانتقل الى ارامونيك ، لتفقد دوين اهميتها كمدينة بطريركية(٧) .

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٨ – قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٣٠ – لكن ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٩،٣٣٣ – وابن الاثير : الكامل ، ١٨٦/٤-١٨٧ – وابن خلدون : العبر ، ٨٣/٣ ، جعلوا ولاية الجراح الحكمي بعد معلق بن صفار ، ولم يذكروا ولاية الحارث بن عمرو ، كما اورد البلاذري وقدامة . ويبدو ان البلاذري قد اختلط عليه الأمر ، وتبعه على ذلك قدامة الذى يتضح انه قد نقل عنه ذلك ، اذ يشير ابن خياط ، الى غزوة قام بها الحارث بن عمرو الطائي هذا من قبل مسلمة بن عبد الملك الذى تولى ارمينية بعد عزل الجراح الحكمي (سنة ١٠٧هـ) ، بامر الخليفة هشام ذاكرا نفس الجهود الحربية التي اورد البلاذري قيام الحارث بها زمن يزيد . (من اجل ذلك انظر : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٧) .

(٢) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثاني ، ص ٣٥٤ ومابعدها .

(٣) اديب السيد : ارمينية في التاريخ العربي ، ص ٩٥ .

(٤) صابر دياب : ارمينية من الفتح الاسلامي حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٣١٠٤ .

(٥) نفس المرجع ، ص ٦٤ .

(٦) تسمى دبيل وتوين ايضا ، وهي قصبة ارمينية الاسلامية في الأزمنة الأولى ، تقع الى القرب من نهر ارس بجوار جبل ارارط . (كي لسترنج : بلدان ، ص ٢١٦-٢١٧) .

(٧) صابر دياب : نفس المرجع ، ص ٥٦ .

ولعل هذا التعدد ناتج عن حلول مدينة بعد اخرى كمركز للحكم الاسلامى ، يفرض ذلك عدم استقرار الفتح الاسلامى فى ارمينية ، وتعرض المسلمين لغزو الخزر ، مما يفقدهم احيانا كثيرا مما فتحوه . وقد يكون ذلك نتيجة الفصل بين امارة ارمينية واذربيجان ، مما يدعو لوجود مركز لكل اقليم منهما .

وكان الحكم الاموى فى ارمينية طيبا ، اذا ماقورن بالحكم الاجنبى ، متميزا بالتسامح والدعوة الى الاسلام بالحسنى ، وقد احترم المسلمون الى حد ما استقلال الامارات (١) الارمنية تحت سيطرتهم (٢) ، ومع ادراكهم لخطورة ذلك على سيادتهم وماعانوه من مراعات الأرمن وثوراتهم ، الا انهم لمسوا قيمة بقاء القوة الأرمنية كحاجز فى وجه قوى ماوراء القوقاز (٣) .

وكان التواجد الاسلامى وسيطرة المسلمين جلية فى وديان الانهار الكبرى ومدنها ، وذلك لسهولة الوصول اليها ، وهناك اقام المسلمون موظفيهم وحامياتهم بالتدريج ، فتمكنوا من السيطرة عليها وتمركزوا فيها ، وفرضوا عليها انظمتهم الادارية والمالية (٤) ، وقد استعانوا بامراء الأرمن فى جباية الضرائب ، وتولى الشئون العسكرية ، وكانت العلاقة بين المسلمين والارمن تتاثر بالموقف السياسى العام ، وشخصية الوالى (٥) .

---

(١) صابر دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس الهجرى ، ص ٥٥، ٦٤ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٦٣ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٦٤-٦٥ .
(٤) نفس المرجع ، ص ٦٣ .
(٥) نفس المرجع ، ص ٦٥ .

اما عماله على الجزيرة (١) والموصل (٢) ، فان يزيد بن عبد الملك ولى عمر بن هبيرة الجزيرة ، فلم تدم مدة ولايته ، حيث عزله عنها (سنة ١٠٢هـ) ، وسبب ذلك ان عمرا غزا ارمينية ، ففتح فتحا عظيما ، فوجه بالبشارة مع مروان بن محمد ، فغضب بنو امية ، وقالت : فزارى يحمل البشارة والرسالة رجل منا ؟ فعزله يزيد وولى مروان بن محمد مكانه الموصل . وظل عليها حتى مات يزيد ، حيث كان اميرها سنة ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥هـ . (٣) ويبدو ان الخليفة يزيد جمع له الموصل واعمالها ، والجزيرة باجمعها فى سنة ١٠٤هـ . (٤)

والظاهر ان يزيد بن عبد الملك عندما عزل ابن هبيرة عن الجزيرة والموصل ، لم يول مروان الا الموصل ، اما الجزيرة فاننا نجد ليزيد عليها عمالا آخرين تولوها بعد

---

(١) الجزيرة : سمى العرب القسم الشمالى من البلاد الواقعة مابين النهرين اى نهر دجلة والفرات بالجزيرة ، ويفصلها عن العراق وهى القسم الجنوبى من بلاد مابين النهرين خط يتجه شمالا من الانبار على الفرات الى تكريت على دجلة . وهاتين المدينتين تعدان من اعمال العراق ، ذلك فى عرف البلدانيين العرب الأولين ، اما البلدانيين الذين اعقبوهم ، فجعلوا الخط يتجه من تكريت باتجاه الغرب تقريبا ، مدخلين فى العراق كثيرا من المدن التى على الفرات شمال الانبار . وسميت تلك البلاد بالجزيرة ، لأن مياه الفرات ودجلة تحيط بها . (كى لسترنج : بلدان ، ص ١٦-١٧ ، ٤٠-٤١) .

(٢) الموصل : تقع على ضفة دجلة الغربية ، وهى قاعدة ديار ربيعة ، وسميت بالموصل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل بين دجلة والفرات ، وقيل غير ذلك . وهى احدى قواعد الاسلام ، منها يقصد لجميع البلدان ، فهى باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى اذربيجان . وقد علا شانها زمن بنى امية ، وصارت فى عهد مروان الثانى قاعدة اقليم الجزيرة . (انظر : ياقوت : معجم ، ٥/٢٢٣-٢٢٥ ـ كى لسترنج : نفس المرجع ص ١١٥-١١٨) .

(٣) ابو زكريا الازدى : تاريخ الموصل ، ص ١٦ .

(٤) ابو زكريا الازدى : نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ .

ابن هبيرة ، فقد تعاقب على الجزيرة عمر بن هبيرة وفايد بن محمد الكندى ، والعرس بن قيس بن شعبة بن الأرقم الكندى .(١)

وقد اورد ابن خلدون(٢) : ان محمد بن مروان هلك عن امارة الجزيرة ، واذربيجان وارمينية ، فولى يزيد مكانه عمه مسلمة ابن عبد الملك ، وهذا خطأ بين ، فلم يكن محمد بن مروان على تلك البلاد زمن عمر بن عبد العزيز(٣) ، ولم يول يزيد اخاه مسلمة وليس عمه كما قال - ، بل بعث مسلمة لقتال ابن المهلب ، ثم ولاه العراق ، كما بينا ذلك قبل .

عماله على مصر :

ولاية ايوب بن شرحبيل وبشر بن صفوان على مصر :

اما مصر فقد اقر عليها الخليفة يزيد بن عبد الملك واليها من قبل عمر بن عبد العزيز ايوب بن شرحبيل الأصبحى(٤) على ملاتها ، فظل عليها حتى توفى لاحدى عشر ليلة بقيت من شهر رمضان سنة احدى ومائة من الهجرة(٥) . وفى رواية انه نزع عنها لسبع عشرة ليلة من شهر رمضان(٦) . فامر عليها الخليفة

---

(١) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٤ - عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٥ (ولم نعثر على ترجمة لفايد بن محمد والعرس بن قيس) .

(٢) العبر ، ٧٦/٣ .

(٣) ذكر ابن خياط عمال عمر بن عبد العزيز على الجزيرة وارمينية واذربيجان فقال : ولى عبد العزيز بن حاتم ابن النعمان ارمينية ، ثم ولاها عدى بن عدى ، فاستخلف سوادة ابا الصباح بن سوادة الكندى على الجزيرة . (نفس المصدر ، ص ٣٢٣) .

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٤٣٧ .

(٥) الكندى : الولاة ، ص ٦٩ - ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٣٨/١-٢٣٩ .

(٦) الكندى : نفس المصدر والصفحة - ابن تغرى بردى : نفس المصدر والجزء والصفحات .

يزيد من بعده ، بشر بن صفوان الكلبي (١) ، فقدمها في نفس الشهر (٢) .

اما الخراج فجعل عليه الخليفة يزيد عاملا من قبله ، حيث رد على خراج مصر اسامة بن زيد التنوخي ، وكان عليه من قبل ، فعزله عمر بن عبد العزيز وامر بحبسه سنة في كل جند من الاجناد ، عقابا له لانه كان ظلوما غشوما يعاقب بغير ما انزل الله ، فحبس بمصر ثم نقل الى فلسطين ، فمات عمر ، وتولى يزيد الذي امر برده على خراج مصر (٣) .

وقد جعل بشر بن صفوان على شرطته شعيب بن حميد بن ابي الربداء البلوى ، بالولاء (٤) ، ثم نزعه عن الشرطة بعد ايام ، وولاه التابوت (٥) .

---

(١) انظر ترجمته قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثالث ، ص ٣٧١ .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٤ ـ الكندى : الولاة، ص ٧٠ ـ الاربلي : خلاصة ، ص ٢٦ .

(٣) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١١٩ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٨/٦ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ (والاخيران ،لم يقولا برده على الخراج وانما على مصر . والصحيح ماذكرناه ، يسنده بعض الزوايات الدالة على عمله على خراج مصر ، واستمرار الولاية الادارية في غيره باجماع المصادر) .

(٤) الكندى : نفس المصدر والصفحة .

(٥) وردت ولاية التابوت مقرونة بولاية الشرطة في حوادث سنة ١٥٢هـ ، ايضا . اذ يذكر الكندى (نفس المصدر ، ص ١١٧) عن ولاية مصر ، مانصه : "ثم وليها (اى مصر) عبد الله ابن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج من قبل امير المؤمنين ابي جعفر على صلاتها ... فلم يول على الشرط احدا ، ولكن جعل على التابوت على بن زيدان التجيبي ثم عزله فولاه محمد بن يعفر المعافرى ثم عزله ، فولاه عمران بن سعيد الحجرى ثم عزله ، فولاه رجلا من الموالي يكنى "ابا المحب" . ويذكر الكندى ايضا (نفس المصدر ، ص ١١٨) أن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج توفي في مصر سنة ١٥٥هـ ، وكانت ولايته عليها سنتين وشهرين ، وهذا يعني انه تولى على التابوت خلال ولايته على مصر ، وهي سنتين وشهرين ، أربعة ولاة ، وفي هذا مايشير الى اهمية هذه الوظيفة . =

...................................................................

= فماذا تعني كلمة التابوت وماوظيفة متوليها ؟ وبالرجوع الى شرح المصطلحات التي وردت في كتاب الكندى ، وجدنا ان روفن جشت محقق الكتاب اكتفى في شرحه لمصطلح التابوت ، انها تعني وظيفة ما كانت معروفة بهذا الاسم . (نفس المصدر ، الدراسة ، ص ٦) .
فلم يغننا شرحه شيئا ، وظل السؤال قائما ، ماهو التابوت وماهى وظيفة متوليه ؟
ان كلمة التابوت ، كلمة مصرية قديمة ، تعني الصندوق المصنوع من الخشب والمفتوح من اعلى ، والذى كانت توضع فيه أجساد الموتى بعد تحنيطها في العصر الفرعوني ، ولاتزال هذه الكلمة مستخدمة في مصر حتى الآن على هذه النوعية من الصناديق . وتطلق هذه الكلمة حتى الآن في الريف المصرى على الساقية التى تستخدم وقت التحاريق (اى وقت القحط) لرفع المياه الجوفية من الآبار ، عندما ينخفض منسوب المياه في الترع والقنوات في فصل الشتاء ، لان فيضان النيل يكون في فصل الصيف ولايزال الفلاحون يطلقون على الساقية تجاوزا ، اسم التابوت . (وهذه المعلومات عن استاذى ، د. احمد السيد دراج ، مشافهة) .
كما وردت كلمة التابوت ايضا ، في المصادر الخاصة بفنون القتال البحرى عند المسلمين ، ففى كل مركب من مراكب القتال يوجد برج او صندوق ، مفتوح من اعلاه ، ومعلق في اعلى صوارى السفن الكبيرة ، يصعد اليه المقاتل قبل بدء القتال مع سفن العدو ، فيقيم فيه للاستكشاف ، فاذا ماحدث القتال احتمى بذلك الصندوق ، واخذ يرمي العدو في سفنه ، ببعض ادوات القتال التى تكون معه في البرج او الصندوق ، فتارة يرميه بالحجارة ، واخرى بقوارير النفط لاحراق سفن العدو ، او يصب على سفن الاعداء ، الصابون السائل ، لتنزلق اقدام المقاتلة منهم ، واحيانا يستخدم مسحوق النورة يقذف به على الاعداء في مراكبهم ، ليصل غباره اعينهم فيصيبهم بالعمى والالتهاب . ويطلق على هذا البرج او الصندوق اسم التابوت .
(من أجل ذلك ، انظر : هشام سليم عبد الرحمن ابو رميلة : نظم الحكم في الاندلس في عصر الخلافة ، رسالة ماجستير ، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م ، غير مطبوعة ، ص ٤٠٨-٤٠٩ ـ عبد العزيز عبد الدايم : الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر ، مع دراسة عن فن القتال البحرى في عصر سلاطين المماليك ، تحقيق ودراسة ، رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، غير مطبوعة ص ٢٩ (للدراسة) ، ص ٢١ (المخطوطة) . =

وجعل بشر اخاه حنظلة بن صفوان[1] على شرطته[2] .

ومن اهم الاعمال الادارية التي تذكر لبشر في ولايته على مصر ، وضعه التدوين الرابع لأهل مصر ، وذلك انه لما رأى افتراق قضاعة في القبائل ، كتب الى الخليفة يزيد يسأله الاذن في استخراجهم من القبائل وافرادهم ، فاذن له الخليفة فاخرج مهرة من كنده ، وتنوخا من الأزد ، وآل كعب بن عدى التنوخي من قريش ، وجهينة من اهل الراية ، وحسينا من لخم فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة منفردة ، وتدوين بشر هذا يعتبر التدوين الرابع ، فقد كان الأول تدوين عمرو بن العاص ، والثاني تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان[3] ، والثالث تدوين قرة بن شريك ، ولم يكن بعد تدوين بشر شيء يذكر الا

---

= وكلمة تابوت فيما يبدو تطلق على كل صندوق اخذ صفة التابوت عند المصريين ، وان استخدم لأغراض اخرى ، غير حفظ رفات الاموات ، يفهم ذلك من خبر اورده المقريزى هذا نصه : "عن زيد بن اسلم قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيه كل عهد كان بينه وبين احد ممن عاهده ، فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد ، فمن اسلم منهم اقامه ، ومن اقام منهم قومه" . (انظر : خطط ، ٢٩٥/١) .

وفي ضوء هذه المعاني لكلمة التابوت ، يمكن ان يفسر ما اورد الكندى عن ولاية التابوت ، انها وظيفة تشرف على الري والزراعة في مصر الاسلامية ، او انها وظيفة تختص بالاشراف على الأسطول المصرى ، او انها وظيفة تعنى بحفظ الوثائق الرسمية المتعلقة بولاية مصر واميرها .

(١) حنظلة بن صفوان الكلبي ، امير ، من القادة الشجعان ، من اهل دمشق ، استخلفه اخوه بشر بن صفوان على امارة مصر (سنة ١٠٣هـ) عندما ولاه الخليفة يزيد افريقية ، فاقره الخليفة يزيد ، فلما استخلف هشام صرفه عنها (سنة ١٠٥هـ) ، ثم اعاده اليها (سنة ١١٩هـ) ، فاقام الى (سنة ١٢٤هـ) ، ثم نقله على ولاية افريقية ، ابان اندلاع ثورة البربر ، فقمعها ، وارسل الى الأندلس ودانت له ، واستقر حتى اضطرب امر الخلافة ، فاخرجه اهل افريقية (سنة ١٢٩هـ) ورجع الى الشام حيث توفي نحو (سنة ١٣٠هـ) . (الزركلي : الأعلام ، ٢٨٦/٢-٢٨٧) .

(٢) الكندى : نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٣) اظنه يعني عبد العزيز بن مروان . (انظر : الكندى : نفس المصدر ، ص ٤٩) .

ماكان من الحاق قيس فيه زمن هشام ، واشياء احدثها المسودة[(1)] من ارباعهم التى احدثوها منه[(2)] .

ويبدو ان هذا العمل استهدف ضبط الأمور المالية الخاصة باهل الديوان . ولم يكن هذا العمل وحيدا فقد قام عمال الخليفة على مصر ببعض الاعمال والاجراءات المالية ، الكفيلة بتخفيض المصروفات ، وزيادة الواردات[(3)] .

ولاية حنظلة بن صفوان :

فى اواخر (سنة ١٠٢هـ) ورد كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك على امير مصر بشر بن صفوان بتوليته على افريقية ، فخرج اليها فى شوال من ذلك العام ، وقد استخلف اخاه حنظلة ابن صفوان على مصر ، فاقره الخليفة يزيد بن عبد الملك[(4)] .

وقد جعل حنظلة على شرطه محمد بن مطير البلوى ثم عزله (سنة ١٠٣هـ) ، واستعمل بدلا منه القاسم بن ابى القاسم بن زر السباشى مولى منهم[(5)] .

وفى سنة ١٠٣هـ خرج الى الاسكندرية ، واستخلف على مصر عقبة بن مسلم التجيبى . وكان قد مهد امور مصر ، واحسن السيرة فى سلطانه[(6)] .

---

(١) المسودة : يعنى بهم العباسيين ، لانهم اتخذوا السواد شعارا لهم .

(٢) عن التدوين الرابع زمن بشر بن صفوان ، (انظر : الكندى : الولاة ، ص ٧٠-٧١ ــ ابن تغرى بردى : النجوم، ٢٤٤/١ ــ سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٦٦-٦٧) .

(٣) سنبين تلك الاجراءات ، ابان دراستنا لسياسة الخليفة يزيد المالية فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

(٤) الكندى : نفس المصدر ، ص ٧١ ــ ابن تغرى بردى : نفس المصدر ، ٢٥٠/١ ــ القلقشندى : مآثر ، ١٤٨/١ (قال : حنظلة أخو صفوان ، خطا) .

(٥) الكندى : نفس المصدر والصفحة .

(٦) ابن تغرى بردى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

وفي (سنة ١٠٤هـ) ابان ولاية حنظلة بن صفوان ، اصدر الخليفة يزيد بن عبد الملك قراره بكسر الاصنام والصلبان ومحو الصور والتماثيل ، في كل مكان ، فورد كتابه على امير مصر بهذا الشان ، فكسرت الاصنام ومحيت التماثيل (١) .

اما قضاء مصر فقد اقر الخليفة يزيد قاضي عمر بن عبد العزيز عليها وهو عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن خذامر الصنعاني ، ابوه من ابناء الفرس في اليمن ، فكان اول قاض يتولى قضاءها من غير العرب . وقد ولاه عمر في رجب (سنة ١٠٠هـ) ، فظل على قضائها حتى عزله هشام بن عبد الملك في رمضان (سنة ١٠٥هـ) بيحيى بن ميمون الحضرمي ، فكانت ولايته من قبل عمر ويزيد بن عبد الملك ، ودامت مايقارب خمس سنين وثلاثة اشهر . وقد كان عبد الله بن يزيد ، صالحا عفيفا ، لم يقبض على عمله دينارا ولادرهما (٢) .

ومع استعمال الموالي واهل الذمة ، في كثير من الاعمال ابان العصر الاموي ، فقد ظلت وظيفة الوالي في مصر حكرا على العنصر العربي حتى نهاية الدولة الأموية (٣) .

---

(١) سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٨٠ .
وقد افردنا فصلا خاصا لبحث مرسوم الخليفة يزيد بن عبد الملك القاضي بمحو الصور وكسر الاصنام والصلبان والتماثيل ، لخطورة هذا القرار داخليا ، واثره على علاقة الدولة الاسلامية برعاياها من اهل الذمة ومداه خارجيا ، وخاصة في الدولة البيزنطية ، التي اتبع امبراطورها ليو الايسوري السياسة اللايقونية ، محاكيا سياسة الدولة الأموية وخليفتها يزيد بن عبد الملك . وقد توصلنا لتاريخ آخر لهذا المرسوم يخالف ماذكر اعلاه . (انظر الفصل الثالث) .

(٢) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ٢٩١-٢٩٢ (نقلا عن : الكندي : الولاة ، ص ٢٣٢-٢٣٣،٢٣٧-٢٤٠ ـ ابن حجر : رفع الاصر ، ٢/٣٠٤-٣٠٥) لكن ابن عبد الحكم ذكر أن عزل ابن خذامر الصنعاني كان (سنة ١٠٢هـ) ، (انظر : فتوح مصر ، ص ١٥٧) .

(٣) سيدة كاشف : نفس المرجع ، ص ٦٧ .

ولنا ملاحظة اخيرة على سياسة يزيد الادارية فى مصر ، وهى عدم اطلاق يد العامل وذلك عن طريق الفصل بين الوظيفة الادارية والمالية والقضائية . فقد عين الخليفة عاملا على الخراج من قبله ، كما كان امر القاضى الى الخليفة ولاية وعزلا ، وبذلك اقتصرت سلطات الامير على الصلاة والحرب .

وقد ظل حنظلة واليا على مصر حتى وفاة يزيد بن عبد الملك ، حيث عزله هشام باخيه محمد بن عبد الملك بن مروان[(١)] .

عماله على المغرب :

لما افضت الخلافة الى يزيد بن عبد الملك عزل اسماعيل ابن عبيد الله[(٢)] عن ولاية افريقية والمغرب[(٣)] ، وولاها يزيد بن ابى مسلم[(٤)] ، مولى الحجاج بن يوسف الثقفى ، فى ذى القعدة

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٠/١ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٢ .
ولعل عزل الخليفة يزيد لاسماعيل بن ابى المهاجر ، مؤدبه سابقا يدل على فتور العلاقة بين الخليفة ومؤدبه بينما نراه يستقضى الزهرى مؤدبه ومعلمه الآخر ، وهو لم يكن من رجال الدولة .

(٣) ذكر ابن ابى دينار ان عامل افريقية الذى عزله الخليفة يزيد بابن ابى مسلم هو محمد بن يزيد الانصارى كان عليها من قبل عمر بن عبد العزيز . (انظر كتابه المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، نشرة المكتبة العتيقة ، تونس ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٩) . والصحيح ماقدمناه ، فمحمد بن يزيد كان أمير افريقية من قبل سليمان بن عبد الملك فعزله عمر بن عبد العزيز باسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر . (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣١٨،٣٢٣) .

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٣٨٢ .

(سنة ١٠١هـ)[1] ، وكان قدومه اليها سنة ١٠٢هـ[2] .

وقدمها ومعه عبد الله بن موسى بن نصير[3] . اصحبه اياه الخليفة يزيد ، ولعل ذلك كما يقول حسين مؤنس[4] ليكون عونا له ، لمعرفته بشئون المغرب وخبرته بالبلاد وعلمه باهلها ، فلما وصلها ، امر ابن ابى مسلم عبد الله بن موسى ان يعد من ماله عطاء الجند وارزاقهم خمس سنين ، فقال لااقدر ، فحبسه بداره . واخذ موالى موسى بن نصير من البربر فوسم ايديهم وردهم الى الرق ، فجعلهم اخماسا واحصى اموالهم واولادهم ، وجعل بعضهم حرسه وبطانته ، فى محاولة

---

(١) عن ولاية يزيد بن أبى مسلم ، (انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٤ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ - ابن أبى دينار : المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس ، ص ٣٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ - الذهبى : تاريخ الاسلام ، ٢١٥/٤ - الذهبى : دول الاسلام ، ٥٣/١ - الناصرى : الاستقصاء ، ١٠١/١ ، وغيرهم) .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر والصفحة - ابن الاثير : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) عبد الله بن موسى بن نصير اللخمى ، امير من رجال الفتوح فى المغرب ، كان مع ابيه فى افريقية فاستخلفه على القيروان سنة ٩٣هـ ، واستمر اميرا عليها الى أن عزله سليمان (سنة ٩٧هـ) بمحمد بن يزيد ثم يختلف المؤرخون ، فمنهم كابن عذارى وآخرون يذهبون الى ان محمد سجن عبد الله وعذبه ثم قتله ، وفريق آخر منهم ابن حبيب يقول : أن بشر بن صفوان لما ولى افريقية سنة ١٠٢هـ ، اتهم عبد الله بن موسى بقتل يزيد بن ابى مسلم امير افريقيا ، فقتله به ، وبعث براسه الى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فنصبه (الزركلى : الاعلام ، ١٤٠/٤-١٤١) .

(٤) فجر الأندلس ، ص ١٥٨ .

منه للقضاء على كل اثر لجاه بنى نصير فى افريقية[1] ، وقد اعتبرت فاطمة رضوان[2] ان هذا الاجراء تجاه عبد الله بن موسى ومواليه ، بداية لسياسة ابن ابى مسلم الهادفة الى تتبع أموال الولاة السابقين ، لكننا لم نجد منه موقفا تجاه غير آل موسى ، ولم تمدنا المصادر بما يفيد محاسبته لغيرهم من الولاة . ويبدو انه ، كان يرى ان آل موسى اقتطعوا جزءا من اموال المسلمين ، ابان الفتوحات فى المغرب والاندلس . لذلك أمر عبد الله بن موسى ان يقدم عطاء الجند لخمس سنين . اما موقفه من موالى آل موسى ، فيبدو انه اعتبرهم جزءا من تلك الغنائم التى استحوذ عليها موسى وبنوه ابان تلك الفتوح ، لذلك اعاد مواليهم الى الرق ، وخمسهم ، فضم خمس الدولة او بعضه الى حرسه وبطانته . وكان هناك حرس للدولة ، فى خدمة أمير افريقية ، لايولى بتوليه ولايعزل بعزله ، مما يدل على ان ولاية افريقية غدت ذات نظم مستقرة[3] . وكان هؤلاء الحرس من البربر البتر ، ليس فيهم من البرانس احد[4] . وكان الولاة

---

(١) عن استصحاب عبد الله بن موسى وموقف ابن ابى مسلم منه ومن مواليه ، (انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٢/٣١٣ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٨) .

(٢) المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦٠ .

(٣) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١ .

(٤) البتر والبرانس : هما الجذعان الرئيسيان اللذان ينتمى اليهما البربر ، وكل جذع ينقسم الى عدد من القبائل ، فالقبائل البترية : لواتة ، ونفوسه ، ونفزاوة ، ومغراوة ، وزناتة ، ومطغرة ، ومغيلة ، ومكناسة ، ومديونة ، وزواغة . اما القبائل البرنسية : صنهاجة ، مصمودة ، هسكورة ، أوربة ، كتامة ، هوارة ، غمارة ، ازداجة ، مسطاطة ، جزولة . والبتر هم من عاشوا فى مناطق السهول المتميزة بالمناخ المعتدل ، بينما استقر البرانس فى الجبال الباردة ، ويعزى سبب=

السابقين ليزيد يقربون البتر ويميزونهم ويتخذون منهم بطانتهم ، فلما جاء ابن ابى مسلم اتخذ تجاههم سياسات كان فيها شىء من الامتهان والاذلال ، فخسر ولاء هذا الفريق القوى وهذا ماسيكون له عظيم الاثر فى تطور الاحداث فيما بعد (١).

ويتضح أن يزيد بن ابى مسلم اعتزم اتخاذ بعض الاجراءات التنظيمية فى جهاز الادارة تنطوى على شىء من الدقة ومظاهر الابهة ، فرأى ان يميز الحرس عمن سواهم ، حتى لايشتبه على الناس امرهم اذا ماأوكلت اليهم المهمات ، ويسارعون فى الاستجابة لأمر الحاكم (٢). فيروى ابن عذارى أن ابن أبى مسلم خطبهم قائلا : "انى رأيت أن أرسم اسم حرسى فى أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فارسم فى يمين الرجل اسمه وفى يساره "حرسى" ، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس ، فاذا وقفوا على أحد ، أسرع لما أمرت به" (٣).

---

= تسمية البرانس بهذا الاسم للبسهم برنسا كاملا بغطاء الرأس ، أما البتر فلبسوا البرنس بدون غطاء الرأس ، أى أبتر ، فسموا بالبتر . (انظر عن ذلك : عبد الواحد ذنون طه : الفتح والاستقرار العربى الاسلامى فى شمال افريقيا والاندلس ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٢م، ص ٥٣) . ويضيف شكرى فيصل : أن البرانس هم من خالط الروم على السواحل واكتسب منهم الحضارة ، والبتر هم البدو يحيون عيشة القبائل فى الداخل ، وان لم تنقطع بينهم الصلات . (انظر : حركة الفتح الاسلامى ، ص ١٨١) .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ ـ فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٦١ . (وعللت اعتماد الولاة على البتر ، لأن الكثير من البربر البرانس كانوا قد انضموا الى الجيش الاسلامى بعد مقتل الكاهنة فى ولاية حسان بن النعمان) ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ١٤٧-١٥٩ .

(٢) البيان المغرب ، ٤٨/١ .

(٣) ينطوى النص على اقتباس ابن أبى مسلم شىء من التنظيمات الرومية . وذلك الاقتباس كان ظاهرة معروفة فى العصر الأموى بحكم وجود عاصمتهم دمشق فى بلاد الشام التى كانت تابعة للروم قبل الفتح ، ولاتخاذهم أبهة =

بـل ان البلاذرى[1] اخبر بما يفيد انه شرع فى تنفيذ عزمه عندما قال : "كان حرسه من البربر فوسم كل امرىء منهم على يده حرسى" .

وقد فات الامير طبيعة القبائل البترية ، وانهم بحياتهم البدوية ، اشبه بالعرب فى انفتهم ، وعزة انفسهم ، كما تجاهل اسبقيتهم الى الدخول فى الاسلام ، وتقديم خالص العون لهم . لذلك انكروا عليه هذا التصرف لما فيه من الامتهان والاستخفاف ، وكرهوا سيرته ، وقالوا : جعلنا بمنزلة النصارى ، فسعوا الى بعض ، واتفقوا على قتله[3] . وكان لعبد الله بن موسى بن نمير دور فى تاليبهم وتحريضهم عليه[4] .

وتشير بعض المصادر والمراجع الى عوامل اخرى ادت الى مقتل يزيد بن ابى مسلم ، منها ماتشير اليه فاطمة رضوان[5] ، من ان ابن ابى مسلم زعم ان بلاد المغرب فىء للامويين ومغنم فتحوه عنوة بالسيف ، فهو ملك للدولة ، لها ان تقرر ماشاءت من الخراج على اراضيه .

---

= الملك فى دولة توسعت وضمت مناطق كانت مهد حضارات قديمة ، واقوام من غير العرب كان لهم ثقافاتهم ونظمهم المتقدمة ، فاوجبت الحاجة فى دولة ناشئة مثل هذا الاقتباس والمحاكاة .

(١) فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ .
(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٥٩ .
(٣) البلاذرى : نفس المصدر والصفحة ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ ـ حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٥٦ .
(٤) حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٥٩ .
(٥) المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١ .

وتذكر المصادر والمراجع[1] ، ان ابن ابى مسلم عزم على ان يسير فى اهل افريقية والمغرب بسيرة الحجاج بن يوسف فى اهل الاسلام الذين سكنوا الامصار ، ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة ، فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم على ذلك ، اجمعوا على قتله فقتلوه .

والحقيقة ان هذين الخبرين يفيدان ماعتزمه ابن ابى مسلم وماكان يراه ، الا انهما لايشيران الى تنفيذه هذه السياسة . ومن هنا فان هذين العاملين كما يبدو قد ساعدا على وجود الجفوة والفجوة بين ابن ابى مسلم واهالى المغرب الا ان من الواضح ان السبب المباشر لمقتله هو موقفه من عبد الله بن موسى بن نصير ومواليه وحرسه ، يؤكد ذلك اتهام عبد الله بقتل يزيد ، وقتله قصاصا بعد ان قامت عليه الحجة[2] .

ونحن لانجانب الواقع كثيرا اذا قلنا بان الصلة التى تربط يزيد بن ابى مسلم بالحجاج بن يوسف[3] ، قد جنت عليه ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ (وقد اوردنا نص خبره فى هذا الشان بعد : المبحث الثانى ، ص ٥٥٩) - وكذلك ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٣٩ - ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ - ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٤٥/١ - الناصرى: الاستقصاء ، ١٠٣/١ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٤/٢ - فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٥٨ - حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥٩ .

(٢) انظر اتهام عبد الله بن موسى بقتل ابن أبى مسلم ، وقتله بعد قيام الحجة عليه ، بعد : ص ٥٢٨-٥٣١ .

(٣) تتمثل هذه الصلة فى كونه مولا للحجاج وكاتبا له ، كانت فيه كفاية ونهضة فقدمه الحجاج ، واستخلفه على خراج العراق عند وفاته ، فاقره الوليد وقال :"مثلى ومثل الحجاج وابن ابى مسلم كرجل ضاع منه درهم فوجد دينارا" . (انظر ذلك فمن ترجمته عند ابن خلكان : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠٩) .

واكسبته كراهة الناس ، وتحامل بعض المؤرخين ، ظنا انه على شاكلة سيده الحجاج وانه لابد سائر على نهجه . اذ لاتمدنا المصادر بنصوص تثبت اتباعه نهج الحجاج ، او اتخاذ خطوات ادارية او مالية فيها ظلم واعتداء غير ماأوردته من سياسته تجاه آل موسى ومواليهم وحرسه ، وماعدا ذلك لانجد سوى الظن والقول بانه كان يرى او انه اعتزم . فما نفذ ماكان يراه ، ومافعل مااعتزمه . وقد يكون ابن ابى مسلم كان يرى ذلك ، لكنه ايضا كان موقنا من عدم امكانية تنفيذ مايراه ، فى قبائل البربر التى الفت عدالة الاسلام ، ونعمت بما اجراه عليها حسان بن النعمان الغسانى ، يساعدهم على ذلك قوة شوكتهم ، ومنأى بلادهم عن دار الخلافة ، وطبيعة ارضهم القاسية (١) .

ولقد قال كثير من المؤرخين بسوء سيرة يزيد بن ابى مسلم الثقفى ، ومن هؤلاء المؤرخ والمحدث الثقة ، الامام الذهبى (٢) ، الذى قال عنه : "فبقى – يعنى يزيد بن ابى مسلم – على المغرب سنة وفتكوا به لانه اساء السيرة وظلم فقتلوه واراح الله منه فى سنة اثنتين ومائة " .

---

(١) من المعروف ان بلاد المغرب قد فتح بعضها صلحا ، والبعض الآخر عنوة ، الا ان الوالى حسان بن النعمان (٧٤-٨٥هـ) الذى نظم المغرب اداريا لاول مرة ، أجرى عليها حكم الارض المفتوحة صلحا . ووافقه فى ذلك موسى ابن نصير ، ومن جاء بعده من الولاة ، حتى ولاية يزيد ابن ابى مسلم . (انظر : فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١-٦٢،٢٩-٣٠) .

(٢) تاريخ الاسلام ، ٢١٥/٤ – دول الاسلام ، ٥٣/١ – وممن قال بظلمه وسوء سيرته ضمنا من خلال اعتزامه اتباع نهج الحجاج فى أهل السواد / الطبرى : تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ – ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ – ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٣٩ – الناصرى : الاستقصاء ، ١٠٣/١ .

وان كنا نجد ابن خلكان فى خبر عزاه الى ابن عساكر [(١)] ، يشير الى حسن سيرة ابن أبى مسلم ، ولانفراده بهذا الخبر ، رجعنا الى ابن عساكر [(٢)] ، فوجدنا الخبر الذى نقله عنه ابن خلكان ، لكنه لم يذكر القول بحسن سيرته . وجاء عند ابن خلكان زيادة لانعلم أهى عنه ، أم من النساخ ، وبلاشك فان فى موقف يزيد بن أبى مسلم من آل موسى ، وماأراد اجراءه على حرسه من البربر ، ظلما وسوء سيرة ، الا أن المصادر لاتمدنا بنصوص تدل على سياسات ظالمة طبقها على عموم البربر فى افريقية . وهذا مادفعنا الى مناقشة ماذكر حول سيرته فى البربر ، وتحديد ماورد فيها من عموميات اللفظ والمعنى للوصول الى حقيقة سيرته فى ظل المقتضى الصحيح لتلك النصوص .

وكان حرس يزيد قد اتفقوا على قتله ، فلما كان شهر رمضان من (سنة ١٠٢هـ) ، وثب عليه أحد جنده ويدعى "حريز" [(٣)] فقتله فى مصلاه ، بعد أن صلى ركعة من صلاة المغرب [(٤)] . وقصة ذلك أن يزيد لما تولى المغرب ، قبض على محمد بن يزيد

---

(١) وفيات ، ٣١١/٦ .
(٢) تاريخ دمشق ، المخطوط ، ٣٨٩/١٨ .
(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣ . واورد اليعقوبى اسمه "جرير" . (انظر : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢) .
(٤) عن مقتل يزيد بن أبى مسلم ، (انظر : ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ ـ ابن عبد الحكم : نفس المصدر والصفحة ـ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٨/١ ـ ابن عساكر : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ ابن خلكان : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١١-٣١٢ ـ ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٣٩ -اليعقوبى : نفس المصدر والجزء والصفحة (أشار انه قتله وهو ياكل عنبا فى طعام له ، ووافقه على ذلك ابن عبد الحكم ، نفس المصدر والصفحة ) .

الانصاري ، وعذبه حيث يروى ان عمر بن عبد العزيز في مرض موته امره باطلاق المساجين ، فاطلقهم جميعا ماعدا ابن ابي مسلم ، فنذر دمه ان تمكن منه . فلما مات عمر ولاه الخليفة يزيد افريقية ، وكان محمد بها ، فاخذه بذلك وسجنه وعذبه ، وكان في يوم مقتله قد عزم على قتله فامر بالنطع والسيف لقتله ، الا ان صلاة المغرب اقيمت ، فقام لها ، فوثب عليه جنده وقتلوه .(١)

ويقال (٢) : ان صاحب هذه القصة ليس محمد بن يزيد بل الوضاح بن ابي خيثمة (٣) الذي كان حاجبا لعمر ، فامره باطلاق المساجين ، فترك ابن ابي مسلم ، ولما مات عمر هرب الى افريقية ، فجاءت ولاية ابن ابي مسلم عليها ، فقبض عليه .

وهذا القول اولى ، خصوصا ان محمد بن يزيد كان عمر قد عزله عن افريقية وولاها ابن ابي المهاجر (٤) ، فمن المشكوك فيه ان يوليه (٥) امرا له بعد عزله . لكن بالعودة الى ابن خياط اسبق من اشار الى الرواية الاولى ، وجدنا ان الوضاح بن خيثمة المذكور احد رجال سند الرواية التي نقلنا قصة محمد ابن يزيد مع ابن ابي مسلم ، كما اننا وجدنا حجابة عمر بن عبد العزيز لم تكن للوضاح بل لحبيش مولاه (٦) .

---

(١) ذكره ابن خلكان في ترجمة يزيد بن ابي مسلم ، واورد قصته معه ، ولم يفرد له ترجمة . (انظر : وفيات ، ٦/٣١١-٣١٢) .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ – ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٤٣ (الا انه اشار ان سبب ذلك ان محمد ابن يزيد تولى عذابه زمن الحجاج . وذلك مستبعد فقد كان ابن ابي مسلم ثقة الحجاج وكاتبه ) .

(٣) الجهشياري : الوزراء ، ص ٥٦-٥٧ – ابن خلكان : نفس المصدر والصفحة – الناصري : الاستقصا ، ١/١٠٣ .

(٤) ابن خياط : نفس المصدر ، ص ٣٢٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٦ .

(٦) ابن خياط : نفس المصدر ؛ ص ٣٢٥ .

مما يجعلنا امام اضطراب لامخرج منه ، وايا كان صاحب القمة ، فالمهم لدينا حدوث مقتل ابن ابى مسلم اثناءها .

وينفرد خالد الصوفى بالقول (١) : ان ابن ابى مسلم قتل بالسم ، لكنه لم يشر الى مصدر خبره ، وهو بذلك خبر ضعف لايلتفت اليه ، امام اجماع المصادر على ماقدمناه .

كما نجد من يقول بقتل ابى مسلم على يد الخوارج ، يقول الذهبى فى رواية له (٢) : "ثم امره – اى ابن ابى مسلم – على افريقية يزيد بن عبد الملك ، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لظلمه ، سنة اثنتين ومئة" . وذكر هذا القول عوض خليفات (٣) ، واتخذ من ذلك دليلا لدحض القول باعتناق ابن ابى مسلم لمذهب الخوارج الصفرية (٤) ، مفسرا اتهام ابن ابى مسلم بانه من الخوارج الصفرية ، بوجود رابطة الصداقة التى كانت تربطه بجابر بن زيد (٥) .

وقد كان مقتله بعد ولاية دامت اقل من عام واحد ، فقد

---

(١) تاريخ العرب فى الاندلس ، ص ٢١٩ .

(٢) سير ، ٥٩٣/٤-٥٩٤ – وقال بقتله على يد احد الخوارج ، ابن ابى دينار : المؤنس ، ص ٣٩ .

(٣) نشأة الحركة الاباضية ، ص ٣٧ (نقلا عن : ابن خلدون : العبر ، ٤٠٣/٤ ، ٢٢٠/٦-٢٢١) .

(٤) ورد القول باعتناق ابن ابى مسلم مذهب الخوارج عند : ابن عساكر : تاريخ دمشق ، المخطوط ، م٣٦٨/١٨ – محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٤٩ (نقلا عن : ابن الاثير : الكامل ، ٧٠/٥ – المبرد : الكامل ، ٩٤٩/٣-٩٦٨) .

(٥) جابر بن زيد الازدى ، ابو الشعثاء البصرى ، تابعى من رواة الحديث الثقات ، كان عالم اهل البصرة فى زمانه اتهم بالمذهب الاباضى الخارجى ، فقال له رجل : ان هؤلاء الاباضية ينتحلونك ، فقال : ابرأ الى الله من ذلك . توفى سنة ٩٣هـ على خلاف . (ابن حجر : تهذيب ، ٣٤/٢ – الذهبى : سير ، ٤٨١/٤-٤٨٢ (لكنه لم يشر الى اتهامه بالمذهب الاباضى) .

تولاها في ذي القعدة سنة ١٠١هـ (١) ، وقتل في رمضان (سنة ١٠٢هـ) (٢) . وهذا قريب من قول الذهبي : بانه بقي على المغرب سنة (٣) . ونحن بهذا نرد قول من حدد ولايته بشهر واحد (٤) .

وتختلف المصادر على من تولى أمر افريقية بعد يزيد بن ابي مسلم ، فمنها مايذكر أن أهل افريقية ولوا على انفسهم الوالي الذي كان عليهم قبله ، وهو محمد بن يزيد مولى الانصار ، وكان عندهم غازيا مقلية في جيش يزيد بن أبي مسلم (٥) وكتبوا الى الخليفة يزيد : "انا لم نخلع أيدينا من الطاعة ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا بما لايرضي الله والمسلمون ، فقتلناه ، واعدنا عاملك" . فكتب اليهم الخليفة : "اني لم ارض ماصنع يزيد بن أبي مسلم ، واقر محمد بن يزيد على افريقية (٦) " .

---

(١) انظر ماكتبناه عن ولايته قبل : ص ٥٠٦-٥٠٧ .
(٢) انظر تاريخ مقتله في الصفحة السابقة ، وايضا : الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٨٦/٤ ، والعبر في خبر من غبر ١٢٤/١ - اليافعي : مرآة ، ٢٤١/١ - الناصري : الاستقصاء ١٠٣/١ .
(٣) تاريخ الاسلام ، ٢١٥/٤ .
(٤) قال بذلك : السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٤/٢-٢٩٥ (نقلا عن السلاوي : الاستقصا ، ١٠٣/١) - فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاه الامويين ، ص ٦٦ (نقلا عن : ابن عذارى : البيان المغرب، ص ٤٨ - الرقيق القيرواني : تاريخ افريقية ، ص ١٠٠ - محمد دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ٢٠٤/٢) - محمد زيتون : المسلمون في المغرب والاندلس ، ص ٦٥) .
(٥) هناك رواية تقول أن محمد بن يزيد كان سجين ابن ابي مسلم عند مقتله . (انظر ذلك قبل : ص ٥١٣) .
(٦) عن القول بتولية محمد بن يزيد ، (انظر : الطبري : تاريخ الأمم ، ٦١٧/٦ - ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ (اشار ان محمد بن يزيد كتب للخليفة بالخبر ، فولى بشر بن صفوان ، ولم يقل بولاية محمد بن يزيد) - الجهشياري : الوزراء ، ص ٥٧ - ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ - ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦-٣١٢ - ابن عذارى: البيان المغرب ، ٢٧/٢ - الذهبي : تاريخ الاسلام ٢٠٢/٤، ودول الاسلام ، ٥٣/١ (قال :اخرجوا محمد من سجنه وولوه) =

ومن هذا القول يفهم ان عمل البربر لم يكن خلافا على الدولة او خروجا عن الطاعة ، وانما رد فعل لما فعله الوالي بهم ، فكتبوا الى الخليفة معتذرين ، مؤكدين بقاءهم على الطاعة والجماعة . كما يفهم منه ، ان يزيد بن ابي مسلم قد اوقع بالبربر شيئا من الظلم والجور ، لكنه لم يوضح في اي شيء كان ، اذلك في النواحي المالية ام غيرها .

وقد كان الخليفة في هذا الموقف واقعيا مرنا ، ابدى انكاره لصنيع ابن ابي مسلم ، واقر الامير الذي ولوه حتى بعث اليهم اميرا آخر من قبله . وبلاشك فان في ذلك دلالة على ان الكثير من تصرفات الولاة لم تكن بتوجيه من الخليفة او تنفيذا لسياسة الدولة . ويلاحظ من النص ، انهم ولوا الوالي الذي كان عليهم قبل ابن ابي مسلم . والصحيح ان عاملهم قبل ابن ابي مسلم لم يكن محمد بن يزيد بل اسماعيل بن ابي المهاجر الذي كان قد ولاه عمر بن عبد العزيز على افريقية بعد ان عزل عنها عامل الخليفة سليمان وهو محمد بن يزيد .

وهذا فيما يبدو كان سببا في اختلاف المؤرخين ، فقد ذهب فريق منهم[(١)] الى ان اهل افريقية ولوا عليهم بعد مقتل يزيد بن ابي مسلم اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر .
كما نجد فريقا ثالثا[(٢)] ، يقول بان اهل افريقية بعد

---

= القلقشندي : مآثر ، ١٤٩/١ - ابن ابي دينار : المؤنس ص ٣٩ . (والمصدران الاخيران قالا : انهم كتبوا الى الخليفة بقتله ، فردعلي المغرب محمد بن يزيد ، حتى صرفه ببشر بن صفوان) .

(١) ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦-٣١٢ - الناصري : الاستقصاء ١٠٣/١-١٠٤ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٣-١٤٤ - ابن عذاري : البيان المغرب ، ٤٨/١-٤٩ - الدباغ : معالم الايمان ، ١٩٦/١-١٩٧ .

مقتل ابن ابى مسلم تراضوا على المغيرة بن ابى بردة (١) ، لكن ابنه عبد الله خوفه ان يتهم بقتل الامير ان تولى الامر، وارتأى هو وولده ترك الأمر ، وتراضوا على محمد بن اوس الانصارى ، امير البحر وكان غازيا بصقلية فلم يلبث الا (٢) يسيرا حتى قدم من غزوه غانما ، فقلدوه امرهم ، فكتب بذلك مع خالد بن ابى عمران الى الخليفة ، فقبل منهم وعفا عن زلتهم ، وكان قد سال الرسول عن ابن اوس فقال : انه من اهل الفضل والدين ، ثم ساله : الم يكن بها قرشي ؟ فقال له : بلى ، المغيرة بن ابى بردة ، فقال له : لم لم يقم ؟ قال خالد : ابى ذلك واحب العزلة . فسكت الخليفة مقرا لهم . فمن الذى تولى امر افريقية بعد ابن ابى مسلم من هؤلاء الثلاثة ؟ ان القول بولاية اسماعيل بن ابى المهاجر او محمد ابن اوس،اولى للنص على ولايتهما فى بعض الروايات، كما بينا آنفا ، ولان الناس اذا كان الاختيار من قبلهم ، ولوا عليهم احب الناس اليهم ، ومن عرف عنه القدرة والصلاح . وتلك الصفات كانت متوفرة فى اسماعيل بن عبيد الله ، الذى كان من خيار من تولى افريقية ، وقد احسن السيرة فى اهلها ، (٣)

---

(١) المغيرة بن ابى بردة الكناني بالحلف ، من بنى عبد الدار ، كان ممن استوطن افريقية من جلة التابعين ، وكان من وجوهها ذو فضل ودين كثير الصدقة ، من رواة الحديث الثقات ، غزا البحر لسليمان بن عبد الملك ، والصائفة بالبعث من مصر الى افريقية (سنة ١٠٠هـ) ، كما غزا القسطنطينية وغزا مع موسى بن نصير المغرب والاندلس ، ولما قتل ابن ابى مسلم ارتضاه الناس لامرهم فابى ، رغبة فى السلامة . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٢٩/١٠-٢٣٠ ـ الدباغ : معالم الايمان ، ١٩٦/١-١٩٧) .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الرابع ، المبحث الثالث ، ص ٣٨٢ .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ١٠٢ .
وعن ولايته على افريقية وسيرته فى اهلها ، انظر : فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٤٣-٥٦ .

وكذلك محمد بن اوس ، الذى كان من اهل الفضل والدين والفقه وصاحب اثر حسن فى الغزو والجهاد (١) .

اما محمد بن يزيد ، فقد ذكر انه كان عامل سوء يظهر التأله والنفاذ لكل ماامر به السلطان ، مما جل او صغر ، وان كان جورا ، او مخالفا للحق ، وكان فى هذا يكثر الذكر والتسبيح ، فيامر بالقوم يعذبون بين يديه ، وهو يقول : لااله الا الله والله اكبر ، شد ياغلام موضع كذا وكذا ، فكانت حالته شر الحالات ، ولعل ذلك مادعى عمر بن عبد العزيز الى عزله عندما تولى الخلافة (٢) ، وعطفا على ذلك فان تولية امرهم لاسماعيل بن ابى المهاجر او محمد بن اوس ، اولى وارجح من تولية محمد بن يزيد .

والحقيقة ان الخليفة يزيد لم يقر البربر على قتل الامير ، وفى ذلك مافيه من تجاوز على سلطان الدولة والشريعة . لكنه اراد تجاوز المحنة بحكمة وحنكة ، فجنب الدولة مشاكل لاحصر لهااذا ماتورط فى الاصطدام مع البربر وهم القوة القوية فى المنطقة الوعرة النائية ، والتى مااظن ان الخليفة قد نسى كم كلف فتحها اسلافه ، من الجهد والمال والانفس والزمن (٣) .

---

(١) انظر الاحالة الى ترجمته فى الصفحة السابقة .
(٢) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٢٠ (نقلا عن ابن عبد الحكم : سيرة عمر ابن عبد العزيز ، ص ٣٢-٣٣) . وهذا لايعنى سوء ولايته مطلقا ، فقد ذكر له جوانب مضيئة من السيرة ، وبخاصة فى نشر الاسلام ، والرفق واللين بالبربر وتقريبهم . (انظر عن ذلك : فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٣٦-٣٧) .
(٣) استغرق فتح المغرب مدة زمنية طويلة قياسا بفترة باقى الفتوحات ، وامتدت هذه الحقبة من عام ٢٢-٩٠هـ وقد تعاقب خلال تلك الفترة عدد من القادة ابتداء من عمرو ابن العاص ، وانتهاء بموسى بن نصير . (يوسف احمد حوالة : الحياة العلمية فى افريقية ، ص ١٠٢) .

فاقر الجميع على ماصنعوه ، واقتص ممن اتهم بقتل عامله ، وثبتت عليه الحجة .(١)

بعد أن عرضنا لولاية يزيد بن ابى مسلم ارى أن من الاهمية الاشارة الى آراء بعض المؤرخين المحدثين حول اسباب ولايته وطبيعة سياسته ابانها واثر تلك السياسة .

فيرى ثلة من المؤرخين ان استعمال الخليفة يزيدبن عبد الملك ليزيد بن ابى مسلم جاء لتعصب الخليفة للعنصر القيسى الذى عرف بتصلبه مع العناصر غير العربية ، وان الخليفة لم يكن يقر سياسة اللين والتسامح التى اتبعها سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ويرى أن سياسة الترهيب والعنف اجدى على الدولة ، وانه كان يرى أن دخول البربر فى الاسلام قد ادى الى نقص مورد هام من موارد بيت المال وهو الجزية لذلك كان اختياره لابن ابى مسلم القيسى مولى الحجاج وكاتبه وتلميذه . والذى غير الملامح الاساسية لسياسة الولاة قبله، والتى اتسمت بمحاولة توطيد الاخوة والتعاون بين العرب والبربر وادخالهم فى الدين الاسلامى ، فنهج سيرة سيده الحجاج واشتط على أهل البلاد من البربر ، ففرض عليهم(٢)

---

(١) عن مقتل عبد الله بن موسى بن نصير ، على يد عامل يزيد الجديد بشر بن صفوان ، (انظر بعد : ص ٥٢٨) .

(٢) يقول صابر دياب عن سيرة المسلمين الحسنة فى البربر : انهم نشروا الاسلام فيهم واشركوهم معهم فى الجيوش الفاتحة ، وسعيا وراء سياسة التآلف والتلاحم مع البربر ، تمت المساواة بين الفريقين فى الفىء والغنيمة والحقوق والواجبات ، كما اعتبروا أرض المغرب ارضا مفتوحة صلحا لاعنوة . فاقروا اهلها على مابيدهم من الارض وتركوا لكل قبيلة ارضها ، تصرف امورها ، وتؤدى خراجها ، واعتبروهم احرارا فى بلادهم وهذا ما ادى الى ولاء البربر للاسلام ودولته . (انظر : بلاد المغرب فى القرن الاول الهجرى ، مكتبة السلام العالمية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ١٥٩، ١٦١) .

الجزية واستخف بهم وسبى نساءهم ، واشتد فى جمع اموالهم ، بل انه تفوق على الحجاج فى مظاهر السلطان والترف والحاشيات الخاصة (١) .

والحق انه ليس فى هذه الاقوال الا قليل من الحق ، ولقد قدمنا الرد على من اتهم الخليفة يزيد بتعصبه للعنصر القيسي وميله للعنف والشدة (٢) . كما انه ليس من الثابت اتخاذ يزيد بن ابى مسلم سياسات مالية وادارية متسلطة وظالمة ، لخلو المصادر من نصوص تدل على ذلك ، ماعدا سياسته تجاه موالى آل موسى بن نصير وحرسه ، وكذلك ماأشارت اليه المصادر من اعتزامه اتباع نهج الحجاج (٣) ، مع انه لم يثبت اتباعه لذلك النهج .

والحق ان فى كتاب البربر الى الخليفة يزيد (٤) ، مايفيد تجاوز ابن ابى مسلم وظلمه ، الا ان ذلك الكتاب لايصرح بنوع ذلك التجاوز والظلم . لذا فمن تشويه الحقائق القول بما لم يثبت ، وذكر معلومات افتراضية ، او المبالغة فى تصوير الأحداث . فلم اجد فى اى من المصادر التى اطلعت عليها ان ابن ابى مسلم نفذ سياسات محددة وواضحة من سياسات الحجاج

---

(١) انظر هذه الآراء عند : فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٢، ٢٥٨ ـ فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٥٨ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٣-٢٩٤ ـ ابراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ، ص ٣٥٠ ـ والدولة العربية فى اسبانيا من الفتح الى سقوط الخلافة (٩٢-٤٢٢هـ/٧١١-١٠٣١م) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٠١-١٠٢ ـ حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب ، ص ١٨ ـ محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٣٤ .

(٢) انظر ماكتبناه حول ذلك قبل : ص ٤٣٠، ٤٣٢ .

(٣) انظر قبل : ص ٥١١ ومابعدها .

(٤) انظر نص الكتاب قبل : ص ٥١٦ .

التى اعتزم تنفيذها ، كفرض الجزية على من اسلم ، او فرض ضرائب اضافية ، او اعادة الموالى الى مناطقهم الأصلية ، او حرمانهم من العطاء ، وغير ذلك .

لقد ذكرنا قبل(١) أن سياسة يزيد بن ابى مسلم تجاه آل موسى ومواليهم ، وماحاول القيام به من تنظيم لحرسه البربرى البدوى ، فى صورة تنم عن الامتهان والضعة ، كانت وراء التخلص منه ، اذ دفعتهم انفتهم بتحريض من عبد الله ابن موسى بن نصير الى قتله ، وكأنهم ارادوا ان يخلصوا المغرب منه قبل ان ينفذ فيه سياسات سيده الحجاج . كما أن هذه السياسة لم تكن ترضى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ولاتلك الأساليب التعسفية تجاه البربر ، لذلك جاء رده عليهم عندما كتبوا له بقتله وتولية عامله : انى لم ارض ماصنع ابن ابى مسلم واقر من ولوه امرهم(٢) ، بل ان هذا الموقف من الخليفة دليل على اهتمامه ببلاد المغرب(٣) .

وعليه لايستحب قبول تلك الآراء التى تشوه سلامة موقف الخلافة ، وان موقفها من باب الاعتراف بالأمر الواقع ، وان الخليفة يزيد انما قبل بما ليس منه بد(٤) .

كما لايجوز قبول القول بان المسلمين أساءوا السيرة فى بلاد المغرب ،وان غرض الحكم الاسلامى هناك انما كان الاستبداد

---

(١) انظر قبل : ص ٥٠٧ ومابعدها .

(٢) حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٤٥-١٤٦ .

(٣) صابر محمد دياب حسين : انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب فى عصر الولاة ، بحث ، مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، العدد السادس ، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ ، ص٢٨٧

(٤) مثل تلك الآراء نجدها عند : فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصرة الولاة الأمويين ، ص ٦٧ ـ صابر دياب : نفس المرجع ، ص ٢٨٨ .

والعسف بالبربر ، فمن الانصاف القول ان بعض عمال الدولة هم الذين اساءوا السيرة ، فغالوا فى الاستبداد والسيطرة ، ظنا منهم ان مسلكهم هذا سيرضى الخلفاء عنهم . لقد كان البربر انفسهم لايشكون فى نية الخلافة تجاههم ، وكانوا يأملون منها الخير ، لذلك كان سخطهم منصبا على العمال ، وكانوا يرددون "لانخالف الائمة بما تجنى العمال" .(١)

ونجد بعض المؤرخين يجعلون من عهد يزيد بن أبى مسلم مقدمة لثورات البربر التى اجتاحت بلاد المغرب(٢) ، وأن نفوس البربر وبلاد المغرب اضحت ارضا خصبة صالحة لبث مبادىء الخوارج فيها ، من جراء سياسته التعسفية هو وبعض الولاة الذين جاءوا بعده كعبيدة بن عبد الرحمن السلمى (١١٠ – ١١٥هـ) ، وعبيد الله بن الحبحاب (١١٦ – ١٢٣هـ) ، فوجد الخوارج ارضا مناسبة لنشر مذاهبهم والثورة على حكامهم ، لبعدها عن دار الخلافة ، ولتهيؤ نفوس اهلها ، تلك النفوس التى ضامها الظلم ، فجنحت للعدل والمساواة التى نصت عليها مبادىء الدين الاسلامى ، والفتها النفوس منذ الفتح حتى تولى

---

(١) صابر دياب : انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب فى عصر الولاة ، ص ٢٩٠-٢٩١ .

(٢) نعنى بها ثورات البربر التى كان للخوارج الدور الاكبر فى اشعالها والقيام عليها ، والتى كان انفجارها بعد ان فشل وفد اهل افريقية بزعامة ميسرة المطغرى السقاء المغرى من مقابلة الخليفة هشام بن عبد الملك ، عندما ذهبوا اليه ليرفعوا شكواهم مما يجدونه من عماله عليهم، فتركوا شكواهم بيد الأبرش الذى كان بمثابة وزيره ، وعادوا الى المغرب ، وهناك اظهروا الخروج على عامل عبيد الله بن الحبحاب فى طنجة عمر بن عبيد الله المرادى (سنة ١٢٢هـ) ، بقيادة ميسرة المطغرى ، فعمت بلاد المغرب والأندلس ، وكانت فتنة ايما فتنة هزمت فيها جيوش الخلافة فى اكثر من موقعة ، وراح ضحيتها آلاف من المسلمين ، وقد تولى التصدى لها ولاة المغرب ابن الحبحاب ثم كلثوم بن عياض والقائد بلج بن بشر =

هؤلاء الأمراء المستبدين .(١)

ولاية بشر بن صفوان الكلبى على افريقية والمغرب :

حينما بلغ الخليفة يزيد بن عبد الملك مقتل عامله على افريقية يزيد بن ابى مسلم ، اقر لأهلها الأمير الذى ولوه امرهم حتى يبعث عليهم عاملا من قبله ، فكتب الى بشر بن صفوان الكلبى ، عامله على مصر ، بولايته على افريقية فى (شوال سنة ١٠٢هـ) ،(٢) فقدمها فى الشهر والعام نفسه(٣) ، وقيل : كانت ولايته (سنة ١٠٣هـ) وقدومه ايضا(٤) . والأولى ماقدمناه ، لوروده فى اقدم المصادر ، وتناسبه مع الحدث . فيبدو أن

= وغيرهم من قادة وامراء المدن والاقاليم ، حتى كان اخمادها على يد حنظلة بن صفوان الكلبى فى اواخر خلافة هشام (سنة ١٢٥هـ) ،بعد انتصاره الكبير عليهم فى معركتى الاصنام والقرن . (انظر تفاصيل ذلك عند : فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ١٢٠-١٤٤) .

(١) فاطمة عبد القادر رضوان : نفس المرجع ، ص ١٠٥،٧٨، ١١٥-١٢٠ - السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢٩٧/٢ - محمود اسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٤٠ - صالح باجية : الاباضية بالجريد فى العصور الاسلامية الأولى ، دراسة للحصول على شهادة الكفاءة للبحث العلمى ، الجامعة التونسية ، الكلية الزيتونية، الشريعة وأصول الدين ، دار أبوسلامة للطباعة والنشر ، تونس ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م ، ص ٢٦،٢٣ .

(٢) الكندى : الولاة ، ص ٧١ .

(٣) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٦ - ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص ١٤٤ (ذكر سنة الولاية ولم يحدد الشهر) - ابن تغرى بردى : النجوم ، ٢٤٤/١ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٩،٢٧/٢ - الناصرى : الاستقصا ، ١٠٤/١ - القلقشندى : مآثر ، ١٤٩/١ - وانظر ايضا عن ولاية بشر على افريقية : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ - اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣١٣/٢ - مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣١ - ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ .

تعيينه جاء في اعقاب قتل ابن ابى مسلم مباشرة الذى كان مقتله في رمضان سنة ١٠٢هـ ، لتثبت الخلافة لأهل ذلك القطر ان اغماض العين عن صنيعهم ، واقرارها من ولوه مؤقتا ، لايعني عجزها عن السيطرة على الاقليم ، وترك الحرية للرعية في التطاول على سلطان الدولة ، وتصحيح الأوضاع من عند انفسهم .

فبعث اليهم بشرا من قبله ، وجعل من مهماته التحقيق في مقتل عامله السابق والاقتصاص من المتهم ، والعمل على اعادة الامن والاستقرار واستمالة البربر بالاحسان اليهم والعدل فيهم . وكان بشر من الولاة الذين يعتمد عليهم في الادارة والسياسة ، لأنه كان عاقلا رزينا شجاعا ، محنكا رؤوفا بالرعية ، فاصطنع مع البربر سياسة تقوم على المساواة بينهم وبين العرب ، وعمل فيهم بالعدل والاحسان ، والان جانبه تهدئة لخواطرهم ، واستمالة لهم ، فبادلوه الاحترام والتقدير ، وسكنت اليه نفوسهم ، ودانوا له بالطاعة والولاء ، فتمكن بذلك من تسكين أرجاء المغرب ،وساد البلاد في عهده السلم والهدوء .(١)

وقد استغل بشر هدوء المغرب ابان ولايته ، فعمر البلاد وسار بها في طريق التقدم والرخاء .(٢)

كما اقتفى أثر أميرى المغرب محمد بن يزيد واسماعيل ابن عبيد الله بن أبى المهاجر في نشر الدين والعلم ،

---

(١) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٦٨ ـ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٥ ـ فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨ .
(٢) فاطمة رضوان : نفس المرجع والصفحة .

فاستمر الفقهاء والعلماء فى عملهم وجهادهم ، وكان من بينهم الواليان السابقان محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله[(١)] . فأدت هذه السياسة الطيبة فى ظل الاستقرار والامن ، الى اقبال البربر على مجالس العلم ، فى المساجد والمدارس حتى صار من البربر فيما بعد علماء افذاذ وفقهاء فى الشريعة[(٢)] .

الا ان حسين مؤنس يعزو سيطرة بشر على المغرب وتهدئة امورها الى اسرافه فى استعمال القسوة البالغة[(٣)] ، وهذا خبر لايتفق مع اعمال بشر واصلاحاته التى ماكانت تتم فى جو نفسى مضطرب وقلوب حاقدة عليه .

وعلى اية حال فان حسين مؤنس يمدنا بخبر آخر مفاده اسراف بشر فى العصبية لليمنية ، فيقول : "ولم يسرف احد من عمال بنى امية الكلبيين فى العصبية لقومه كما فعل بشر ، فقد اشتد فى ذلك شدة ملأت نفوس القيسيين عليه حقدا وغدوا يترقبون موته بنافذ الصبر ، وكان هو نفسه يشعر بذلك، ومن دلائل هذا مايذكره المالكى من ان جارية من جوارى بشر قالت وهو يعانى سكرات الموت : ياشماتة الاعداء ! فقال لها قولى للاعداء لايموت ! حتى لايستطيرهم الفرح ، وكان بشر خشى ان يقيم هشام على البلد رجلا قيسيا بعده فترك عليها العباس ابن باضعة الكلبى واليا ورجا ان يثبته هشام فى الولاية ، ولكن هشام انتهز فرصة وفاته ليولى مكانه قيسيا هو عبيدة ابن عبد الرحمن السلمى (١١٠ ــ ١١٥هـ)[(٤)] .

---

(١) فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦٨ .
(٢) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦٨-٦٩ .
(٣) فجر الاندلس ، ص ١٦٠ .
(٤) نفس المرجع والصفحة . (نقلا عن/ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣٦/١ ــ ابن الابار : الحلة السيراء ، ص ٤٧ ــ ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢١٧) .

لكن ابراهيم بيفون يصف بشر بن صفوان بانه من الرجال النفعيين ، وانه يقدم مصلحته على ولائه لقبيلته ، فيقول : "ورغم تحدره - اى بشر - من قبيلة يمنية عريقة فان بشر ابن صفوان كان يتمتع بمقدرة على استغلال المواقف لمصلحته حيث كان ولاؤه الرئيسى لها . فهو قيسى المعتقد فى عهد يزيد ابن عبد الملك لايخالف له امرا ولو كان على حساب قبيلته ، ثم يعود الى يمنيته فى عهد هشام ذى الاتجاه اليمنى" (١) .

ويستشهد على ذلك بقول دوزى حين قال : "ان بشرا الكلبى خير من يمثل رجال هذا الفريق الحريصين على مابيدهم من الوظائف مدفوعين الى خدمة مولاهم - يمنيا كان ام قيسيا - فاخذ عددهم يزداد شيئا فشيئا كلما فسدت الاخلاق وكلما تغلب الطمع والرغبة فى جمع المال على حب القبيلة فى نفوسهم" (٢) .

وبناء على هذا النص فان وصف حسين مؤنس لبشر بتعصبه لليمن ينطبق عليه عندما كان عاملا لهشام لاليزيد .

وان كنا نتحفظ على اطلاق هذين الرايين فلم يكن الخليفة يزيد متعصبا للقيسية فى كل الاحوال واقرب دليل على ذلك توليته لبشر الكلبى اليمنى على افريقية وغيره من رجالات اليمن فى مواطن اخرى . كما ان الخليفة هشام لم يكن ذى اتجاه يمنى مطلق ، وفى كلام حسين مؤنس نفسه دليل على بطلانه فقد ولى على افريقية بعد بشر اليمنى عبيدة بن عبد الرحمن السلمى ، كما عرف عنه اتخاذ سياسة تبديل الولاة فى

---

(١) الدولة العربية فى اسبانيا ، ص ١٠٢-١٠٣ .
(٢) نفس المرجع والصفحة .

الاقليم الواحد من يمنى الى قيسى ، ويمنى بعد قيسى .

اما قول دوزى عن حرص بشر على مصلحته فنحن لانملك دليلا على ذلك ، لكن البعيد عن الحق فى قوله هو ان يؤخذ على امثال بشر تقديم ولائهم لمولاهم امير المؤمنين على حب القبيلة ، وان ذلك من فساد الاخلاق ، فعندنا نحن المسلمون من فساد الخلق التعصب للقبيلة ، الذى نهى الاسلام عنه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية"(١) . وقال عليه السلام : "دعوها فانها منتنة"(٢) .

بل ومن الخلق ان يكون ولاء العامل لمولاه امير المؤمنين مادام قائما بامر الله ، حارسا لدينه ، سائسا للدنيا به ، ليس فى عمله معصية للخالق ، فلاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ومما يذكر قيام بشر بن صفوان بقتل عبد الله بن موسى ابن نصير لاتهامه بقتل يزيد بن ابى مسلم ، فيشير ابن عبد الحكم(٣) : الى أن الناس اتهموا عبد الله بن موسى بن نصير أن يكون هو الذى عمل فى قتل يزيد بن ابى مسلم ، فلما دخل بشر ابن صفوان افريقية بلغه ان عبد الله هو الذى دس لقتل يزيد وشهد على ذلك خالد بن ابى حبيب القرشى وغيره .

فكتب بشر بذلك الى الخليفة يزيد ، فكتب اليه الخليفة

---

(١) سنن ابى داود بشرح عون المعبود ، ٢٦/١٤ ـ صحيح مسلم ١٤٧٦/٣ (بلفظ آخر) ـ سنن ابن ماجة ، ١٣٠٢/٢ (بلفظه) .

(٢) البخارى مع فتح البارى ، ٥١٦/٨ ، ٥٢٠/٨ ـ صحيح مسلم ، ١٩٩٨/٤ ـ جامع الترمذى بشرح تحفة الاحوذى ، ٢١٨/٩ ـ مسند الامام احمد ، ٣٣٨/٣، ٣٨٥، ٣٩٣ .

(٣) فتوح مصر ، ص ١٤٤ .

يـامره بقتـل عبـد اللـه ، واراد بشر ان يؤخر قتله اياما ، فقيـل لـه عجـل بقتله قبل ان يعفو عنه الخليفة ، وكانت ام عبـد اللـه زوجـة للـربيع صاحب خاتم الخليفة يزيد ، فكلم الخليفـة فـي عبـد اللـه ، فـامر بالعفو عنه ، وجعلت اخته للرسـول ثلاثـة آلاف دينـار ان هو ادركه ، وامر بشر بقتل عبد اللـه فقتـل ، فقـدم الرسـول بعافيته بعد مقتله ذلك اليوم، وبعث براسه مع سليمان بن وعلة التميمى الى الخليفة يزيد ، فنصب راسه [1].

ومـن المراجـع مايشير[2] الى مقتل عبد الله بن موسى على يـد بشـر بامر من الخليفة يزيد بن عبد الملك ، معتقدا انه وراء قتـل يزيـد بـن ابى مسلم ، لان معظم الثائرين عليه من مـوالى موسـى بـن نصير ، لذلك جاء امره بقتل عميد آل موسى عبد الله بن موسى ، ومصادرة اموالهم ، وتعذيب انصارهم . بل ان فاطمة رضوان بالغت وقالت[3] : قتل عبد الله وكثير من آله ومواليـه . وقد علل هؤلاء المؤرخين مصادرة اموالهم بانه من بـاب التعويض،لانقطاع مورد الجزية الذى توقف بمقتل ابن ابى مسلم [4].

---

(١) وانظر ايضـا عـن مقتـل عبد الله بن موسى : قدامة بن جعفر : الخراج ، ص ٣٤٦ ـ ابن حبيب : المحبر ، ص ٤٩٢ ـ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٣ .

(٢) السـيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٥-٢٩٦ ـ حسـين مـؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٦٠ (لكنه لم يشر الى ان ماقام به بشر تجاه آل موسى بامر من الخليفة) .

(٣) المغرب فى عصر الولاة الامويين، ص ٦٩ .

(٤) كنـا قـد بينـا ان يزيـد بن ابى مسلم اعتزم السير فى البربر بسيرة الحجاج بن يوسف ، ومنها فرض الجزية على من اسلم ، لكننا اوضحنا عدم ثبـوت السير بها وان ذلك مجـرد اعـتزام ونيـة . (انظـر قبـل : ص ٥١١) وسنناقش سياسته المالية بعد فى المبحث الثانى ، (انظر : ص٥٥٩ ٥٨٤-٥٨٥) .

وهم بذلك يشيرون الى أمر الخليفة والمبالغة فيه ، دون الاشارة الى اسبابه وما اورده ابن عبد الحكم من قيام الحجة على عبد الله في اتهامه بتدبير مقتل عامل الخلافة . والواضح ان بشرا لم يتعرض من آل موسى ومواليهم الا لعبد الله ومن كان قد اتهم من الموالي في القيام على يزيد وشارك في قتله . اما مصادرة الأموال فذلك أمر لايستبعد فلطالما وجدنا امثلة مشابهة لذلك في عهد الخليفة يزيد وغيره من الخلفاء السابقين (١) . ويبدو لي أن اللجوء الى هذا الاسلوب نوع من العقاب لرجال الدولة المخالفين ، باعتبار ان هذه الأموال قد جنوها من جراء مركزهم الوظيفي أو دورهم القيادي الذي اتاحته الدولة لهم ، وكأنهم يرون انهم بعد مخالفتهم او خروجهم ، لايستحقون تلك الأموال .

ومن هذه الأقوال السابقة يتضح ان مقتل عبد الله بن موسى قد تم على يد عامل افريقية بشر بن صفوان زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك وبذلك يستبعد القول بقتله على يد محمد ابن يزيد امير افريقية لسليمان بن عبد الملك وبامره (٢) . اذ يروى أن سليمان لما ولي الخلافة عزل موسى بن نصير واستبدله بمحمد بن يزيد ، وامره بعزل ابنه عبد الله بن موسى عن افريقية وتعذيبه وسجنه ثم قتله نقمة على ابيه موسى ، وحتى يؤدوا ثلاثمائة الف دينار . فعمل محمد بن يزيد على تصفية نفوذ آل موسى واستولى على اموالهم ، واودع عبد الله السجن

---

(١) انظر ماكتبناه عن مصادرة الأموال قبل : الفصل الثاني، المبحث الاول ، ص ٢١٦-٢١٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/ ٢٨٩ — صابر دياب : انتشار الاسلام (بحث) ، ص ٢٨٨ (نقلا عن : ابن عذاري : البيان المغرب ، ١/ ٤٢-٤٤) .

وفرض عليه من المغارم ماهو فوق طاقته ، وعذبه حتى مات .(١)

ويقول صابر دياب :(٢) ان هذا الخبر يتناقض مع ما اورده ابن عذارى من ان موسى بن نصير افتدى نفسه من سليمان بن عبد الملك بألف دينار . ولذا يستبعد تعذيب آل موسى زمن سليمان ، والراجح ان التعرض لعبد الله كان زمن الخليفة يزيد لما اتهم به من قتل يزيد بن ابى مسلم .

هذا ويذكر البعض ان سياسة بشر بن صفوان تجاه آل موسى اعتبرت حائلا دون تغيير الوضعية العامة في بلاد المغرب ، لما كان يكنه البربر من ود واحترام لآل موسى .(٣) ولاشك ان فى هذا القول شىء من المبالغة ، فلو سلمنا بمكانة آل موسى فى نفوس مواليهم ، فان هؤلاء الموالى كانوا قلة قليلة فى اهل افريقية الذين كان ولاؤهم الاول للاسلام ودولته ، وماكانوا ينشدون الا تطبيق نهجه ، وكان بشر قد احسن السيرة ونشر العدل ، ودعا الى الاسلام وعلم الناس اموره ، فكان عهده بلاشك فترة استقرار حسن فيها حال المغرب وزاد انصهار اهله فى بوتقة الدين الجديد .

الا ان مجىء عبيدة السلمى وعبيد الله بن الحبحاب بعد هذا الوالى ، وماانتهجوه من سياسات تعسفية وعدم استماع الخليفة هشام لشكاية البربر عندما جاءوه متذمرين فى دمشق ،

---

(١) محمود عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٣١-٣٢ (نقلا عن : اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ٣/٢٥٥ - ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٧/٢ - النويرى : نهاية الارب ، ١٣/٢٢ مخطوط) - محمد امين صالح : العرب والاسلام ، ص ٣٠٠ (نقلا عن :ابن الاثير :الكامل ، ١٤٤/٤)

(٢) انتشار الاسلام (بحث) ، ص ٢٨٨ .

(٣) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ١١٥ (نقلا عن : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢٩٠) .

اقفل باب الاصلاح ، واجج نار الثورة ، فكان قيام البربر بها في اواخر عهده .

اما بشر بن صفوان ، فانه بعد ان مهد المغرب وسكن ارجاءه ، واستصفى اموال آل موسى ، خرج في (اوائل سنة ١٠٥هـ) من افريقية وافدا الى الخليفة يزيد في الشام ،حاملا تلك الاموال وهدايا كان قد اعدها له ، فوجده قد مات فقدم ما معه الى الخليفة الجديد هشام بن عبد الملك ، فاقره على ولاية افريقية ، فعاد اليها [1] . وكان قد استخلف على افريقية عند خروجه للخليفة يحيى بن ماعمه الكلبي [2] .

الا ان من المصادر مايقول [3] : بان بشرا لما وصل مصر في طريقه الى الشام بلغه خبر وفاة الخليفة يزيد ، فرجع الى افريقية .

والراجح ماقدمناه ، فان اقرار هشام لبشر دليل كما نرى على قدومه بتلك الاموال والهدايا والتحف ، وانها حازت على رضى الخليفة الجديد ، فكان ثوابه ان اعاده على ولاية افريقية . وما اظن بشرا قد نسي موقف موسى بن نصير من سليمان عندما رفض ان يؤخر تقديم مايحمله من اموال الى

---

(١) عن خروج بشر الى الخليفة يزيد ، (انظر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ٢١٥ – ابن عذارى : البيان المغرب ، ١/٤٩ – الناصرى : الاستقصا ، ١/١٠٤ – فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب في عصر الولاة الأمويين ، ص ٦٩ – السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٦) .

(٢) ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٣٤ . وقد اخطا حسين عطوان عندما أورد أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، بعث على افريقية يحيى بن ناعمة الكلبي (انظر قوله في كتابه : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩) والصحيح انه استخلف عليها عند خروج بشر الى الخليفة يزيد .

(٣) الكندى : الولاة ،ص ٧٢ – ابن عبد الحكم : نفس المرجع ص ١٤٤ .

الخليفة الوليد ، فكان ذلك سبب غضبه عليه وعزله .

ومع ذلك فاننا نجد خبرا عند ابن عبد الحكم[(١)] مفاده ان بشرا نزع عن افريقية (سنة ١٠٥هـ) ، ورد اليها فى (سنة ١٠٦هـ) . يسند ذلك ماأورده شكيب أرسلان[(٢)] ، من ان بشرا تولى افريقية مرتين وفى الثانية منها ولى على الأندلس عنبسة بن سحيم[(٣)] . وأراهما قد ظنا او اعتبرا خروجه من افريقيةفى اواخر خلافة يزيد عزلا ، وان اقراره واعادته من قبل الخليفة هشام ولاية ثانية .

اما ان صحت روايتيهما يكون بشر قد عاد من مصر وهو فى طريقه الى الخليفة يزيد ، فلما تولى هشام وعلم بذلك عزله ويبدو انه غادر الى دمشق فاحسن العذر والحجة ، وقدم مالديه ، فأرضى الخليفة فاعاده الى افريقية ، والأولى ماقدمناه .

وقد ظل بشر بن صفوان اميرا على افريقية حتى وفاته فى القيروان فى شهر شوال (سنة ١٠٩هـ) ، من خلافة هشام بن عبد الملك[(٤)] .

---

(١) فتوح مصر ، ص ١٤٤ .
(٢) غزوات العرب ، ص ٨٤ .
(٣) هنا لبس فالثابت أن عنبسة قد ولى الأندلس من قبل بشر (سنة ١٠٣هـ) فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، وان مقتله كان فى خلافة هشام ، وولاية بشر على افريقية من قبله . (انظر ذلك فى عمال يزيد على الأندلس ، بعد) .
(٤) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٦٩ .

**عماله على الأندلس :**

كان السمح بن مالك الخولاني عاملا على الأندلس من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز [١]، عندما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك [٢]، فاقره عليها .

وقد اشرنا الى ان السمح قد قضى صدر ولايته الكائنة في خلافة عمر في الاهتمام بامر الأندلس وتنظيم شئونها الادارية والمالية [٣]، وصرف الجزء الثاني من ولايته الذى جاء في خلافة يزيد في الفتوح في بلاد الغال [٤]، الا ماكان منه من تنظيمات ادارية ومالية اشرف عليها ابان حملته تلك بعد فتح اربونة حيث اشرف هناك على قيام حكومة اسلامية ونظم احوالها متخذا من مدينة اربونة عاصمة لها [٥].

فيذكر عبد الله عنان [٦]، انه وزع الأراضى بين المسلمين والسكان ، وفرض الجزية على النصارى ، وترك لهم حرية الاحتكام الى شرائعهم . ونحن لانعلم على اى اساس وزع هذه الأراضى ، والراجح انه قد وزع على المسلمين ماعرف بارض الصوافى ، اما الأرض الخراجية فالمعروف ان المسلمين كانوا

---

(١) عن ولاية السمح من قبل الخليفة عمر وماقام به من أعمال ابان خلافته ، (انظر : حسين مؤنس : فجر الأندلس ص ١٣٥-١٤٠ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤ ومابعدها ـ وكذلك ما اشرنا اليه قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٣٨٧،٣٨٩-٣٩٠) .

(٢) ليس هناك نص باقرار الخليفة يزيد للسمح ، ولكن بقاءه في ولايته زمن الخليفة يزيد قرابة سنة وخمسة اشهر دليل كاف على اقراره .

(٣) انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٣٨٩ .

(٤) انظر ماكتبناه عن فتوحه في بلاد الغال قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٣٩١ ومابعدها .

(٥) عبد الرحمن الحجى : التاريخ الاندلسى ، ص ١٨٧، وانظر قبل : ص ٣٩٧،

(٦) نفس المرجع ، ص ٨١ .

يدعونها بايدى اصحابها ، ويأخذون منهم الخراج عنها .

ومن صور الحكم الاسلامى فى بلاد الغال ، ماأورده شكيب ارسلان[١] : من ان المسلمين تركوا للقوط فى ولاية اللانغدوق امراءهم وقوامسهم[٢] ، يلون أمورهم المدنية ، وسلطات عسكرية محدودة ، ليحفظوا لانفسهم حق السيطرة على الحكومات المسيحية المحلية . وقد ترك المسلمون للنصارى حريتهم الدينية فى بلاد الغال - كديدنهم فى كل البلدان تنفيذا لتشريعات دينهم السمح - فتركوا لهم كنائسهم وبيعهم ، لذلك نجد ان السواد الأعظم من اهل اربونة بقوا على دياناتهم المسيحية ، وكان عددهم كبيرا . وكان المسلمون يتركون لهم كنائسهم القديمة على الا يؤسسوا اخرى جديدة ، وان بنوا جديدا فيكون فى مكان القديم ، وذهب بعض فقهاء المسلمين الى انه لايجوز تجديد الكنيسة الا باحجار الكنيسة القديمة ، ولم يكن للمسيحيين حق فى الطواف فى الأسواق بالصلبان والأعلام المسيحية ، ولم يكن ايضا للمسيحيين ان يعارضوا نصرانيا يريد الدخول فى الاسلام[٣] .

(١) غزوات العرب ، ص ٢٨٨-٢٩٠ .
(٢) قومس : لقب أو رتبة عسكرية ، يطلق على قائد الفرقة المكونة من خمس فرق خماسية ، تضم كل واحدة منها (٢٠٠) جندى ، فى قوة الثغر البيزنطى . (انظر : هاشم اسماعيل الجاسم : دراسة تاريخية عسكرية ص ٢٤) . فلعل المقصود بالقوامس فى المتن هم القادة أو الأمراء العسكريين ، فى بلاد الغال .
(٣) الواضح أن المسلمين قد طبقوا هناك تعاليم الدين الاسلامى فى معاملة أهل الذمة ، والسمح بن مالك من التابعين أهل الدين والتقوى ، لاشك فى معاملته لهم بالحسنى وفق تعاليم الدين الحنيف . وما اتخذه السمح هناك من اجراءات ، كان متبعا فيما فتح من البلاد على يد المسلمين ، على أساس ماتبيحه الشريعة الاسلامية لرعايا الدولة الاسلامية من غير المسلمين ، مع وجود بعض الاختلاف اليسير فى شروط الصلح بين بلد وآخر ، تبعا لطبيعة الفتح ، وموقف أهل البلد من الاسلام وأهله .

لقد استطاع السمح بن مالك ان يعمل بحرية تامة اداريا وعسكريا ، فنظم الادارة والملكية فى الأندلس ، ساعده على ذلك استقلاله بولايته عن افريقية ، حيث جعله الخليفة عمر بن عبد العزيز مرتبطا به مباشرة ، فكان اول وال يستقل بالاندلس عن افريقية رسميا ، وهذا من العوامل التى زادت من شهرته .(١)

وقد ظل السمح بن مالك واليا على الأندلس حتى استشهاده ابان جهاده الفرنج فى بلاد الغال ، بالقرب من مدينة طولوشة فى (٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ/١٠ يونية سنة ٧٢١م)(٢) بعد ولاية دامت نحو سنتين وثلاثة اشهر ، اذ كانت ولايته فى رمضان (سنة ١٠٠هـ) ، ونهايتها (٩ ذى الحجة سنة ١٠٢هـ) . وقد ذكر فى ذلك اقوال اخرى(٣) . ادى اليها الاختلاف فى تاريخ استشهاده(٤) ، والارجح ماقدمناه .

ولاية عبد الرحمن الغافقى الأولى على الأندلس :

كان الجند الاسلامى المشاركين فى معركة طولوشة ، قد ولوا على انفسهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى ، وذلك فى اعقاب مقتل قائدهم وامير الأندلس ، السمح بن مالك الخولانى اثناء المعركة(٥) ، فانصرف بهم عبد الرحمن الى

---

(١) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، ص ٢١١ .
(٢) انظر ماكتبناه عن تاريخ استشهاده قبل : الفصل الرابع المبحث الرابع ، ص ٤٠٢ .
(٣) انظرها عند / ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٦/٢ - المقرى : نفح ، ١٤/٤ .
(٤) اوردنا ذلك الاختلاف قبل ، فيما احلنا عليه فى هامش (٢) اعلاه .
(٥) عن تقديم الجند لعبد الرحمن الغافقى ، بعد هزيمة المسلمين فى طولوشة ، ومقتل السمح ، وانسحابه الى الاندلس ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ص ٤٠٢-٤٠٣) .

الأندلس ، فدخلها فى شهر ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) ، فقدمه اهل الأندلس اميرا عليهم ، فبقى واليا على الأندلس مايقارب الشهرين ، حتى قدوم الوالى الجديد حينما عزله أمير افريقية بشر بن صفوان ، وولى على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبى . وهذه هى الولاية الأولى لعبد الرحمن الغافقى على الأندلس[1] ، اذ وليها مرتين ، كانت الثانية مابين (سنة ١١٢ ـ ١١٤هـ)[2] ، فى خلافة هشام بن عبد الملك ، وهى الأشهر والأهم .

وينقل ابن القوطية[3] ، عن عبد الرحمن بن عبد الله حفيد الأمير عبد الرحمن الغافقى ، أن ولاية جده عبد الرحمن الأولى على الأندلس كانت من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وان

---

(١) عن عبد الرحمن الغافقى وولايته الأولى على الأندلس ، (انظر / الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٥٢-٣٥٣ ـ حسين مؤنس :فجر الأندلس ، ص ٢٤٧ ـ محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ١٣٨ ـ شكيب ارسلان : غزوات العرب ،ص ١٢٤-١٢٦ ـ خليل السامرائى : الثغر الأعلى ، ص ١٢٧-١٢٨) . وقد خالف هؤلاء ابن عبد الحكم الذى جعل على الأندلس بعد السمح الحر بن عبد الرحمن ، وانه عزل من قبل بشر وولى عنبسة الكلبى مكانه (فتوح مصر ، ص ١٤٤) ووافقه على ذلك ، عبد الواحد المراكشى: المعجب ، ص ٢٤ . لكنه حرف الحر فاورده الغمر) ، وكذلك (الحميدى فى كتابه : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص ٢٠٣-٢٠٤) ، كما قال بذلك حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٦٠ (نقلا عن / ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٦/٢) ويبدو أن هؤلاء المؤرخين وقعوا فى لبس ، فقد كان الحر ابن عبد الرحمن واليا على الأندلس (٩٧-١٠٠هـ) ، أتى قبل السمح لابعده ، حيث عزله عمر بالسمح بن مالك الخولانى . (عن ولاية الحر بن عبد الرحمن ، انظر / حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ١٣٥ ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ١٣٤-١٣٥) .

(٢) عن ولاية عبد الرحمن الغافقى الثانية ، (انظر : احمد السيد دراج : عبد الرحمن الغافقى ، بحث ، رسالة المسجد ، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٨٠-٨٥ ـ حسين مؤنس : نفس المرجع ، ص ٢٦١-٢٧٦) .

(٣) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨-٣٩ .

بأيديهم على ذلك مايثبته . لكن قصر ولايته ، وعزله من قبل امير افريقية ، الذى كانت الأندلس تابعة له ، بعنبسة الكلبى ، مايرجع أن ولايته وتقديمه كان من اهل الأندلس ، لامن الخليفة يزيد .

## ولاية عنبسة بن سحيم الكلبى على الأندلس :

كانت الأندلس تابعة لامارة افريقية بادىء الأمر ، الا انها لم تسر على قاعدة ثابتة ، فنجدها بيد الخلافة المركزية حينا ، وبيد عمال افريقية حينا آخر ، وبيد مسلمى الأندلس انفسهم فى معظم الأحيان ، وكان سلطان الوالى كبيرا فيها ، فهو الذى يولى القضاة ، ومن يلى الخراج غالبا . الا ان سلطانه لم يمتد على مسلمى الأندلس اجمعين الا نادرا ، فقد كان هناك جماعات خارج سلطانه ، وقد انحصر سلطان الوالى فى بعض الفترات على اقليم قرطبة فحسب كما حدث ايام يوسف الفهرى .(١)

وكما كانت الأندلس تابعة لافريقية بادىء الأمر ، كانت افريقية تابعة لولاية مصر (٢) ، وان كان هذا قد اقتصر على الفترة الأولى . وقبيل خلافة يزيد بن عبد الملك ، كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد عزل ولاية الأندلس عن افريقية وجعل عليها السمح بن مالك ، مستقلا بها وتابعا للخلافة فى الشام مباشرة ، اعتناء بأهلها ، واهتماما بشأنها .(٣)

---

(١) حسين مؤنس : فجر الأندلس ،ص ٦١٠ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٤٧/١ .
(٣) ابن عذارى : نفس المصدر ، ٢٦/٢ .

الا أن ولاية الأندلس عادت تابعة لافريقية في عهد خلفه يزيد بن عبد الملك ، عندما قدم عنبسة بن سحيم الكلبي ، اميرا عليها من قبل عامل افريقية بشر بن صفوان (١) ، الذى امضى يولى أمراء الأندلس دون أمر الخليفة اذا كره أهل الأندلس واليا كتبوا اليه فعزله عنهم وولى من يرضون ، وكذلك اذا مات (٢). واستمر الأندلس تابعا لافريقية بعد ذلك ، الا ماكان من استعمال الخليفة هشام ليحيى بن سلمة من قبله على الأندلس (آخر سنة ١٠٩هـ) (٣).

وقد جاءت ولاية عنبسة بن سحيم الكلبي على الأندلس من قبل بشر بن صفوان عامل افريقية ، (سنة ١٠٣هـ) (٤) ، فدخلها في شهر صفر من تلك السنة (٥). وقد أورث الاضطراب في الروايات التاريخية حول من كان على الأندلس قبل عنبسة ، ومن قبل من كانت ولايته ، وتاريخها الى وقوع بعض المؤرخين في الخطأ ، فيذكر ابن عذارى (٦) ان ولاية عنبسة جاءت من قبل يزيد بن أبي مسلم ، فاقره بشر بن صفوان . وهذا خطأ واضح ، فولاية عنبسة

---

(١) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ ـ محمد زيتون : المسلمون في المغرب والأندلس ، ص ١٩٩ .
(٢) مجهول : اخبار مجموعة ،ص ٣١-٣٢ .
(٣) محمد زيتون : نفس المرجع ، ص١٩٥ .
(٤) هناك من المؤرخين من جعل ولايته من قبل بشر بن صفوان في عهد الخليفة هشام (سنة ١٠٦هـ) ، (انظر ذلك عند / الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣١٩ ـ الضبي : بغية الملتمس ، ص ٣٢٠) والأولى ماقدمناه .
(٥) عن ولاية عنبسة على الأندلس ، (انظر / ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤ ـ ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٣٨ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٧٢/٢ ـ عبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص ٢٤ ـ مجهول : نفس المصدر ، ص ٣١ ـ المقرى : نفح ، ١٥/٤ ـ الناصرى : الاستقصا ، ١٠٣/١ ـ الحميدى : نفس المصدر ، ص ٣١٩ ـ الضبي : نفس المصدر ، ص ٣٢٠ .
(٦) نفس المصدر والجزء والصفحة .

بعد السمح بن مالك الذى استشهد فى ذى الحجة (سنة ١٠٢هـ) فكيف يأتى استعماله من قبل ابن أبى مسلم الذى قتل فى رمضان (سنة ١٠٢هـ) ، أى قبل استشهاد السمح بن مالك . كما قيل ان ولايته جاءت على اثر عزل الحر بن عبد الرحمن .(١) ويتكرر الخطأ فى قول من ذكر ان استعمال عنبسة جاء بعد عزل السمح بن مالك الخولانى .(٢) والصحيح أن السمح أمير الأندلس قد استشهد خلال عمليات الفتح التى قام بها فى بلاد الغال ،(٣) ولم يعزل .

وقد استقامت الأندلس لعنبسة وضبط أمرها ،(٤) اذ قضى سنتين فى مطلع ولايته ـ وهى الفترة التى كان فيها واليا على الأندلس فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك قبل وفاته ـ فى الاصلاح الداخلى ، عنى فيهما بتنظيم الخراج ، وتقسيم الأراضى بين المسلمين ، والنظر فى المظالم ،(٥) ونشر العدل بين الناس ، ومن أجل ذلك طاف عنبسة مختلف المقاطعات فى ولايته ، عاملا على استتباب الأمن واستقرار البلاد ، والعدل

---

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٤ ـ عبد الواحد المراكشى : المعجب ، ص ٢٤ ـ حسين مؤنس : فجر الأندلس، ص ١٦٠ (نقلا عن/ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٦/٢) وقد جاء هذا القول على أساس الرواية التى أشارت أن الحر بن عبد الرحمن تولى الأندلس بعد السمح بن مالك الخولانى ، وهذا ما بيناه قبل ورجحنا القول بولاية عبد الرحمن الغافقى بعد السمح بن مالك وان ذكر هذه الرواية من باب اللبس لأن الحر كان واليا على الأندلس قبل السمح لابعده . (انظر : هامش (١) ، ص ٥٣٧) .

(٢) مجهول : أخبار مجموعة ، ص ٣١ .

(٣) انظر خبر استشهاده فى بلاد الغال فاتحا ابان ولايته سنة ١٠٢هـ قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص٤٠٢.

(٤) المقرى : نفح ، ١٥/٤ ـ الناصرى : الاستقصا ، ١٠٣/١ .

(٥) سنفصل القول الذى ورد فى ذلك ابان حديثنا عن سياسة يزيد المالية فى المبحث الثانى من هذا الفصل .

بين رعاياه من مختلف الديانات بدون تمييز[١] . كما عمل على تنظيم ولايته اداريا ، وضبط نواحيها ، واصلاح الجيش ، واعداده لغزوات جديدة[٢] .

وقد تمكن ابان ولايته من التصدى واخماد بعض الحركات النصرانية فى الأندلس ضد المسلمين ، منها حركة بلاى التى تعد بداية المقاومة الاسبانية النصرانية ضد المسلمين وحكومتهم فى الأندلس ، وحركة اخيلا فى طركونة[٣] .

ويشير حسين مؤنس الى افراط عنبسة بن سحيم الكلبى[٤] لعصبيته اليمنية ، فيذكر انه اوغر من تلاه من عمال الأندلس اليمنية الذين تولوها ابان امارة بشر بن صفوان على افريقية وهم عذره بن عبد الله الفهرى (شعبان ١٠٧هـ ـ شوال ١٠٧هـ) ، ويحيى بن سلامة العاملى (١٠٧هـ ـ ١١٠هـ) ، صدور القيسية ، وجيشوهم للثورة ، وانتظار الفرصة المواتية للوثوب .

لكن هذا القول بعيد عن الصحة لعدم دقته ، فعذرة فهرى وبنو فهر من قبيلة قيس مضريون لايمانيون ، ومن مشاهيرهم الضحاك بن قيس الفهرى ، زعيم القيسية فى مرج راهط[٥] . كما ذكر : ان تولى هؤلاء الولاة اليمنيين على الأندلس وظهور اصداء العصبية فيه ، جاء كصدى لوجود يزيد بن ابى مسلم وبشر بن صفوان الكلبيان اليمنيان على امارة افريقية

---

(١) محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
(٢) محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٨٢ .
(٣) عن جهوده فى التصدى لهذه الحركات ، (انظر الفصل الثانى ، المبحث الرابع والخامس) .
(٤) فجر الأندلس ، ص ١٥١ .
(٥) المصعب الزبيرى : كتاب نسب قريش ، ص ٤٤٣-٤٤٨ .

فاستعملوا على الاندلس عمالا كلبيين يمنيين [١] ، وهذا قول غير صحيح ، فان كان بشر يمنيا ، فان ابن ابى مسلم ثقفى قيسى بالولاء [٢] .

ويبدو ان الكثير من المؤرخين حملوا العصبية اكبر مما تحتمل ، وبداوا يفسرون الاحداث على اسماء الولاة والقادة ، بعيدا عن التمحيص والدقة وهذا مانلمسه فى كثير من المراجع الحديثة .

كما ذكر ان عنبسة اشتد فى جمع الاموال وعسف الناس على ذلك ، فالزم النصارى فى الاندلس بدفع جزية مضاعفة ، وان ذلك قد ادى الى تغير نفوس اهل البلاد ، وبدا القلق يسودها من كل وجه [٣] ، لكن الصحيح ان مضاعفة الضريبة لم يكن على كل النصارى ، وانما ضاعفها عنبسة على اهالى طركونة بعد حركتهم ضد سلطان المسلمين ابان ولايته [٤] .

وقد ظل عنبسة واليا على الاندلس بعد وفاة الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حتى استشهد وهو غازيا الفرنجة فى بلاد الغال فى (شعبان سنة ١٠٧هـ) [٥] من خلافة هشام بن عبد الملك . وقيل (سنة ١٠٩هـ) [٦] ، وماقدمناه اولى ، بعد ولاية دامت مايقارب اربع سنوات ونصف ، حيث كانت ولايته فى صفر سنة

---

(١) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، ص ١٥١ .
(٢) انظر ترجمة يزيد بن ابى مسلم الثقفى بالولاء قبل : ص ٣٨٢ .
(٣) حسين مؤنس : نفس المرجع والصفحة .
(٤) انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الخامس ، ص ٢٦٤ . وكذلك : شكيب ارسلان : غزوات العرب ، ص ١١٢ .
(٥) الحميدى : جذوة المقتبس ، ص ٣١٩ ـ الضبى : بغية الملتمس ، ص ٣٢٠ ـ ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ ـ ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .
(٦) الحميدى : نفس المصدر والصفحة ـ الضبى : نفس المصدر والصفحة (فى قول آخر) .

١٠٢هـ واستشهاده في شعبان سنة ١٠٧هـ . وقيل اربع سنين واربعة اشهر ، كما قيل : اربع سنين وثمانية اشهر ، وقيل[1] غير ذلك .[2]

ويشير القيرواني[3] والقلقشندي[4] الى ولاية عقبة بن الحجاج الكلبي على الأندلس من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك . وهذا قول لا اصل له يدحضه اجماع المصادر على مخالفته وعدم ذكره . والصحيح ان ولايته على الأندلس (١١٦ – ١٢١هـ) جاءت من قبل عبيد الله بن الحبحاب زمن هشام بن عبد الملك .[5]

اما قضاء الأندلس ابان خلافة يزيد بن عبد الملك فقد كان ليحيى بن يزيد التجيبي . وكان قد استقضاه الخليفة عمر ابن عبد العزيز على الأندلس ، فظل على قضائها حتى دخول عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) ، فاثبته على القضاء ولم يعزله حتى مات ، وكان يقال له وللقضاة قبله بقرطبة ، قاضي الجند[6] . وفي بقاء التجيبي هذه الفترة الطويلة على القضاء دليل على انه كان مرضيا عنه ، فاقر من امراء المؤمنين الذين تولوا الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ، واولهم خلفه الخليفة يزيد ابن عبد الملك ، وليس لدينا دليل على أن بقاءه واقراره

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٩٧/٤ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٧/٢ .
(٣) المؤنس ، ص ٣٩ .
(٤) مآثر الانافة ، ١٤٩/١ .
(٥) مجهول : اخبار مجموعة ، ص ٣٣ – حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص ١٦٢ .
(٦) الخشني : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م ، ص ١٤ – النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٢١-٢٢ .

على القضاء جاء من قبل خلفاء عمر ، فقد يكون استمراره جاء عن طريق ولاة الأندلس انفسهم . كما أن هذا التعيين من قبل عمر خص به قاضي قرطبة مركز الولاية الأندلسية آنذاك ، بيد انه من المؤكد ان هناك رجالا قاموا بأمر القضاء في غيرها من المدن والثغور ، والغالب أن أمر تعيينهم كان لوالي الأندلس .

المبحث الثاني

# سياسة يزيد بن عبد الملك المالية

## ماقيل عن سياسته المالية ، ومدى صحة ذلك وسمتها الحقيقية :

الكتابة في النواحي المالية خلال العصر الأموى امر بالغ الصعوبة ،فليس من الممكن تقديم صورة واضحة لذلك الجانب المالي ، أو اعطاء احكام قطعية عنه ، وذلك لتعذر الحصول على المعلومات الدقيقة من المصادر الاسلامية القديمة عن السياسة المالية في ذلك العصر . فكل مانحصل عليه في هذا الصدد ليست الا مجرد اخبار متفرقة تفتقر الى الشمول والتكامل ، مما يفقدنا القدرة على التصور الواضح وتبين الحقائق كما ينبغي بل ان الأمر يزداد غموضا لعدم الدقة في ايراد تلك الأخبار ، واضطرابها وتناقضها احيانا .

صحيح أن الأحكام الشرعية الاسلامية واضحة بينة ، الا أن المصادر الاسلامية تنقل لنا مايشير الى خروج بعض حكام بني أمية في شيء من سياساتهم المالية عن النهج الاسلامي ، واتخاذ اجراءات قد يكون الدافع وراءها ، الرغبة في اغناء خزائن الدولة بالأموال الكفيلة بتحقيق أهداف الدولة المالية ودفع عجلة الفتوح ، وتثبيت سلطان الدولة وهيمنتها .

وهذا ماسيدفعني في هذا البحث الى ابتغاء الحذر في شيء من الواقعية والدقة ، متجنبا التبعية والقول بالأحكام القطعية .

فسياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك المالية بالذات جاءت بعد اصلاحات الخليفة عمر بن عبد العزيز المالية ، التى سعى من ورائها العودة الى النهج الاسلامى وتطبيق احكامه على المال والأعمال ، و صحح بعض الاجراءات التى اتخذها بعض اسلافه . فما مدى خروج الخليفة يزيد عن نهج عمر، وما الذى صنعه ؟

مما لاشك فيه ان الخليفة يزيد لم يتبع نهج الخليفة عمر فى بعض سياساته المالية ، فاحيا شيئا من السياسات المالية لأسلافه من بنى امية قبل عمر ، واعاد تطبيقها ، بينما اتخذ سياسات اخرى ، وتابع عمر فى بعض ما اتخذه من سياسات فى هذا المجال ، وبالأخص ماكان ذا عائد على خزانة الدولة ، وطبق اجراءاته تلك ، فى شىء من الدقة والضبط والتشدد .

قدمنا بهذا القول ، لأننا سنجد كثيرا من المؤرخين كما قال حسين عطوان (١) ، وهم ابن عساكر ، وابن كثير ، واليافعى ، والسيوطى ، وابن العماد الحنبلى ، ينقلون ان يزيد الغى اصلاحات عمر بن عبد العزيز ، ويصفون سياسته المالية بالفساد والاضطراب ، ويتهمونه بارهاق اهل الأمصار بالضرائب، ولاشاهد لهم على مادفعوا به سياسته المالية الا خبر واحد رواه المدائنى وهو قوله : "عمد يزيد بن عبد الملك الى كل ماصنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ، ولم يرهب فيه شفاعة عاجلة ولااثما عاجلا . وخلف محمد بن يوسف اخو الحجاج على اهل اليمن وظيفة جعلها خراجا عليهم ، فكتب

---

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٢٠-٢١ .

عمر بن عبد العزيز الى عامله يامره بالغاء تلك الوظيفة ، والاقتصار على العشر ونصف العشر ، وقال : لأن ياتيني من اليمن حفنة كتم[1] أحب الى من ان يقر هذه الوظيفة . فلما مات ، وولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، أمر بردها ، وكتب الى عروة بن محمد عامله : ان عمر بن عبد العزيز كان مغرورا منك ومن اشباهك ، فاعد على اهل اليمن الضريبة التى كان عمر اسقطها ، ولو صاروا حرضا"[2] .

وليس من الصحة قول حسين عطوان أن ليس من شاهد لهؤلاء المؤرخين فى قولهم بالغاء يزيد لاصلاحات عمر سوى هذا النص . فان هناك نصوصا اخرى تفيد بعض اجراءاته المالية ، وفرضه بعض الضرائب غير الشرعية والتشدد فيها[3] .

ويذكر حسين عطوان أن[4] ابن عبد ربه قد اورد الخبر السابق دون اسناد ، ومحرفا تحريفا ظاهرا ، اذ تحول عنده من رسالة وجهها الخليفة الى عامله على اليمن ، الى رسالة بعث بها الى عماله فى كافة الامصار ، فجاء نصه عند ابن

---

(١) كتم : نبات فيه حمرة ، يخلط مع الوسمة للخضاب . اللسان (كتم) .
(٢) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ص ٢٠-٢١ (نقلا عن : انساب الاشراف ، مصورة الجامعة الاردنية ، المجلد الثانى ، ص ١٨٠) .
(٣) انظر بعض هذه النصوص بعد : ص ٥٤٨،٥٦٤،٥٧٦،٥٨٢،٥٩٢، ٥٩٣،٥٩٥،٥٩٦،٦٠١ ومابعدها .
(٤) نفس المرجع ، ص ٢١ .

عبد ربه[1] : "اما بعد ، فان عمر كان مغرورا ، غررتموه انتم واصحابكم وقد رايت كتبكم اليه فى انكسار الخراج والضريبة فاذا اتاكم كتابى هذا فدعوا ماكنتم تعرفون من عهده ، واعيدوا الناس الى طبقتهم الاولى ، اخصبوا ام اجدبوا ، احبوا ام كرهوا ، حيوا ام ماتوا ، والسلام" .

ونحن لانؤكد قول حسين عطوان ان نص ابن عبد ربه ، تحريفا للخبر الذى اورده ابن عساكر عن المدائنى ، فليس لدينا على ذلك دليل ، وليس من المستبعد ان الخليفة الذى امر باعادة فرض الضريبة التى سنها محمد بن يوسف على اهل اليمن ، ان يامر بفرض ضرائب مشابهة ، والعودة الى ماكان الناس عليه قبل عمر ، فى بقية الامصار .

المهم فى الامر ان كثيرا من المؤرخين تلمس موقف يزيد من اصلاحات عمر المالية على اساس النصين السابقين .

ويتضح من النص الاول ، امر يزيد باعادة الضريبة التى فرضها محمد بن يوسف على اهل اليمن دون غيرهم .

اما النص الذى اورده ابن عبد ربه ، فيبين ان يزيد نكص عن نهج عمر المالى ، واعاد السياسات المالية لبنى امية قبل عمر ، بدون النظر الى حال الرعية ، ومراعاة ظروفها . معللا ذلك القرار بانكسار الخراج والضريبة[2] ، حيث اتضح له ذلك من خلال اطلاعه على كتب كان ولاة عمر قد بعثوا بها اليه يشكون انكسار الخراج والضريبة[3] .

---

(١) العقد ، ١٨٨/٥ .
(٢) يبدو أن المقصود هنا بالضريبة : "الجزية" .
(٣) من ذلك الكتب كتاب عامل عمر على مصر حيان بن شريح ، الذى قال فيه : "اما بعد : فان الاسلام قد أضر بالجزية، حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشرين الف دينار اتممت=

وايضاحا للصورة الحقيقية لسياسة الخليفة يزيد ، وسياتى ذكر ذلك فى مكانه ابان عرضنا لتفاصيل سياسته المالية .

ويبدو ان عمومية امر الخليفة الذى اورده ابن عبد ربه هو الذى حدا بمؤرخنا الكبير ابن الاثير (١) ، ان يقول : ان يزيد بن عبد الملك قد عمد الى كل ماصنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده ، ولم يخف شفاعة عاجلة ولا اثما عاجلا (٢) .

وقد سبق ان تحفظنا على قول ابن الاثير واطلاق حكمه بان يزيد رد كل ماصنعه عمر مما لايوافق هواه . ولكننا احببنا ايراد هذا النص ونحن بصدد مناقشة سياسة يزيد المالية لمعرفة اهمية المقارنة بين سياسة يزيد وسلفه عمر فى بعض النقاط ، او دراسة نهج يزيد فى ضوء سياسة من كان قد سبقه .

لقد عمل الخليفة يزيد بن عبد الملك على ضبط الامور المالية ، بما يكفل زيادة الواردات ، ونقص المصروفات فى شىء من الدقة والضبط ، والتشدد والجور احيانا .

والحق انه لم ينقض اصلاحات عمر المالية ، بل ظل يسترشد بها فى بعض الجوانب ، وان خرج عنها فى جوانب اخرى .

ولعل ظروف الدولة فى زمنه ، المتمثلة فى خوض حروب خارجية فى كل الجبهات ، فى الشرق مع الصغد والترك ، وفى الشمال مع الارمن والخزر والروم ، وفى الغرب مع الفرنجة (٣) ،

---

(١) الكامل ، ١٦٦/٤ — وقال بذلك مع اختلاف يسير فى اللفظ ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣ .
(٢) كنا قد ناقشنا قول ابن الاثير هذا ورددنا على اطلاق حكمه . (انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٤٢٢ ومابعدها) .
(٣) انظر اعماله الحربية فى الفصل الرابع .

الى جانب الحركات الداخلية كثورة ابن المهلب وغيرها [(١)] ، ومايستدعيه ذلك من مصروفات كبيرة ، قد دفعه الى تجاوز الحدود في جلب الأموال احيانا .

كما أن يزيد لم يساير نهج عمر في التقشف على نفسه ورجاله ، والعمل على ترشيد المصروفات ، فنجده على سبيل المثال يامر عامله على مكة أن يحمل احد المغنين على البريد ويقدم له الف دينار نفقة الطريق ليستمع منه ابياتا من الشعر ، بينما نرى عمر بن عبد العزيز يؤنب ابن حزم عامله على المدينة على اسرافه في الورق والشمع ويؤنب عامله على اليمن على تضييعه دنانير من بيت المال [(٢)] .

ولعل هذا الى جانب ادراك الخليفة يزيد بان اصلاحات عمر المالية ، قد اضرت ببيت المال ، وادت الى نقص الخراج والضريبة [(٣)] ، جعلت الخليفة يزيد يتخذ اجراءات مالية متشددة كان هدفها سد هذا النقص الذى احدثته سياسة عمر ، وتوفير قدر كبير من الأموال في بيت المال يمكن الدولة من الانفاق على جيوشها المحاربة في الداخل وعلى الحدود . وهذا مايفسر ابقاء يزيد على بعض اجراءات عمر المالية التى تتمشى مع جوهر سياسته اى التى لها مردود مالى على بيت المال ، والغاءه الكثير من اجراءات عمر التى تؤدى الى نقص موارد بيت المال .

---

(١) انظر الحركات الداخلية في عهده قبل : الفصل الثانى .
(٢) عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٨ .
(٣) انظر كتابه الى عمال عمر ، القاضى بترك سياسة عمر ، بعد أن اطلع على كتبهم الدالة على نقص الخراج والضريبة ، قبل : ص ٥٤٨ .

ومما يذكر هنا من باب حرصه على الأموال مارواه ابن كثير (١) ، من أن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان قد اتهم الخليفة عمر بن عبد العزيز بانه اختان من أموال المسلمين كل ماقدر عليه من جوهر نفيس ودر ثمين ، وانه خباها في بيتين في داره مملوئين ، فبعث يزيد الى أخته فاطمة زوجة عمر يسالها عن ذلك ، فقالت : ماترك سبد ولالبد (٢). فسار بنفسه الى دار عمر ودخل البيتين اللذين اشار اليهما عمر بن الوليد ليفتشهما ، وفي صحبة عمر بن الوليد ، فلما دخلهما وجدهما خاليين من الأموال ، وقد هيئتا للعبادة ، حيث اتخذ عمر من احداهما خلوة يخلو فيها بنفسه ويتدبر أمر دينه ودنياه ، والاخرى مسجدا يعبد الله فيه ليلا ، فبكى يزيد ، وخرج عمر بن الوليد مخذولا (٣).

## الجـــزيـــة :

وفي سبيل تحقيق السياسة المالية التي رسمها الخليفة يزيد بن عبد الملك ، اشارت مجموعة من المراجع الحديثة الى انه كان يرى أن دخول الموالي في الاسلام قد اضر بدخل بيت

---

(١) البداية ، ط١ ، ٢٤٠/٩ .
(٢) اى ماترك قليل ولاكثير . اللسان (لبد) .
(٣) لعل اتهام عمر بن الوليد بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز ، لخلاف حدث بينهما في خلافة عمر ، اذ يروى ابن الجوزى : ان عمر بن الوليد كتب الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يلومه وينتقد ماأقدم عليه من رد المظالم من اهل بيته ،فرد عليه عمر بكتاب اغلظ له فيه ، انظر ماكتب به كل منهما للآخر في كتابه (سيرة ومناقب عمر ابن عبد العزيز ، ص ١٣٣-١٣٦) ، فيبدو أن عمر بن الوليد حمل ذلك على الخليفة عمر ، فاتهمه عند يزيد .

فأعاد فرض الجزية[1] على من أسلم من اهل الذمة ، وبخاصة على الصغد اهالي منطقة ماوراء النهر ، اللذين كان عمر بن عبد العزيز قد اسقطها عنهم بعد أن أعلنوا اسلامهم ، واعتمد عماله هناك على العنف والشدة ازاءهم ، مما ادى الى نقضهم العهد مع المسلمين والردة عن الاسلام . كما اتضح ذلك فى افريقية عندما عزل عنها عامل عمر بن عبد العزيز اسماعيل ابن عبيد الله بن ابى المهاجر ، وعين بدلا عنه يزيد بن ابى مسلم مولى الحجاج ، الذى سار فى البربر سيرة الحجاج ، واستبد بهم ، وفرض عليهم الجزية ، واشتد فى جمع اموالهم ، وكان ذلك لزيادة ايراد بيت المال ، والتنصل من دفع مزيد من الأعطيات للجند المسلمين من الموالى[2] .

---

(١) الجزية : هى الأموال المفروضة على رؤوس اهل الذمة ، وتؤخذ ممن دخل الذمة من اهل الكتاب والمجوس لقاء الحماية لهم ليكونوا بذلك آمنين ، وبالحماية محروسين ، كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : "احفظونى فى ذمتى" . (توفيق اليوزبكى : تاريخ أهل الذمة فى العراق ، ص ٧٥) ويضيف : أن من الحنفية من يقول : أن الجزية تؤخذ من كل كافر (انظر :نفس المرجع ص ٧٥-٧٦) .
ويذكر الماوردى : انها تؤخذ من آخرين غير من ذكروا أولا وهم : عبدة الأوثان من العجم ، والصابئين ، والسامرة اذا وافقوا اليهود والنصارى فى أصل معتقدهم (انظر : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، ص ١٢٥) .

(٢) انظر ذلك عند : محمد النجار : الموالى ، ص ٥٧ ــ فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ١٩٥،٢٥٨ ــ السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢/٢٩٣-٢٩٤ ــ فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٥٧ ــ عماد الدين خليل : دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٣٠٠ ــ نظير حسان سعداوى : الدولة العربية الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١٩٣ ــ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الخامسة ، =

والحق أن قول هؤلاء المؤرخين وغيرهم ممن حذا حذوهم بعيد عن الدقة مجانب للحقيقة ، وهو كما يظهر قول اعتمد على الفرضية ، والاخذ بظاهر بعض النصوص وعموم لفظها ، دون النظر الى النصوص الاخرى واستقصائها ، وواقع الحال ومانفذ فيه من تلك السياسات التى أشارت اليها النصوص التاريخية .

فكما يبدو ان كثيرا من هؤلاء المؤرخين اعتمدوا فى قولهم هذا على ظاهر نص كتاب الخليفة يزيد بن عبد الملك الى عماله بترك ماكانوا عليه (١) من سياسة الخليفة عمر ، واعادة تطبيق سياسات واجراءات أسلافه من بنى أمية . وسنجد من خلال دراستنا الممحصة لسياسته المالية فى الصفحات التالية ، خطأ من اعتمد على ظاهر نص هذا الكتاب ، وافترض أن يزيد قد أعاد على أساسه كل السياسات السابقة ومنها اعادة فرض الجزية على من أسلم ، التى كان عمر قد أمر برفعها عمن أسلم (٢) ، وقد كان بعض الحكام الامويين وعمالهم قد ابقوا الجزية على من أسلم من أهل الذمة او من فى حكمهم ، منذ أن أعاد فرضها الحجاج بن يوسف الثقفى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٣) .

---

= ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١٥٩ ـ ثابت الراوى : العراق ، ص ١٨٠ حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب ، ص ١٨ ـ محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب ، ص ٣٤ ـ فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٢٨٥/١ .

(١) انظر نص كتابه قبل : ص ٥٤٨ .

(٢) عن أمر عمر بن عبد العزيز برفع الجزية عمن أسلم ، (انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٥ ـ ابن قدامة الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٠٩-٤١٠ ـ ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٩ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٩/٦ ـ المقريزى : خطط ، ٧٧/١-٧٨ وغيرها) .

(٣) سنعرض لقيام الحجاج فرض الجزيه على من أسلم فى الصفحات التالية ، ومدى صحة هذا القول ، وحقيقته .

وكذلك نتيجة للفهم الخاطىء لبعض النصوص ، واصدار احكام واستنتاجات خاطئة ، بناء على ذلك . وقد تجلى هذا فيما ذكره بعضهم ، من أن يزيد بن ابى مسلم عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على افريقية قد فرض الجزية على من أسلم هناك اقتداء بالحجاج بن يوسف ، معتمدين فى ذلك القول على الخبر الذى نقله الطبرى وغيره من المؤرخين (١) ، أن يزيد ابن ابى مسلم اعتزم أن يسير فى البربر بسيرة الحجاج فى أهل السواد . وهذا الخبر لاينص على فرض ابن ابى مسلم الجزية وانما اعتزامه ذلك ، ولكنهم قالوا بفرضها من قبله على البربر ، افتراضا ، على اعتبار انه اعتزم محاكاة الحجاج الذى فعل ذلك ، فقالوا : انه فرضها .

والحقيقة التى يجب الاشارة اليها ، أن المصادر الاسلامية القديمة التى تيسر لنا الاطلاع عليها فى بحثنا هذا ، لم تنص صراحة على فرض الخليفة يزيد بن عبد الملك او احد عماله الجزية على من أسلم ، كما اننا لم نعثر على اية اشارة تدل على ذلك اثناء دراستنا لأحداث عصره .

بينما قدمت لنا هذه المصادر روايات صريحة عن سياسات يزيد المالية المستجدة ، وماأعاده من سياسات أسلافه (٢) ، وهذا مايدفعنا الى الشك فيما نسب الى الخليفة يزيد من انه اعاد فرض الجزية على من أسلم .

ونحن فى حقيقة الأمر لاننفى ان الجزية كانت تؤخذ من

---

(١) انظر نص الخبر الذى أورده الطبرى وغيره من المؤرخين عن سياسة يزيد بن ابى مسلم بعد : ص ٥٥٩ .
(٢) ستجد هذه النصوص فى ثنايا حديثنا عن سياسته المالية فى الصفحات التالية .

بعض من اسلم من اهل الذمة او من على حكمهم ، فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مع التاكيد على اننا لم نعثر على مايدل صراحة انه امر بذلك . بينما امر بالعودة الى ماكان عليه اسلافه قبل عمر بن عبد العزيز ، ومما كان عليه اسلافه قبل عمر ، اخذ الجزية من بعض من اسلم .

فهناك من الدلائل مايشير الى ان الجزية كانت تؤخذ من بعض من اسلم قبل عهد سلفه عمر الذى امر برفعها عنهم (١) . من تلك الدلائل الخبر الذى اورده الطبرى (٢) من شكاية احد موالى خراسان الى عمر بن عبد العزيز ان عشرين الف مسلم من الموالى هناك يدفعون الجزية . ومثلهم يقاتلون مع المسلمين ولاياخذون العطاء . وهذا ماحدا بعمر الى توجيه اوامره الى عماله برفع الجزية عمن اسلم (٣) . بل ان اوامره الصريحة فى هذا الشان تبين وجود من كان يدفع الجزية بعد اسلامه .

وقد ذكر ان اول من اخذ الجزية من اهل الذمة الحجاج ابن يوسف الثقفى (٤) . يقول ابن عبد الحكم : "وكانت تؤخذ قبل

---

(١) هنا كتب واوامر صريحة وجهها الخليفة عمر بن عبد العزيز الى عماله فى الاقاليم الاسلامية برفع الجزية عمن اسلم ومنع من اراد من عماله اخذها من الموالى ، من ذلك رفعها عمن اسلم فى خراسان والكتابة الى الجراح الحكمى عامله عليها بذلك . (انظر : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤١٥ ـ ابن قدامة : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٤٠٩-٤١٠ ـ الطبرى : تاريخ الامم ، ٥٥٩/٦) وكذلك كتابه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة برفض استئذانه فى اخذها ممن اسلم (انظر : ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٦٩) ، والامر برفعها عمن اسلم فى مصر وكتابه الى حيان بن شريح عامله عليها فى هذا الشان (انظر / ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، طبعة ليدن ١٩٢٠م ص ١٥٥ ـ المقريزى : خطط ، ٧٧/١-٧٨) .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) انظر هامش (١) اعلاه .

(٤) نفس المصدر والطبعة ، ص ١٥٦ .

ذلك - أى قبل أن يرفعها عمر بن عبد العزيز - ممن أسلم .
وأول من أخذ الجزية من أهل الذمة كما حدثنا عبد الملك بن
مسلمة عن ابن لهيعة عن رزيق بن عبد الله المرادى الحجاج
ابن يوسف" .

ويقول المقريزى : "وأول من أخذ الجزية ممن أسلم من[1]
أهل الذمة الحجاج بن يوسف" . الذى كان عاملا لعبد الملك بن
مروان على العراق .

ويبدو أن القول بذلك ، جاء صدى لموقف الحجاج بن يوسف
من الموالى الذين لحقوا بالامصار وتركوا ارضهم ، مما ادى
الى انكسار الخراج ، فامر باخراجهم من الأمصار ، واعادتهم
الى قراهم .

وقد أورد الطبرى خبر ذلك الموقف ونصه : "ذكر ضمرة بن
ربيعة عن أبى شوذب : ان عمال الحجاج كتبوا اليه : ان
الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار
فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له اصل فى قرية فليخرج
اليها ، فخرج الناس فعسكروا ، فجعلوا يبكون وينادون :
يامحمداه يامحمداه . وجعلوا لايدرون أين يذهبون ، فجعل
قراء البصرة يخرجون اليهم متقنعين فيبكون لما يسمعون
منهم ويرون . قال : فقدم ابن الأشعث على تفيئة ذلك ،
واستبصر قراء البصرة فى قتال الحجاج مع أ عبدالرحمن بن محمد بن

---

(١) خطط ، ٧٨/١ - وانظر أيضا : حسين محمد سليمان : رجال الادارة فى الدولة العربية الاسلامية ، ١-١٣٢هـ ، رسالة ماجستير ، مطبوعة ، دار الاصلاح ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٢١ - محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٠ .

الأشعث" .(١)

ونص هذا الخبر لايشير الى فرض الجزية على من أسلم ولكنه الزمهم العودة الى قراهم ورساتيقهم ، للعمل في الارض(٢) وهذا يعني انهم سيقومون بزراعة اراضيهم التي تركوها وبالتالي دفع الخراج عنها ، لأن أراضي خراج الأجرة ، لايسقط الخراج عنها باسلام صاحبها ، وانما تسقط عنه الجزية ، أما الأرض/التي أسلم صاحبها فاما ان تعود الى الدولة اذا تركها فتدفعها لمن يقوم بزراعتها ، او ان يبقى فيها ويؤدي عنها الخراج ، كما كان يفعل قبل اسلامه .(٣)

وحيث أن الخبر الذي أورده الطبري ، ووافقه فيه ابن عبد ربه ، لم ينص صراحة بالزام الموالي بعد اعادتهم الى قراهم ، بدفع الجزية ، فقد شككنا في صحة هذا الخبر ، وان كان روح النص تدل على ذلك . مع أن ابن الأثير الذي أورد(٤) خبر الطبري ، قد صرح بذلك بقوله : "واخرج الناس لتؤخذ

---

(١) تاريخ الامم ، ٣٨١/٦ - ابن عبد ربه : العقد ، ٣٦٤/٣ (مع تصرف قليل في اللفظ والمعنى) .

(٢) يشير ابن عبد ربه : ان ذلك الموقف من الحجاج تجاه الموالي جاء بعد مشاركتهم في حركة ابن الاشعث وابن الجارود ، فاراد أن يزيل ذلك الخطر ، المتمثل في تجمع أعداد كبيرة من الموالي في الأمصار أصبحت تهدد الأمن ووحدة الدولة بمشاركتها في الحركات الخارجة على الدولة . كما ان من خبره مايفيد انه راى أن هؤلاء الموالي زراع أرض ، وأن وجودهم في المدن سيؤدي الى نوع من البطالة ، لعدم اتقانهم الحرف الأخرى ، الى جانب ما ادى اليه تركهم اراضيهم من انكسار الخراج ، فامر باعادتهم الى قراهم للعمل في مهنتهم الرئيسية باسم المصلحة العامة لذلك جاء قوله : "انتم علوج وعجم وقراكم اولى بكم" . (انظر : نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٣) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ١٩٠ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني أمية ، ص ٢٨٧ .

(٤) الكامل ، ٧٩/٤ .

منهم الجزية " . وقوله هذا زيادة على ماورد عند الطبرى ، لعله استقاها من مصدر آخر .

غير ان تصريح الطبرى نفسه اثناء حديثه عن اعتزام يزيد بن ابى مسلم عامل يزيد بن عبد الملك على افريقية السير على نهج الحجاج ، بان الحجاج فرض الجزية على من اسلم حيث قال :"وكان سبب ذلك – يعنى مقتل ابن ابى مسلم – انه كان عزم ان يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان اصله من السواد من اهل الذمة ، فاسلم بالعراق ممن ردهم الى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ماكانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم . فلما عزم على ذلك تآمروا فى امره ، فاجمع رايهم على قتله فقتلوه " .(١)

وماورد من نصوص اخرى تدل على اخذ الجزية من بعض من اسلم من اهل الذمة ، بعد عهد الحجاج ، وأوامر عمر بن عبد العزيز الصريحة برفع الجزية عمن أسلم ، فى اقطار الدولة الاسلامية ، وماذكر من ان اشرس بن عبد الله السلمى عامل هشام بن عبد الملك على خراسان (١٠٩ – ١١١هـ) ، فرض الجزية على من اسلم فى ماوراء النهر بعد ان رفعها عنهم ، عندما راى اقبال الناس على الاسلام وكثرة الداخلين فيه ، ومادى

---

(١) تاريخ الامم ، ٦١٧/٦ ـ كما ورد هذا الخبر عند : ابن الاثير : الكامل ، ١٨٢/٤ – ابن أبى دينار : المؤنس ، ص ٣٩ – ابن خلكان : وفيات ، ٣١١/٦ ـ الناصرى : الاستقصاء ، ١٠٣/١ .

اليه من انكسار الخراج [١]. وكذلك رفع نصر بن سيار عامل الخليفة هشام على خراسان (١٢٠ - ١٣١هـ) الجزية عمن اسلم فى خراسان وماوراء النهر وقد وجدها تؤخذ من ثلاثين الف مسلم [٢].

كل ذلك جعلنا نتاكد من ان الجزية قد فرضت على بعض من اسلم من اهل الذمة ، واصبح الموالى يؤدونها بعد اسلامهم كما كانوا يؤدونها وهم على كفرهم .

وقد علل تجاوز بعض حكام بنى امية حكم الشرع فى ذلك بمبررات متعددة ، اهمها تاثر موارد الدولة باسلام اهل الذمة من خلال سقوط الجزية عمن اسلم وانكسار الخراج ، وظروف الدولة العسكرية ومستجداتها ، كما ذكر ان بنى امية يعتبرون الجزية بمنزلة الضرائب على العبيد ، فلايسقط اسلام العبد عنه ضريبته ، وقد يكون لظنهم انما اسلامهم فرار من الجزية ، فابقوها عليهم غيرة على الاسلام [٣]. على انه ينبغى الاخذ بالظاهر ، ولو على اعتبار انهم من المؤلفة قلوبهم . كما أن اخذها من الموالى مخالف لحكم الشريعة الذى يعفى من اسلم من اداء الجزية [٤].

---

(١) يذكر الطبرى ان اشرس امر بدعوة اهل ماوراء النهر الى الاسلام على ان ترفع عنهم الجزية ، فاقبلوا على الاسلام فكتب اليه الدهاقين بانكسار الخراج ، فامر باعادتها على من اسلم ، مما ادى الى ردة اهل الصغد وحربهم المسلمين . (انظر : تاريخ الامم ، ٥٤/٧ ومابعدها) .

(٢) عن اصلاح نصر بن سيار المالى فى خراسان ، والحد من سلطان الدهاقين ، ووضع كل شىء فى موضعه ، (انظر : الطبرى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٧٣-١٧٤) .

(٣) انظر هذه الاسباب والمبررات عند : توفيق اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق ،ص ١٣٨-١٣٩ - ثابت الراوى العراق فى العصر الاموى ، ص ٦٦ - فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٤١،٥٩ - فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ١٢٥ - فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٢٨٤/١ - حسن احمد محمود : الاسلام فى آسيا الوسطى ، ص ٦١) .

(٤) ابو يوسف : الخراج ، ص ٢٥٤ - نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ٢٧١ - فالح حسين : نفس المرجع والصفحة

وللحقيقة ، فان من الواضح ان اخذ الجزية ممن اسلم ، لم يكن امرا عاما شمل كل من اسلم من اهل الذمة ، او عمم على اقطار الدولة الاسلامية واقاليمها[(١)] ، فابن عبد الحكم يذكر أن عبد الملك بن مروان كتب الى أخيه عبد العزيز عامله على مصر ، باخذ الجزية ممن اسلم من اهل مصر اقتداء بالحجاج ، فهم بذلك ، لكنه توقف عنه .

ومما يدل على عدم أخذها من البربر في افريقية حتى أواخر عهد هشام ، ان الشكوى التي تقدم بها زعماء البربر الى الخليفة هشام قبيل قيامهم بالثورة على عامله عليهم عبيد الله بن الحبحاب سنة ١٢٢هـ ، والتي ذكروا فيها مظالمهم ومايجدونه من عسف وجور العمال ، لم تتضمن اخذ الجزية ممن اسلم ، مما يدل على عدم اخذها منهم ، والا لكانت على راس مانقموا منه لاهميتها ، فقد ذكروا ماهو ايسر من ذلك[(٢)] .

ومما يدل على انها لم تفرض عليهم قبل ذلك ، قيام البربر سنة ١٠٢هـ بقتل يزيد بن ابي مسلم عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على افريقية ، عندما اراد ان يسير فيهم بسيرة الحجاج ، ومن ذلك اخذ الجزية ممن اسلم منهم[(٣)] .

ويتضح جليا ان اخذ الجزية ممن اسلم قد برز بشكل واضح في المشرق الاسلامي وخصوصا في بلاد ماوراء النهر وخراسان

---

(١) فتوح مصر ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م ، ص ١٥٦ ــ وكذلك المقريزي : خطط ، ٧٨/١ .

(٢) انظر نص شكوى البربر التي رفعوها الى الخليفة هشام وماتضمنته من مظالم في : الطبري : تاريخ الامم ، ٢٥٤/٤-٢٥٥ .

(٣) عن اسباب قتل يزيد بن ابي مسلم ، واعتزامه السير في البربر بسيرة الحجاج مما كان سببا في قتله ، (انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٥٠٧ ومابعدها) .

والسواد . بل أن ذلك فيما يبدو قد اقتصر على أهل القرى والرساتيق ، أما من أسلم والتحق بالمدن الكبرى ، فانه فيما يبدو لم يكن يؤدى الجزية بعد اسلامه ، الا انه كان يشكو من عدم مساواته بالعرب ، وخصوصا حرمان بعضهم من العطاء [(١)].

ويبدو أن وراء أخذ الجزية من بعض من أسلم سببا آخر غير سياسة الحجاج ، الا وهى استغلال الدهاقين فى هذه الاقاليم لسلطتهم فى وضع الضرائب وجمعها ، لصالح من بقى على دينه من جماعاتهم ، على حساب الذين أسلموا ، فيرفعون ويخففون عن الكافرين ، ويضعون ويثقلون على المسلمين [(٢)].

اذ أن المسلمين قد تركوا أمر جباية الضرائب للرؤساء المحليين والدهاقنة [(٣)] ، بل أن صلح أهل مرو بالذات نص على أن مهمة الدهاقين قسمة المال وليس على المسلمين الا قبض ذلك [(٤)].

---

(١) تدل شكوى صالح بن طريف الملقب أبا الصيدا وهو أحد موالى خراسان ، لعمر بن عبد العزيز ، على أن من أسلم من أهل خراسان والتحق بالجيش لم يكن يأخذ العطاء ، وأن من أسلم وبقى على أرضه أخذت منه الجزية مع اسلامه (انظر ذلك عند : الطبرى : تاريخ الأمم ، ٥٥٩/٦) ، بينما دلت شكاية بربر افريقية زمن هشام على حرمانهم من العطاء ولم تشر الى فرض الجزية عليهم (انظر هامش (٢) الصفحة السابقة .

(٢) محمد شعبان : الثورة ، ص ٢١٣ .

(٣) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ٨٠ .

(٤) كان فى صلح أهل مرو : "أن يوسعوا للمسلمين فى منازلهم وأن عليهم قسمة المال وليس على المسلمين الا قبض ذلك" . (انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٩٦) بل أن أمر ترك جباية الأموال من أهل البلاد المفتوحة لأهلها ، نهج اتبع منذ بداية الفتوح . فقد تضمن صلح خالد بن الوليد – رضى الله عنه – لأهل الحيرة ، الاشتراط عليهم جباية ماصولحوا عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين ، الا أن يطلبوا أعوانا ، فيعانوا . (انظر : أبو يوسف : الخراج ، ص ٢٩٠) .

يدل على صحة هذا القول ماذكر عن نصر بن سيار ، انه اراد اصلاح الامور المالية فى ولايته على خراسان ابان عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، فولى ذلك رجلا يدعى منصور ابن عمر بن أبى الخرقاء ، وخطب فى الناس فاخبرهم بذلك ودعاهم ان من كان يؤخذ منه جزية راس وهو مسلم ، او ثقل عليه فى خراجه ، فليرفع ذلك الى منصور ليحوله عن المسلم الى المشرك . فما كانت الجمعة الثانية حتى اتاه ثلاثون الف مسلم كانوا يؤدون الجزية عن رؤوسهم وثمانون الفا من المشركين قد القيت عنهم جزيتهم ، فحول ذلك عليهم والقاه عن المسلمين ، ثم صنف الخراج حتى وضعه مواضعه .(١)

ونخلص من هذا ان الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يامر صراحة باخذ الجزية ممن اسلم ، كما ان ليس لدينا اى قرينة او دليل باخذها ممن اسلم فى عهده ، لكننا لانستطيع ان نجزم بعدم اخذها ممن اسلم فى ايامه ، خصوصا بعد امره العام بترك سياسة عمر والعودة الى السياسات القديمة لاسلافه من بنى امية مما يدفعنا الى ترجيح العودة الى اخذها من بعض من اسلم ، خاصة فى مناطق المشرق الاسلامى ، التى خضعت لذلك منذ عهد الحجاج ، وخاصة فى منطقة السواد وماوراء النهر ، من أهل القرى والرساتيق الذين يعيشون خارج نطاق الامصار ، ولعل ذلك كان يحدث دون علم العمال المسلمين ، لترك امر الجباية لزعماء اهالى تلك البلاد المشار اليها ، وبعدها عن نظر الولاة ، او لاختلاط الامر عليهم ، لذوبان القلة المسلمة

---

(١) محمد شعبان : الثورة ،ص ١٥٧ .

من أهل تلك الأصقاع، في السواد الأعظم من أهلها الذين بقوا على دينهم بادىء الأمر .

وفي سبيل زيادة الموارد المالية ، أعاد الخليفة يزيد ابن عبد الملك فرض الجزية على الأساقفة والرهبان في مصر واشتد عليهم في ذلك وأثقل[1] ، حتى قال عن سياسته المؤرخ القبطي ساويرس بن المقفع[2] : "ثم تولى بعده - أي بعد عمر بن عبد العزيز - يزيد ومانحسن بشرح ماجرى في أيامه ولانذكره من السوء والبلاء لأنه سلك في طريق الشيطان وحاد عن طريق الله وأول مآخذ المملكة أعاد الخراج الذي كان عمر قد رفعه عن البيع والأساقفة سنة واحدة وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى ضاق كل من في بلاده " .

وقد تولى ذلك أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج بمصر للخليفة يزيد ، حيث وسم الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديره وتاريخه ، وأمر بقطع يد من وجد بغير وسم وتغريم من لم يحمل منشور البراءة بدفع الجزية من النصارى عشرة دنانير ، وقام بجولات تفتيشية مفاجئة على الأديرة ، قبض فيها على عدد من الرهبان بدون وسم فقتل بعضهم ومات آخرون تحت العذاب[3] .

وكان عمر بن عبد العزيز قد ألغى الجزية عن رجال

---

(١) محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٢٣ - سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٠٧ - صالح الحمارنة : المسيحية في أرض الشام (بحث) ، ص ٥٥٥-٥٥٦ - ترتون : أهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

(٢) سير الآباء البطاركة ، ص ١٥٣ .

(٣) المقريزي : خطط ، ٢/٤٩٢-٤٩٣ - صالح الحمارنة : نفس المرجع والصفحات .

الكنيسة المصرية[1] ، والتى فرضت عليهم لأول مرة من قبل امير مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ) فى عهد اخيه عبد الملك بن مروان ، بل انه الزم الاساقفة بضريبة سنوية قدرها الفى دينار اضافة الى خراج املاكهم ، كما الزم خلفه على ولاية مصر عبد الله بن عبد الملك البطاركة بضريبة قدرها ثلاثة آلاف دينار سنويا واضافات اخرى ، كما اشتد اسامة بن زيد عامل سليمان وعمل احصاء ثابتا للرهبان واستمر الحال حتى عهد الخليفة عمر الذى امر برفع ذلك عنهم[2] .

وبعد تحفظنا على لفظية الخبر[3] الذى نقله ساويرس ابن المقفع عن سياسة الخليفة يزيد المالية تجاه رجال الكنيسة القبطية ومافيه من التحامل الواضح ، وان كان غير مستعجب لوروده على لسان احد رجال الكنيسة الذين لاتروق لهم مثل هذه الاوامر من الحكام المسلمين[4] .

---

(١) نادية حسنى صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه أهل الذمة ، ص ٥٣ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى (بحث) ، ص ١٢٨ .

(٢) عن أخذ عبد العزيز بن مروان الجزية من رجال الكنيسة القبطية كاول جزية تؤخذ من الرهبان فى تاريخ مصر الاسلامية ، وما استحدث من ضرائب ، واتباع هذه السياسة من قبل الولاة الذين جاءوا بعده ، وما اتبعوه من سياسات أخرى ، وابتدعوه من ضرائب جديدة ، تجاه نصارى مصر ورجال كنيستها ، (انظر / المقريزى : خطط ، ٤٩٢/٢-٤٩٣ - محمد امين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٩-٢٠،٢١٣ - سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٧٩ ، ١٩٣،٢٠٠ - ترتون : أهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١) .

(٣) انظره فى الصفحة السابقة .

(٤) لايستغرب مانجده من تحامل على رجال الاسلام وقيادات المسلمين على لسان أعدائهم ، فان ساويرس بن المقفع لم يتورع عن النيل من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، مع ماعرف عنه من عدالة وتسامح تجاه رعاياه وخاصة أهل الذمة الذين اوصى بالرفق بهم والعدل فيهم بما يمليه الشرع الحنيف ، فيقول :"فكان هذا عمر بن عبد العزيز يصنع خيرا عظيما أمام الناس ويفعل السوء أمام الله" (انظر كتابه : سير الآباء البطاركة ، ص ١٥٢) . وقد أوردنا قوله فى عمر حتى لايغر القارىء بقوله فى يزيد.

فانه يهمنا ان نشير ان هذا الخبر لاينص صراحة على اعادة يزيد فرض الجزية على رجال الكنيسة ، وانما نص على اعادة الخراج الذى كان رفعه عمر عن البيع والاساقفة ، والذى رفعه عمر كما اورده ابن المقفع جاء بلفظ الخراج لا الجزية فهو لاينص صراحة برفع الجزية اذ يقول : "وامر - يعنى عمر - ان لايكون على أواسى[1] البيعة والاساقفة خراج وبدى أن جعل البيع بغير خراج والاساقفة وبطل الجبايات[2]" .

ويبدو أن ذلك جاء من عدم التمييز فى استعمال كلمة خراج وجزية ، واطلاق كلمة خراج على جزية الرؤوس ، وهذا يعنى انه رفع خراج الرؤوس عن الاساقفة كما رفع الخراج عن املاك الكنيسة . خصوصا ان بعض المراجع الحديثة قالت بانه رفع الجزية اعتمادا على هذا النص مفسرين النص كما يبدو على ماذهبنا اليه ، الى جانب صراحة اللفظ بوضع الجزية على الرهبان فى الكنيسة المصرية قبل عمر منذ ولاية ابيه عبد العزيز ، فقد اورد المقريزى[3] ان عبد العزيز بن مروان احصى الرهبان ووضع عليهم الجزية فقال : "وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية عن كل راهب دينار ، وهى أول جزية اخذت من الرهبان" .

---

(١) اواسى : جمع اوسية وهى عند المصريين تعنى الضيعة ، فاواسى البيعة : تعنى أملاك الكنيسة أو اراضى الكنيسة (عن استاذى : أ.د. احمد السيد دراج) .

(٢) سير الآباء البطاركة ، ١٥٢/١ .

(٣) خطط ، ٤٩٢/٢ .

وحيث أن الأصل في حكم الجزية اعفاء الرهبان منها لفقرهم الناتج عن انصرافهم عن الدنيا [١]، بل ان الذميين كانوا يتحملون ضرائب من انخرط في سلك الرهبنة ، فلايدفع الرهبان شيئا [٢].

لذلك فان من المرجح أن يكون عمر قد رفع عنهم الجزية مع رفع مافرض عليهم من ضرائب اضافية وخراج على أملاك الكنائس ، وان كان النص الذى أورده ساويرس ابن المقفع في هذا الشان لاينص على ذلك بالتحديد لامن قبل عمر ولامن قبل يزيد فلم ينص الخبر على رفع عمر الجزية وانما قال "الخراج" ولم ينص الخبر الآخر باعادة يزيد الجزية ، وانما الخراج الذى رفعه عمر .

شاننا في هذا القول شان ترتون [٣] الذى شكك في دقة مايعنيه نص الخبر القائل بفرض الجزية على الرهبان من قبل عبد العزيز بن مروان ، اذ قال : ولسنا نعرف على وجه التحقيق عما اذا كان ساويرس يقصد بذلك انها اول جزية أو خراج يدفعه الرهبان .

---

(١) يقول أبو يوسف في هذا الشان : "وكذلك المترهبون الذين في الديارات اذا كان لهم يسار أخذ منهم ، وان كانوا انما هم مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار لم يؤخذ منهم ، وكذلك أصحاب الصوامع ان ذكر أن لهم غنى ويسار ، وان كانوا قد صيروا ماكان لهم لمن ينفقه على الديارات ومن فيها من المترهبين والقوام ، أخذت الجزية منهم ، ويؤخذ بها صاحب الدير ، فان أنكر صاحب الدير الذى ذلك الشيء في يده ، وحلف على ذلك بالله وبما يحلف به مثله من أهل دينه مافي يده شيء من ذلك ترك ولم يؤخذ منه شيء" . (انظر : الخراج ، ص٢٥٣-٢٥٤) وكذلك ترتون : أهل الذمة ، ص ٢٣٩ (عن : الصولي : أدب الكاتب ، ص ٢١٦ ـ الشافعي : الام ، ٩٨/٤) .

(٢) ترتون : نفس المرجع والصفحة (عن ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ١٥٦) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

الا أن الخبر الذى يشير الى وسم الرهبان على يد اسامة ابن زيد عامل خراج مصر ليزيد واعطاء كل فرد منهم منشور براءة (١) ، فيه دلالة واضحة على ان ذلك التنظيم المعنى بالافراد كان يخص الجزية ويعنى بضبطها . اذ ان الضرائب التى فرضت على البطاركة والاساقفة وأملاك الكنائس ، كان المسئول عن ادائها كبار رجال الكنيسة من بطاركة واساقفة (٢) . كما ان عدم التمييز فى اطلاق كلمة خراج وجزية ، واطلاق كلمة الخراج على جزية الرؤوس تجاوزا ، قرينة اخرى على ترجيح اعادة يزيد فرض الجزية على الرهبان بعد أن رفعها عنهم عمر .

لكن الملفت للنظر أن اعادة فرض الجزية والخراج والضرائب على رجال الكنيسة وأملاكها فى مصر فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك اقتصر على مسيحيى مصر عما سواهم (٣) ، فلو

---

(١) انظر الخبر المتضمن سياسة اسامة بن زيد هذه قبل : ص ٥٦٤ .

(٢) انظر : محمد أمين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٩-٢٠

(٣) يقول محمد أمين صالح : رغبة فى تعويض النقص فى الايرادات الناتج عن نقص مورد الجزية بدخول الناس فى الاسلام ، وتحول كثير من الاراضى الخراجية الى عشرية ، فرضت الدولة الأموية منذ ولاية عبد العزيز بن مروان سلسلة من المغارم والجبايات على مسيحيى مصر ، فاخذت الجزية من الرهبان ، وفرضت ضرائب على الاساقفة والبطاركة الى جانب خراج الكنائس واملاكهم ، كما الزموا بارزاق الوالى وعماله وحاشيته ، واشتد عليهم فى ذلك زمن عبد الله بن عبد الملك (٨٦-٩٠) ، وقرة ابن شريك (٩٠-٩٦) ، واسامة بن زيد (٩٦-٩٩) ، يضاف الى ذلك أمر عمر بن عبد العزيز بعدم استعمالهم فى الادارة وعدم تحول الارض الخراجية الى عشرية خصوصا انه يعتبر أرض مصر فتحت عنوة الا ثلاثة بلدان منها . كل ذلك هيأ مسيحيى مصر للثورة على المسلمين . وقد كانت سياسة عبيد الله بن الحبحاب عامل الخراج لهشام بن عبد الملك على مصر ، المتمثلة فى زيادة قيراط على كل دينار فى خراج مصر ، واشتداده فى ذلك وظلمه حيث قاس الارض واحصى الناس والبهائم ودونهم ، وسخر المصريين فى =

أن الأمر كان يخص أهل الذمة فى الدولة الاسلامية عامة لأشارت اليه مصادر التاريخ الاسلامى العام ولم تقتصر على ايراده مصادر تاريخ مصر الاسلامية ، هذا علما بان ذميى مصر كانوا يتحملون ضريبة من ينخرط فى سلك الرهبنة (١) . فما العلة وراء ذلك ؟ يبدو أن السبب وراء ذلك ، مابلغته الكنيسة القبطية وأهلها من الثراء ، فقد اطلع ترتون على أرقام عن البرديات اتضح له من خلالها غنى بعض الأديرة المصرية وماوصلت اليه من الثراء ، حتى لقد كان لدير مريم الصحراوى ثمانية اقطاعيات فى (سنة ٩٨هـ) ، ولدير بربروس عشرة اقطاعيات (٢) .

وحيث ان الاسلام يجيز اخذ الجزية من المترهبين اذا كانوا اهل غنى ويسار (٣) ، قام المسلمون باخذها منهم منذ عهد عبد العزيز بن مروان ، لسقوط علة اعفائهم منها وهى الفقر ولعل هذا مايبرر شرعية عمل الخليفة يزيد ومن سبقه من الخلفاء تجاه رجال الكنيسة القبطية وهذا لايتعارض مع عمل

---

= بناء الفسطاط ، كل ذلك كان سببا لثورات القبط المصريين التى قامت عليه سنة ١٠٧هـ واستمرت طوال العهد الأموى والعصر العباسى حتى عهد المأمون مما يدل على أن تلك الثورات لم تكن ضد بنى أمية وانما ضد السياسة التى اتخذها المسلمون تجاههم سواء فى العهد الأموى او العباسى . (انظر : دراسات اقتصادية ، ص ١٩-٢٣ – ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، ص ١٥٤) .

(١) ترتون : أهل الذمة ، ص ٢٣٩ (عن / ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ١٥٦) . لكن الراجح أن ذميى مصر كانوا يتحملون ضريبة خراج الأرض عمن انخرط فى سلك الرهبنة فقط ، اما لكون ضريبة الخراج جماعية على اهل القرية او لتحول ارضه الخراجية الى أهل قريته فلزمهم أداء الخراج بدلا عنه . أما ضريبة الجزية فانهم لايؤدونها عنه والا لما فرضت على المترهبين .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢١٦ .

(٣) انظر ماأوردناه عن ذلك فى الصفحةقبل السابقة ، وهامش(١) منها

الخليفة عمر الذى رفعها عنهم ، فانه عاد الى الأصل ، ولعل تصرفه من باب التسامح وتأليف قلوبهم رجاء اسلامهم .(١)

والحق أن غموض بعض النصوص وعدم دقتها وشمولها ، جعل القول فى هذا الميدان لايبلغ الحقيقة القطعية ، ولعل قادم الأيام يكشف لنا من الوثائق مايكون اكثر دقة ووضوحا وشمولا ليكون الحكم قطعيا ، وتثبت الحقيقة .

ولم يكن الخليفة يزيد بن عبد الملك مخالفا لعمر فى كل امر ولم يرد كل ماصنعه كما قال ابن الاثير(٢) ، فمن اتباعه اياه فيما صنعه ، موافقته واقراره ماأسقطه عمر من صلح نصارى النجرانية . فقد صالح نصارى نجران رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألفى حلة سنويا ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب اجلاهم ، فتفرقوا واستقر بعضهم بالشام ونزل بعضهم "النجرانية" قرب الكوفة بالعراق وقد سميت باسمهم . ولما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه شكوا اليه امرهم وكان قد لحقهم بعض الضرر فوضع من جزيتهم مائتى حلة . فلما كان عهد معاوية رضى الله عنه أو ابنه يزيد ، شكوا اليه تفرقهم وموت من مات واسلام من اسلم منهم ، وازديادهم نقصا وضعفا ، فوضع عنهم مائتى حلة ، فلما تولى الحجاج اتهمهم بمناصرة ابن الاشعث فاعاد عليهم ماوضع عنهم فى بداية العصر الأموى ، ليدفعوا الف وثمانمائة كما كانوا يدفعونها ايام عثمان بعدما اسقطه عنهم .

---

(١) المؤلفة قلوبهم قسمان : كافر ومسلم ، فالكافر ترجو من وراء حسن معاملته اسلامه ، والمسلم ترجو من وراء التعاطف معه والاحسان اليه حسن اسلامه وزيادة ايمانه . (انظر / ابن تيمية : السياسة الشرعية ، ص ٥٥) .

(٢) انظر قوله قبل : ص ٥٥٠ .

فلما ولى الخليفة عمر بن عبد العزيز شكوا اليه نقصهم وظلم الحجاج اياهم ، فامر باحصائهم فوجدهم عشر عدتهم الاولى ، فلما راى ذلك الصلح جزية رؤوس لاخراج ارض ، اسقط عنهم جزية من مات او اسلم ، فالزمهم على ذلك مائتى حلة قيمتها ثمانية آلاف درهم ، وهى عشر ماكان عليه صلحهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . فظلوا على ذلك حتى ولاية يوسف بن عمر الثقفى عامل الوليد بن يزيد على العراق ، فردهم الى امرهم الاول عصبية للحجاج (١) . وهذا يعنى ان الخليفة يزيد بن عبد الملك ومن بعده هشام قد اقر ما اسقطه عمر عن نصارى النجرانية من جزيتهم ، ومما اتبع عمر فيه موافقته فى اسقاط مازاده عبد الملك بن مروان فى صلح اهل قبرص . فقد فتحت قبرص على يد معاوية بن ابى سفيان فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وصالحهم على سبعة آلاف ومائتى دينار ، ثم لم يزل المسلمون يغزونهم حتى صالحهم معاوية فى ايامه صلحا دائما على سبعة آلاف دينار ، فلم يزل اهل قبرص على صلح معاوية حتى ولى عبد الملك بن مروان فزاد عليهم الف دينار ، فجرى ذلك الى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطها عنهم ، ثم لما ولى هشام بن عبد الملك ردها فاستمر ذلك حتى خلافة ابى جعفر المنصور فردهم الى صلح معاوية (٢) . وهذا يعنى ان العمل بما صنعه عمر فى هذا الصدد استمر خلال

---

(١) عن قصة النجرانية وتفاصيل امرهم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين والامويين وما آل اليه امرهم زمن بنى العباس ، (انظر / البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٧٥-٧٩ ـ قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٢٧٢-٢٧٥) .

(٢) عن فتح قبرص والصلح مع اهلها وماكان من امرها . (انظر : البلاذرى : نفس المصدر ، ص ١٥٧-١٦٢) .

خلافة يزيد بن عبد الملك .

وشبيه بذلك ، انفاذ الجراح بن عبد الله الحكمى صلح حبيب بن مسلمة مع اهل تفليس[(١)] وذلك بعد ان اعاد الجراح فتح ذلك الاقليم فى اعقاب غزو الخزر ارمينية وانضمام بعض اهل ارمينية اليهم ونقضهم العهود زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك[(٢)] .

كما سار سعيد الحرشى عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على خراسان فى توزيع الغنائم التى غنمها فى حروبه مع الصغد فيما وراء النهر ، على المبدأ المعمول به قديما فى خراسان والذى اكده الخليفة عمر بن عبد العزيز[(٣)] ، والذى يقضى بان تصرف أموال خراسان فى خراسان ، فقد ارسل الحرشى الى بيت المال فى دار الخلافة خمس ماغنم وابقى اربعة اخماس لأهل خراسان[(٤)] . ولعل هم الخليفة الأول لم يكن المردود المالى من تلك الجهود العسكرية ، بل هيمنة السلطان الأموى فى تلك الأصقاع ، بعد أن تعرض الوجود الاسلامى فيها للخطر .

---

(١) تفليس : بلد بارمينية الأولى ، وقيل : باران ، وهى قصبة ناحية جرزان قرب باب الأبواب ، وهى مدينة قديمة مدينة لاسلام وراءها ، يجرى فى وسطها نهر الكر ، افتتحها المسلمون على يد حبيب بن مسلمة زمن الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، صلحا . (ياقوت : معجم ٢/٣٥-٣٧) .

(٢) انظر كتاب الجراح بن عبد الله الحكمى لأهل تفليس باقرار صلح حبيب ، عند : البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٠٥ .

(٣) ظل أمر توزيع أموال خراسان بين مد وجذب بين مسلمى خراسان والحكومة المركزية ، وهل تصرف اموال خراسان من غنيمة وفىء وضرائب فيه ويبعث لبيت المال المركزى الخمس فقط من ذلك كله او من بعضه ام يبعث وارد الاقليم الى بيت المال وتصرف الحكومة على الاقليم ، ام تعطى الحكومة اكثر من الخمس . (انظر ماكتبه عن ذلك : محمد شعبان : الثورة ، ص ١٤٤ ومابعدها) .

(٤) محمد شعبان : نفس المرجع ، ص ١٧٤ .

ويبدو أن اضطراب الاحوال على حدود الدولة الاسلامية فى عهد الخليفة يزيد ، قد اشغله عن اخضاع بعض القوى المعاهدة على أداء التزاماتها المالية تجاه الدولة الاسلامية .

فقد امتنع رتبيل ملك سجستان منذ عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، عن اداء ماصالحه عليه الحجاج بن يوسف بعد ثورة ابن الاشعث ، وقدره تسعمائة الف درهم عروضا ، يؤديه للمسلمين كل عام . فلم يحمل رتبيل الى عمال عمر شيئا ، ثم لم يعط عمال يزيد بن عبد الملك شيئا ، وسائر عمال بنى امية بعده ، حتى قامت خلافة بنى العباس فاعادوا اخضاع رتبيل ومازالوا يأخذون الاتاوة منه الى مابعد عهد المامون حينا من الزمن .(1)

ومما تابعه فيه ايضا ، اتباعه فى العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الا يرث المسلم الكافر ولاالكافر المسلم ، وتلك سنة سار عليها الخلفاء الراشدون ، فلما ولى معاوية رضى الله عنه الخلافة ورث المسلم من الكافر ولم يورث الكافر من المسلم ، واخذ بذلك الخلفاء من بعده ، فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة راجع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتبعه فى ذلك يزيد بن عبد الملك ، فلما قام هشام اخذ بفعل معاوية وخلفائه من بنى امية .(2)

---

(1) كان امر سجستان مضطربا منذ فتحها فى عهد الخليفة عثمان صلحا ، فكثيرا مانكثوا ماعاهدوا عليه ، واعاد المسلمون اخضاعهم حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فامتنعوا بقية عهد بنى امية عن امر سجستان فتحا وصلحا ونقضا واخضاعا ، (انظر / قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٩٢-٤٠٠ - البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٨٥-٣٩٣) .

(2) ابن كثير : البداية ، ط1 ، ٢٥٩/٩ .

## الخـــراج :

ويمثـل الخـراج[1] مـع الجزيـة اكـبر مـوردين لبيـت مـال المسـلمين ، خصوصـا بعد استقرار الدولة وتوقف حركة الفتوح تقريبـا ، والتـي كانت تدر على بيت المال في اوجها الكثير من الاموال .

ومـن اجـل ذلـك عنـي الخليفة يزيد بن عبد الملك بهذا المـورد تنظيمـا وضبطا ، وتشددا وعسفا[2] . ولعل ظروف الدولة فـي ايامه دعته الى مثل ذلك ، كما ان هناك من الامور ماحدث فيه التجاوز او طال عهده بالتنظيم والمتابعة ، فكان يحتاج الـى الاصلاح واعـادة التنظيـم ، وكـان الخليفة عمر بن عبد العزيـز قـد عمـد الـى اصلاح كثير من الامور واقر يزيد بعض مامنعـه واصلحـه[3] ، لكـن العمر لم يطل به حتى يتم مابداه ، ولعلـه كـان يقوم ببعض مافعله يزيد من بعده كمسح السواد[4] ، وغـير ذلـك ممـا فيـه ضبط وتنظيم لموارد بيت المال واموال المسلمين .

الا أن مـن الحـق الاشـارة الـى ان سياسـة يزيد في هذا الصـدد قـد شابها الحرص والرغبة في زيادة الموارد ، فاشتد

---

(١) الخـراج : مـاوضع على رقاب الارض من حقوق تؤدى عنها . (المـاوردي : الاحكام ، ص ١٢٧) .

(٢) انظر اشارتنـا الـى ظروفها قبل : ص ٥٥٠-٥٥١ .

(٣) مـن ذلـك فـي أمـر الجزيـة متابعتـه فـي نقصان صلـح النجرانيـة واهل قبرص وفي أمر الخراج موافقته في منع بيع الارض الخراجية وغير ذلك ، وسنبين ذلك في موضعه .

(٤) أورد يـاقوت قولا لعمر بن عبد العزيز يذكر فيه مابلغه ايـراد السـواد فـي العهود الاسلامية المتقدمة ، ونقده لسياسـة الحجـاج بنقص الايـراد في زمنه مع عسفه وظلمه مبديـا عزمـه علـى زيـادة ايراده ، مما يعني أنه نوى اصلاحه وضبطه . (انظر : المعجم ، ٢٧٤/٣) .

على الناس وامر باهل الخراج ، ووضع الخراج على من لم يكن يؤديه ، وسنرى ذلك فى ثنايا سياسته الخراجية فى الصفحات التالية .

مسح السواد :

كانت ارض السواد [١] فى اقليم العراق موردا خراجيا متميزا ، لخصوبة ارضه ، وصلاحها للزراعة ، وحسن استغلالها . الى جانب انه من اراضى خراج الأجرة ، لأنه فتح عنوة فكان مما افاء الله به على المسلمين ، الا الحيرة وعين التمر واليس وبانقيا فانها فتحت صلحا [٢] .

لذا حظى السواد باهتمام الدولة ايام الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فيذكر عواد الأعظمى [٣] أن مسلمة بن عبد الملك فى ولايته للعراق زمن يزيد بن عبد الملك حاول تنظيم الخراج وضبطه .

الا انه كما كانت الفتن والاضطرابات السياسية فى اقليم العراق سببا فى فساد الادارة المالية فى ذلك الاقليم وتجاوز ولاته فى اموال المسلمين لتقوية نفوسهم ضد خصومهم او شراء ود المتنفذين هناك ، فان تولى مسلمة القضاء على حركة ابن

---

(١) السواد : يراد به هنا : رستاق العراق وضياعها التى افتتحها المسلمون فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمى بذلك لسواده بالزروع والأشجار ، حيث كان العرب اذا خرجوا من ارض الجزيرة ، راوا سواد النبات والاشجار وهم يسمون الخضرة سوادا ، فسموه سوادا لخضرته . وحد السواد من حديثة الموصل طولا الى عبادان ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضا . (ياقوت : معجم ، ٢٧٢/٣) .

(٢) ثابت الراوى : العراق ، ص ٦٨ ـ ياقوت : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٧٥ .

(٣) مسلمة ، ص ١١٢ .

المهلب في العراق ادت الى تجاوزه في أموال المسلمين ، فاستحوذ على خراج العراق[(١)] ، بل قيل انه انهمك في استصلاح الأراضي في العراق وضمها الى أملاكه ، مما ادى الى عزله عن ولاية العراق[(٢)] . وولى يزيد بن عبد الملك خلفا له على العراق عمر بن هبيرة ، وامره بمسح السواد .

ذلك انه كتب الى عمر بن هبيرة ، يامره أن يمسح السواد ، فمسحه (سنة ١٠٥هـ) ، فوضع على النخل والشجر واضر باهل الخراج ، ووضع على التانئة[(٣)] ، واعاد عليهم بعض الضرائب التي رفعها عنهم عمر بن عبد العزيز[(٤)] . ولم يكن السواد قد مسح منذ مسحه عثمان بن حنيف في عهد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه[(٥)] .

---

(١) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ١٩٧-١٩٩ .

(٢) عبد الله الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٣ ـ ناجي حسن : القبائل ، ص ١٥٩ ـ محمد نصر الله : نفس المرجع ، ص ١٩٩ .

(٣) تنأ : اقام وقطن : وفي حديث ابن سيرين : ليس للتانئة شيء . يريد أن المقيمين في البلاد الذين لاينفرون مع الغزاة ليس لهم في الفيء نصيب ، ويريد بالتانئة الجماعة منهم . وتنأ فهو تانيء (انظر : اللسان : (تنأ) . وعلى ضوء هذا القول يبدو لنا أن الخليفة يزيد وضع ضريبة على مسلمي أهل السواد المقيمين والغير مشاركين في الغزو . وقد فسر ثابت الراوي التانئة ب : الدهاقين . (انظر : العراق ، ص ١٣١-١٣٢) .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣١٣/٢ ـ ثابت الراوي : نفس المرجع والصفحات ـ محمد نصر الله : نفس المرجع والصفحات ـ عمر أبو النصر : الأيام الأخيرة ، ص ١٢٧-١٢٨

(٥) اليعقوبي : نفس المصدر والجزء والصفحة . ولمعلومات اشمل عن مسح السواد لأول مرة على يد عثمان بن حنيف بعد أن تم فتحه في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (انظر / أبو يوسف : الخراج ، ص ٨٦-٩١ ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٦٦-٢٧٢) . لكن هناك اشارات تدل على انه قد جرت محاولات أخرى لمسح السواد بعد مسحه زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك في ولاية زياد =

ومن المراجع مايلمح الى ان من أسباب مسح السواد زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، رغبته في الاستيلاء على فضول القطائع في العراق ، يدل على ذلك ماكتبه الخليفة يزيد بن عبد الملك الى عمر بن هبيرة انه ليست لأمير المؤمنين بارض العرب خرصه[(١)] فمر على القطائع فخذ فضولها لامير المؤمنين ، فاخذ عمر ياتي على القطيعة فيسال عنها ، ثم يمسحها ، حتى ضج الناس . فامسك عن ذلك[(٢)] .

وتصحيحا لهذا الخبر ، يقول حسين عطوان[(٣)] : "وقرر يزيد ان يضبط سواد العراق وينظمه لانه لم يمسح منذ مسحه عثمان ابن حنيف في زمن عمر بن الخطاب ، لكن عباس بن هشام الكلبي يزعم انه انما قرر ذلك ليستولي على الأرض التي لا أصحاب لها ثم اورد الخبر الذي اورده البلاذري عن ابن هشام الكلبي ، والذي يفيد امر الخليفة لابن هبيرة بمسح السواد ، واخذ فضول القطائع لأمير المؤمنين[(٤)] . وعلق حسين عطوان على راوي الخبر فقال : "كان هشام بن محمد الكلبي يمني الهوى وكان يميل الى الشيعة ، وكان غير موفق في رواية الاخبار" .

---

= ابن ابيه على العراق وكذلك الحجاج بن يوسف . (انظر : محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الاراضي ، ص ٢٣١ – حسين محمد سليمان : رجال الادارة ، ص ٢٢٤-٢٢٥ – نادية حسني صقر : الطائف ، ص ١٥١) .

(١) خرصه : يتضح انه يقصد قطيعة مفرد قطائع ، ويبدو ان هذا اللفظ جاء من الخرص ، خرص مايخرص من ارض وشجر . اللسان (خرص) .

(٢) محمد نصر الله : نفس المرجع ، ص ٢٣١-٢٣٢ – نجدة خماش الشام في صدر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٣) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٩-٢٠ .

(٤) نفس المرجع ، هامش (٦٤) ، ص ١٩ .

وعلى افتراض صحة الخبر الذى رواه ابن هشام الكلبى ، فالواقع ان رغبة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى الحصول على فضول القطائع فى العراق ، وامره عمر بن هبيرة باخذها ، ليس سببا كافيا لمسح السواد مسحا شاملا ودقيقا .

والغالب ان هناك اسبابا اكبر وراء ذلك . فنرى ان التنظيم الاول لارض السواد فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد اختل ، فتذكر نجدة خماش (١) ان معاوية رضى الله عنه استصفى الصوافى فى الشام والجزيرة والعراق وصيرها لنفسه واقطعها اهل بيته وخاصته ، فلم تعد تابعة لعامة المسلمين وانما اصبحت تحت تصرف الخلافة وصار واردها كل سنة يحمل الى دمشق . ولعل هذا ماحدا بقبائل العراق الى احراق سجل الاراضى (الديوان) اثناء حركة ابن الاشعث فى ولاية الحجاج ابن يوسف ، وادعى كل قوم ملكية مايليهم . كما ان ماتعرضت له الارض الخراجية من بيع وشراء قد اخل بالمساحة الاولى . اذ كانت الارض الخراجية اذا شراها مسلم تحولت الى عشرية ، وهذا مخالف لحكم الشرع فيها (٢) ، ومضر بالخراج ، ومخل

---

(١) الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ . يسند قولها ماأورده البلاذرى ، من أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استصفى الصوافى عندما مسح السواد ، ولم يزل ذلك ثابتا حتى احرق الناس الديوان ايام الحجاج بن يوسف ، فاخذ كل قوم مايليهم . (انظر : فتوح البلدان ،ص ٢٧٢)

(٢) هناك خبر يدل على عدم جواز بيع الارض الخراجية ، فيذكر أن رجلا اشترى ارضا من ارض الخراج ثم اتى عمر ابن الخطاب فاخبره بما فعل ، فقال له عمر : ممن اشتريتها ؟ قال : من اهلها ، قال : فهؤلاء اهلها يعنى المسلمين ، وخاطب عمر الحاضرين من المسلمين :ابعتموه شيئا ؟! قالوا : لا ، قال : فاذهب فاطلب مالك حيث وضعته . (نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى امية [نقلا عن : يحيى بن آدم : الخراج ، ص ٣٩]) . ويذكر فالح حسين : أن يحيى بن آدم ذكر ان لاباس فى شراء ارض الخراج ، بينما أورد الطبرى عن الاوزاعى أن ائمة المسلمين لم =

بالمساحة ، وهذا مادعا الخليفة عمر بن عبد العزيز الى الامر بمنع بيع الارض الخراجية ، وتابعه فى ذلك الخليفة يزيد[1] ، فلما تفشى الامر ولم يستطع الخلفاء ايقاف بيع الارض الخراجية ، امروا باخذ الخراج على رقبة الارض بصرف النظر عن مالكها اكان ذميا او مسلما عكس ماكان عليه الامر اولا[2] .

ولعل الخليفة يزيد اراد اصلاح مااختل من مساحة السواد وتحديد الصوافى وتعيين الاراضى الخراجية والعشرية ، حتى يمنع التلاعب ويكون ذلك عونا على الضبط والدقة فى جباية الاموال .

كما أن ياقوت الحموى[3] وهو يصرف بالسواد ، اشار الى قول لعمر بن عبد العزيز ، يذكر فيه نقص ايراد خراج السواد وخرابه ، وعزمه على زيادة ايراده . وماأظنه عزم الا على استصلاحه واعماره وضبطه بمسح او بغيره . ولاشك ان هذا النقص وذلك الخراب من الاسباب الرئيسية التى دعت الخليفة يزيد الى الاهتمام بالسواد ومسحه .

ولاشك أن مساحة السواد فى عهد الخليفة يزيد قد تمت بشكل دقيق وشامل ، يدل على ذلك تحسن وارد بيت المال من خراج السواد اذ بلغ فى عهده مائة الف الف سوى طعام الجند

---

= يزالوا يكرهون شراء الارض الخراج . (انظر : الحياة الزراعية ، ص ٤٧) . وحيث أن السواد مما افاء به الله على المسلمين واوقفه عمر،فلايجوز بيع ارضه اعتبارا لحكم الوقوف . (انظر / الماوردى : الاحكام ، ص ١٢٨) .

(١) عن امر الخليفة عمر بمنع بيع الارض الخراجية ومتابعة يزيد اياه فى ذلك ، (انظر بعد : الصفحتين التاليتين)

(٢) عن تحول الارض الخراجية الى عشرية أول الأمر ، وتطور الأمر فى ذلك . (انظر : فالح حسين : نفس المرجع ، ص ١٢٦-١٢٧ ـ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، م١/٥٨٧-٥٨٨) .

(٣) معجم ، ٣/٢٧٤ .

وأرزاق المقاتلة[1] . ومما يدل على نجاح هذا المسح استمراره حتى زمن المؤرخ اليعقوبي الذى مات (سنة ٢٨٤هـ) ، اذ يقول "والمساحة التى يؤخذ بها مساحة ابن هبيرة"[2] .

وأما قول اليعقوبي : انه امر باهل الخراج[3] ، فلم نجد مايبرره من خلال ماذكره عن مساحة ابن هبيرة سوى وضع الخراج على النخل والشجر[4] . وهذا فى حد ذاته قد لايكون ضررا وقد يكون ابن هبيرة وجد أن أهل السواد عنوا بالنخيل والشجر لاعفائهم من خراجها وجعلها عونا لهم[5] ، واهملوا المزروعات التى فرض عليها الخراج . مع أن أبا يوسف يورد روايات متعددة تنص بأن عمر بن الخطاب وضع على النخل والشجر خراجا[6] .

فلم يزد الخليفة يزيد عليهم فى الخراج ، الا أن يكون قد اشتد فى جبايته ، أو أن اليعقوبي اراد بذلك الضرر ما اعاده الخليفة يزيد عليهم من ضرائب غير شرعية دفعها عنهم سلفه عمر ، فذلك امر آخر سنشير اليه بعد[7] .

وفى سبيل الحفاظ على ثبات مورد الخراج المالى ، أمضى الخليفة يزيد بن عبد الملك قرار الخليفة عمر بن عبدالعزيز

---

(١) الماوردى : الأحكام ، ص ١٥١ .
(٢) تاريخ اليعقوبي ، ٣١٣/٢ ـ محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضى ، ص ٢٣١-٢٣٢ .
(٣) نفس المصدر والطبعة والجزء والصفحة ـ محمد نصر الله نفس المرجع والصفحات .
(٤) انظر قول اليعقوبي عن مسح السواد فى عهد الخليفة يزيد ومالحق أهل الخراج من ضرر على اثره ، قبل : ص ٥٧٦ .
(٥) ذكر ابويوسف أن عمر القى عن أهل السواد النخل عونا لهم ، (انظر : الخراج ، ص ٩١) .
(٦) انظر تلك الروايات فى كتاب الخراج لأبى يوسف ،ص ٨٧-٩١
(٧) انظر بعد : ص ٥٨٩ ومابعدها .

القاضي بمنع بيع الاراضي الخراجية واعتبار عام ١٠٠هـ عام المدة، فقد اذن لمن كان اشترى قبل ذلك التاريخ بما شراه وليس فيها خراجا ، وانما عليها العشر ، لاختلاط أمرها عليه بما وقع فيها من المواريث ومهور النساء وقضاء الديون فلم يقدر على تخليصه ولامعرفة ذلك ، وامر ان من اشترى شيئا بعد هذه السنة فان بيعه مردود ، فامضى ذلك بقية ولايته . ثم امضاه بعده يزيد وهشام (١) . وكان قد وضع عقابا رادعا فوق رد الأرض الى صاحبها وهو قبض الثمن من المسلم وايداعه بيت المال (٢) .

ومع التزام خلفاء عمر بهذا القرار ، الا ان ذلك لم يمنع من استمرار بيع الأرض الخراجية التى كان أول من سمح بشرائها عبد الملك بن مروان ، مما أدى الى فرض الخراج على الأرض الخراجية بصرف النظر عن المالك (٣) .

ويبدو أن الخليفة يزيد ، قد امضى سياسة عمر فى منع بيع الاراضى الخراجية ، لما فى ذلك من حماية لموارد بيت

---

(١) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، م٥٩٦/١ ـ فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ٤٨ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٨١ .

(٣) عبد العزيز الدورى : العرب والأرض (بحث) ، ص ٢٩ ـ فالح حسين : نفس المرجع ، ص ٤٨، ٥٩ ـ نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٤٨ ـ نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٢٨٤-٢٨٥ . والأصل منع بيع الاراضى الخراجية ، وعمر فى قراره ويزيد ثم هشام فى موافقته متبعين لامبتدعين . انظر ماأوردناه عن رد عمر ابن الخطاب شراء أرض خراجية . وحيث أن الحكام لم يتمكنوا من تطبيق الأصل وهو منع البيع ، حرصوا على أخذ الخراج فى رقبة هذه الأرض وان تحولت بالشراء الى مسلم لأنها فى الأصل خراجية لاعشرية . وقد فرض الخلفاء ذلك فى أواخر العصر الأموى (انظر : فالح حسين : نفس المرجع ، ص ١٢٧) . لكن هناك خبرا أن سياسة فرض الخراج على الأرض الخراجية اذا شراها المسلم تمت منذ زمن الحجاج (فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٢٨٤/١-٢٨٥) .

المال ، يدل على ذلك انه التزم بالشطر الثاني من الامر وهو منع البيع بعد (سنة ١٠٠هـ) ، ولم يلتزم بشطر القرار الاول وهو الاذن لمن اشترى قبل (سنة ١٠٠هـ) وهي الأراضي التي تجاوز عنها عمر لاختلاط امرها خشية الوقوع في الخطا وظلم الناس .

فقد اورد البلاذري [(١)] : ان بالفرات أرضون أسلم عليها اهلها حين دخلها المسلمون وارضون خرجت من ايدي اهلها الى قوم مسلمين بهبات وغيرذلك من اسباب الملك ، فصيرت عشرية وكانت خراجية فردها الحجاج الى الخراج ، ثم ردها عمر بن عبد العزيز الى الصدقة ، ثم ردها عمر بن هبيرة الى الخراج فلما ولى هشام بن عبد الملك رد بعضها الى الصدقة ، ثم ان المهدي العباسي جعلها كلها من اراضي الصدقة .

ورد الأرض الخراجية الى اصلها بعد ان صارت عشرية حق وهذا ما امر به عمر بن عبد العزيز الا ان رد عمر بن هبيرة لهذه الأراضي الخراجية الى اصلها وقد طال الأمد عليها وهي بيد ملاكها الجدد من المسلمين وقد دخل عليها مادخل من رهن او هبة أو مواريث او حقوق أخرى ، سيؤدي بلاشك الى وقوع في الظلم وسلب بعض الناس حقوقهم وكان الأولى اتباع ما امر به عمر .

ولاتمدنا المصادر عن شيء من امر الخراج والجزية في الاقاليم الشرقية للدولة الاسلامية وجبايتها في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ويبدو انه لم يحدث فيها جديد .

---

(١) انظر كتابه : فتوح البلدان ، ص ٣٦١ .

الا ان التمرد الذى قام به الصغد فيما وراء النهر (١) ادى بلاشك الى اضطراب الأمور المالية هناك ، فقد امتنع اهل الصغد عن اداء ماعليهم من الضرائب جزية وخراجا وجاهروا بالعصيان ، كما ان ارتحالهم عن ديارهم الى خجنده ، ادت الى تعطيل انتاج اراضيهم فى تلك الفترة ، فانكسر الخراج وخسرت خزانة خراسان ودار الخلافة كثيرا من الأموال (٢) .

وكما اثر التمرد فى ماوراء النهر على وارد بيت المال فان التحرك الخزرى على الجبهة الأرمينية وغزوهم أملاك المسلمين ، وقيام المسلمين بمواجهتهم (٣) جعل ارمينية ميدانا عسكريا ، واضر بالزراعة وادى بلاشك الى انكسار الخراج واضطراب الأمور المالية .

ورغبة فى زيادة دخل الخراج ، أمر الخليفة يزيد بن عبد الملك - كما سبق أن ذكرنا (٤) - باعادة فرض ضريبة الخراج التى رفعها عمر بن عبد العزيز عن الكنائس والاساقفة فى مصر وقد باشر هذه السياسة فى مصر اسامة بن زيد عامل خراج مصر للخليفة يزيد ، فاشتد على النصارى واوقع بهم . وهذا الأسلوب المتعسف لاسامة بن زيد ليس غريبا ولاجديدا ، فقد كان

---

(١) عن تمرد الصغد فى ماوراء النهر وقضاء المسلمين عليه وماترتب على ذلك من أحداث ونتائج ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٣١٦ ومابعدها ) .

(٢) عن تضرر موارد الدولة المالية بالاضطرابات فى ماوراء النهر وارتحال الصغد ، (انظر : عبد الله الخطيب : الحكم الأموى فى خراسان ، ص ١٢٤-١٢٥) .

(٣) عن غزو الخزر ارمينية وصدهم واحداث ذلك ، (انظر قبل الفصل الرابع ، المبحث الأول ، ص ٥١ ومابعدها ) .

(٤) اوردنا النصوص التى تخبر باعادة يزيد الخراج على الكنائس والاساقفة فى مصر بعد ان رفعها عمر عنهم ، واقتصار هذه الاجراءات على قبط مصر ومناقشتنا لذلك ، (انظر قبل : ص ٥٦٤ ومابعدها ) .

عامل الخراج لسليمان بن عبد الملك فى مصر ، حيث عرف عنه الاشتطاط فى معاملة أهل الذمة ، والشدة فى جباية الخراج والجزية ، وهذا مما دفع عمر بن عبد العزيز الى عزله عندما تولى الخلافة ، وعاقبه بالسجن والترحيل من جند الى جند تشهيرا به (١) .

ويبدو أن سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك فى ضبط الأمور المالية ، واعادة تنظيمها ، والحرص على زيادة موارد بيت المال ، قد شملت اقطار الدولة الاسلامية كلها .

فتشير فاطمة عبد القادر رضوان (٢) أن يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد على افريقية زعم أن بلاد المغرب فىء للأمويين ومغنم فتحوه عنوة بالسيف ، فهو ملك للدولة ، لها أن تقرر ماشاءت من الخراج على أراضيه ، فعاملهم معاملة غير المسلمين البتة ففرض الجزية على رؤوسهم والخراج على أراضيهم (٣) . وكان حسان بن النعمان أمير افريقية (٧٤-٨٥ هـ) ، اعتبر أرضهم مفتوحة صلحا لاعنوة وأجرى عليها حكم ذلك (٤) . وظل الأمر على ذلك حتى ولى افريقية يزيد بن أبى مسلم (٥) .

والحق أننا لم نعثر فى المصادر التى اطلعنا عليها على مايشير الى هذا الرأى لابن أبى مسلم أو تنفيذه . كما

---

(١) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٨ - ماجدة زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١١٩ .

(٢) المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١، ٦٥-٦٦ (نقلا عن : محمد على دبوز : تاريخ المغرب الكبير ، ٢/٢٠١).

(٣) عن سياسة يزيد بن أبى مسلم فى المغرب ، (انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٥٠٦ ومابعدها) .

(٤) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١-٦٢، ٦٥-٦٦ - يوسف حوالة : الحياة العلمية فى افريقية ، ص ١٠٣-١٠٤ وهوامشها .

(٥) فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦١-٦٢ .

ان حكم ارض المغرب وهل فتحت صلحا ام عنوة امر مختلف فيه فقيل : فتحت عنوة ، وقيل صلحا ، وقول ثالث : بانها مختلطة هرب بعضهم عن بعض فمن بقى بيده شىء كان له ، وقول رابع ان ارض المغرب اسلم عليها اهلها ، فهى ملك ايمانهم وهى بذلك عشرية لاخراجية (١).

ويجب الاشارة الى ان الخراج لايسقط عن الارض المفتوحة صلحا فى كل الأحوال وان اسلم اهلها بعد الفتح الا فى حالة واحدة وهى : ان أهل الارض المفتوحة صلحا اشترطوا فى صلحهم ان يستبقوا الارض ملكا لهم لاينزلون عن رقابها للمسلمين ويصالحون عنها بخراج يوضع عليها ، فهذا خراج جزية تؤخذ منهم ماأقاموا على شركهم ويسقط عنهم باسلامهم (٢).

وعلى كل حال فان سياسة يزيد بن ابى مسلم هذه لم يكتب لها التنفيذ ، لأنها كانت مجرد راى وعزم لاعمل ، كما ان مقتل هذا العامل المفاجىء (سنة ١٠٢هـ) بعد ولاية لم يطل امدها ، اوقف هذه السياسة وحال دون تنفيذها (٣).

اما الاندلس وجنوب بلاد الغال ، فان السمح بن مالك الخولانى اثناء حملته (٤) على جنوب بلاد الغال وبعد فتحه اقليم سبتمانية فى خلافة يزيد بن عبد الملك قد قام بتنظيم حكومة

---

(١) عن حكم ارض المغرب ، (انظر : فاطمة عبد القادر رضوان المغرب فى عصر الولاة الامويين ، ص ٦١-٦٣) .
(٢) عن انواع أرض الخراج ومايجب فيها ، (انظر : الماوردى الأحكام ، ص ١٢٨-١٢٩) .
(٣) عن مقتله ومدة ولايته ، (انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٥١٣-٥١٦) .
(٤) عن حملة السمح على جنوب بلاد الغال ، وفتحه سبتمانية واقامته الحكومة الاسلامية فيها ، (انظر قبل : الفصل الرابع ، المبحث الرابع ، ص ٣٩١ ومابعدها) .

اسلامية فى هذا الاقليم ، ونظم الأمور المالية هناك فوضع الجزية على اهل الذمة ، ووزع الأراضى بين الفاتحين واهلها ـ ولاشك انه وضع الخراج على رقابها ـ ونظم امورها [(١)] .

ولاشك أن السمح بن مالك قد طبق على اهل تلك البلاد وأراضيهم حكم الشرع الاسلامى من حيث الجزية والخراج مراعيا فى ذلك طبيعة فتح كل منطقة على أساس فتحها عنوة أو صلحا . اما ماذكر من توزيع الاراضى بين الفاتحين واهلها ، فيبدو ان السمح قد وزع على بعض جنده ما استصفاه من اراضى الصوافى [(٢)] لا الارض الخراجية .

ويبدو أن السمح لم يتم تنظيم أمر الأندلس ومسح أراضيه وتمييزها وضبط خراجه ، وتخميسه ، وهى المهمة التى اوكل بتنفيذها ابان ولايته على الأندلس زمن عمر بن عبد العزيز وبأمره ، وقد باشر المهمة معه مولى لعمر يدعى جابر [(٣)] . ولعل الرجلين كفا عن العمل فى ذلك بموت عمر وتولى

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٨١ . وانظر قبل ص ٣٩٧ .

(٢) الصوافى : جمع صافية ، وقد اطلق اللفظ فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الأراضى التى استصفاها اى أصبحت خالصة له كما فى فدك وخيبر وبنى النضير التى كانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
واصطلاحا : هى الأرض التى اصبحت بعد الفتح لامالك لها باعتبارها كانت للحاكم او الدولة او مرافقها او لمن هرب أو قتل اثناء الفتح من الحكام وذويهم وبطانتهم والنبلاء أو من سائر الناس ، او لم يكن لها مالك عند الفتح ، او الاجام ومغيض الماء وبيوت النار ، او صوافى الملوك السابقين ، وهى أرض خراجية . (انظر / أحمد عبد الله خياط : الاقطاع فى الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسى الأول ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، مقدمة لكلية الشريعة قسم التاريخ ، جامعة الملك عبدالعزيز ، فرع مكة ، ١٤٠٠-١٤٠١هـ/١٩٨٠-١٩٨١م ص ١٢٨-١٣١ ـ فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ٤٩ ـ عبد العزيز الدورى : العرب والأرض (بحث) ، ص ٢٨ ـ ثابت الراوى : العراق ، ص ٧١) .

(٣) عن تنظيمات السمح بن مالك اثناء ولايته على الاندلس فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، (انظر قبل : المبحث الأول ، ص ٣٨٩-٣٩٠) .

يزيد بن عبد الملك . لذا نجد مايشير الى أن خليفة السمح فى ولاية الاندلس زمن الخليفة يزيد وهو عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣ - ١٠٧هـ) ، قد قام بتنظيم الخراج وتوزيع الاراضى ، ويتضح ان عمله هذا كان اتماما لما بداه السمح . فقد اورد شكيب ارسلان : "ان اول عمل قام به عنبسة هو تنظيم الخراج وتقسيم الاراضى بين المسلمين بدون تجاوز على الاراضى التى لها ملاك اصليون من الاهالى ، فكان يستوفى العشر من الذين خضعوا لدولة العرب من انفسهم ، ويستوفى الخمس ممن لم يخضعوا الا بالسيف" (١) .

ويفهم من النص انه نظم الخراج اى قدره وميز اراضيه وهيا لضبطه وجبايته ، كما وزع الاراضى التى ليس لها ملاك اصليون من الاهالى وهو يعنى بها الصوافى ، وهذا القول يسند ماذهبنا اليه من قبل فى توزيع السمح للاراضى . اما العشر والخمس فتلك/هى المقادير التى فرضها . ولاشك ان هذا التنظيم لأرض الاندلس وجنوب بلاد الغال ومالية هذا الاقليم من الدولة الاسلامية قد استلزم وجود بيت مال وعمال خراج وجباة (٢) .

---

(١) غزوات العرب ، ص ١١٢ .

(٢) افترض انشاء ديوان لضبط الامور المالية فى الاندلس اثناء هذا التنظيم الذى بداه السمح ، فرج الهونى (انظر كتابه : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٩) لكنه لم يسند هذا الافتراض باى قرينة . ونجد عكس قوله على لسان حسين مؤنس الذى ذكر ، أن المراجع لم تمنه على كيفية التنظيم الذى اتبعه المسلمون فى الاندلس ، وأبدى انه لايعلم أن المسلمين هناك قد دونوا للاندلس ديوانا ، ولاماكان يرسل لدار الخلافة من امواله ولو لسنة واحدة (انظر كتابه : فجر الاندلس ، ص١٣٧-١٣٩، ٦١٠) . والواقع أن من المنطق أن يكون المسلمون قد دونوا للاندلس منذ فتحه ديوانا شانه شان بقية اجزاء الدولة الاسلامية ، وان كان قد تاخر تنظيم أراضيه وتخميسه وضبط خراجه ، فلاشك ان المسلمين قد جبوا الجزية ممن ظل على دينه من بعد الفتح واخذوا الخراج=

وغالبا سيكون المسلمون هناك قد تركوا امر جمع الاموال فى الاقاليم للزعماء المحليين من اهل البلاد ، وهؤلاء يقدمونها للجباة او يوصلونها لبيت المال ، كما كان ديدن المسلمين فى معظم الاقطار التى فتحوها .

---

= من أراضيه ، وجبوا الزكاة والعشور ، فاين كانت تجمع وكيف كانت تجبى . ولقد وجدنا خبرا يدل على وجود بيت مال في الاندلس زمن عنبسة الكلبى فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، اذ يشير الى ان بعض أهل الشام فى الاندلس عادوا الى الشام اثناء حركة شيريم اليهودى فى سوريا فضبط عنبسة الاملاك التى تركوها وحولها لبيت المال . (انظر نص الخبر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الثالث ص ٢٥٠-٢٥١) . ومن ناحية أخرى فقد أورد عصام الدين عبد الرؤوف : "انه كان يرد الى دمشق من الاندلس فى العهد الاموى ثلاثمائة الف دينار فى كل سنة" . (انظر : الحواضر ، ص ٦٨-٦٩ [نقلا عن المقرى : نفح ، ١/١٤٠]) كما أن من المراجع ما اشار الى تنظيمات المسلمين المالية فى الاندلس لاكما يقول حسين مؤنس ، (انظر من اجل ذلك : محمد عنان : دولة الاسلام ، ص ٧٤-٧٥ ـ شكيب أرسلان : غزوات العرب ، ص ٢٩١) . ولم نذكر هذه التنظيمات لعمومها وعدم خصوصيتها لفترة البحث ، ومن أجل تنظيمات المسلمين زمن يزيد انظر ماأوردناه فى الصفحتين السابقتين وهوامشهما .

**الضـرائـب :**

يتضح ان الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يكن يزن الأمور بميزان شرع الاسلام فى كل الأحوال ، فبينما كنا نرى الخليفة عمر بن عبد العزيز فى اصلاحاته التى قام بها فى مناحى الحياة المختلفة ، يعمد الى ما وافق الشرع وجرت به السنة فيتبعه ، ويرد كلما ابتدع وخالف حكم الاسلام . ولذلك كان له دور مميز فى رد المظالم (١) . فاننا نرى على النقيض من ذلك الخليفة يزيد وبخاصة فى أمر الضرائب . فقد عمد الخليفة يزيد الى كثير مما أبطله الخليفة عمر من الضرائب المستحدثة والغير شرعية (٢) ، فأمر باعادة فرضه وجبايته ، كما كان يُجبى قبل عمر ، بل ووضع ضرائب جديدة .

وليس لهذه السياسة من تفسير سوى الرغبة فى زيادة واردات الدولة المالية وتحصيل اكبر قدر ممكن من الأموال بصرف النظر عن شرعية هذا العمل ، وآثار ذلك على المدى البعيد .

ومن ذلك أمره برد الضريبة التى فرضها محمد بن يوسف

---

(١) عن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز فى رد المظالم ، (انظر : ماجدة زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم) .

(٢) الضرائب غير الشرعية : هى تلك الأموال التى فرضها الحكام المسلمين على أهل البلاد المفتوحة ، ولم يكن لها أصل فى الكتاب والسنة ، مقلدين بذلك الفرس والبيزنطيين ، ومدفوعين فى ذلك الى جمع الأموال وزيادة الموارد . كذلك التى اعتاد أهل تلك البلاد تقديمها وادائها الى حكامهم ، وما استحدث فرضه على الزراعة والصناعة والتجارة . (انظر : ثابت الراوى : العراق ، ص ٧٥-٧٧) . وانظر هامش(٣) ص ٥٤٧ .

الثقفي[1] على أهل اليمن ، بعد أن ألغاها عمر بن عبد العزيز .

يقول البلاذري في ذلك[2] : "لما ولى محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف اليمن ، أساء السيرة ، وظلم الرعية ، واخذ أراضي الناس بغير حقها ، فكان مما اغتصبه الحرجة ، قال : وضرب على أهل اليمن خراجا[3] جعله وظيفة عليهم ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله[4] يأمره بالغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر ، وقال : "والله لأن تأتيني من اليمن حفنة كتم احب الى من اقرار هذه الوظيفة ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك أمر بردها" . واضاف ابن الاثير[5] الذى أورد ذلك قوله : وقال لعامله - يعني يزيد - : "خذها منهم ولو صاروا حرضا والسلام" .

والخبر لايبين قدر هذه الضريبة التى فرضت على أهل اليمن ، الا أن من الواضح أنها لم تكن قليلة ، نستشف ذلك من حرص الخليفة يزيد عليها ، دون مراعاة لحالة الناس

---

(١) محمد بن يوسف الثقفي ، أخ الحجاج ، أمير استعمله الحجاج على صنعاء ، ثم ضم اليه الجند ، فلم يزل واليا عليهما الى أن توفى . قال الخزرجي : جمع المجذومين بصنعاء وجمع لهم الحطب ليحرقهم ، فمات قبل ذلك . ومن كلام عمر بن عبد العزيز ، فى خلافة الوليد : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، واخوه باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جورا . (الزركلي : الأعلام ، ١٤٧/٧) .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٨٤ - وانظر قبل : ص ٥٤٦-٥٤٧ .

(٣) يقصد بالخراج هنا الضريبة ، لأن أهل اليمن لاخراج عليهم ، فهم ممن أسلموا على أرضهم ، والمسلمون ليس عليهم فى أموالهم الا العشور ، يسند قولنا ، أمر عمر فى نفس النص ، بالاقتصار على العشر. عن حكم الأراضي التي اسلم عليها أهلها ، انظر الماوردي (انظر الأحكام ، ص ١٢٨)

(٤) كان عامل عمر على اليمن عروة بن محمد السعدى . (انظر ابن خياط : تاريخ ابن خياط ، ص ٣٢٣) .

(٥) الكامل ، ٦٦/٤ - وانظر ايضا : ابن خلدون : العبر ، ٧٦/٣ - حسين سليمان : رجال الادارة ، ص ٢٣١ .

وطاقتهم ، فأمره صريح : "خذها منهم ولو صاروا حرضا"(١) .
وهذا يتوافق مع سياسته المعلنة في بداية خلافته والذى تضمنها كتابه الى عمال عمر ، والذى أمرهم فيه الى ترك سياسة عمر والعودة بالناس الى سياسة اسلافه من بني امية قبل عمر ، دون النظر الى حال الناس وقدرتهم على الأداء ، عندما قال : "... وأعيدوا الناس الى طبقتهم الأولى ، اخصبوا ام اجدبوا ، احبوا ام كرهوا ، حيوا أم ماتوا"(٢) .

واعاد من الضرائب التي الغاها عمر بن عبد العزيز ، تلك الضرائب التي فرضها بنو امية على أهل السواد واهالي الاقاليم الشرقية ، والتي اعتاد أهل هذه الاقاليم تقديمها الى حكامهم الفرس قبل الاسلام ، فلما فتح المسلمون تلك المناطق قدموها للمسلمين كعادتهم ، فابوها ، ثم اخذها عمال عثمان رضي الله عنه ، وقد حاول منع ذلك ولكن لم يتمكن ، واستمر الولاة في اخذها وجمعها مع الخراج حتى قامت الدولة الاموية ، فأمر الخليفة معاوية رضي الله عنه بجبايتها ، فغدت ضريبة واجب اداؤها الى جانب الخراج(٣) .

وظل بنو امية يجبون هذه الضرائب حتى تولى الخلافة عمر

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، ١٦٦/٤ .
(٢) انظر نص كتابه كاملا قبل : ص ٥٤٨ .
(٣) عن الضرائب المستحدثة وبداية جبايتها وفرضها على أهل السواد والاقاليم الشرقية . (انظر : فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٤ ـ ماجدة فيصل زكريا: عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، ص ١٩٣-١٩٦ ـ محمد كرد علي : الادارة الاسلامية في عز العرب ، ص ٩٨ ، ـ توفيق اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ١٣٨-١٣٩ .

ابن عبد العزيز ، فاسقط هذه الضرائب(١) وامر بابطالها جميعا(٢) فلما تولى يزيد بن عبد الملك ، امر باعادتها ، اذ يقول اليعقوبي(٣) عند ذكره كتاب يزيد الى عمر بن هبيرة بمسح السواد : "واعاد السخر(٤) والهدايا(٥) ، وماكان يؤخذ في النيروز(٦) والمهرجان(٧)" .

---

(١) من الضرائب التي أمر عمر بن عبد العزيز بالغائها : الآيين واجور الفيوج ، واجور البيوت ، واجور الضرابين وهدية النيروز والمهرجان ، وثمن الصحف ، ودراهم النكاح ، كما ابطل المائدة والسخر . عن هذه الضرائب انظر : توفيق اليوزبكي : تاريخ اهل الذمة ، ص ١٤٤ – اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٦/٢ – نادية صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٢ – محمد علي نصر الله: تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ٢٣١-٢٣٢ – عمر ابو النصر: الأيام الأخيرة ، ص ١٠٥ .

(٢) توفيق اليوزبكي : نفس المرجع والصفحة – نادية صقر : نفس المرجع والصفحة .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٣ – وانظر : محمد نصر الله نفس المرجع والصفحات .

(٤) السخر : أوالسخرة من التسخير ، والمقصود : تسخير بعض الناس وتكليفه من الاعمال مالايريدون بلاأجر ولاثمن قهرا فكل مقهور مدبر لايملك لنفسه مايخلصه من القهر فذلك مسخر . ويبدو أن المقصود هنا : تسخير أهل البلاد المفتوحة في استصلاح الأراضي ووسائل الري والطرق . انظر : اللسان (سخر) .

(٥) الهدايا : كل مايهدى للحكام ، واشهرها هدايا النيروز والمهرجان .

(٦) النوروز : اهم الأعياد عند المجوس ، ومعناه اليوم الجديد ، ويكون يوم الاعتدال الربيعي ، وهو يوم رأس السنة ، ويعتبر من اكبر الاعياد الدينية والشعبية . وقد حفظ بعض خصائص (الزجموك) الذي هو عيد البابليين القدماء . ويبدو انه عيد عالمي كان الصابئة يحتفلون به، وكذلك اقباط مصر . ويدوم هذا العيد ستة ايام . (انظر : توفيق اليوزبكي : نفس المرجع ، ص ٢٩٧-٢٩٨ . وبه تفصيلات اخرى عن هذا العيد) .

(٧) المهرجان : عيد كبير عند الفرس ، يوافق اول الشتاء ، وفي الأصل يسمى عيد مشرا (مبشرا)، يحتفل به (١٦ من شهر مهر) شهر تموز الفرس، الموافق السادس والعشرين من تشرين الاول ، بينه وبين النوروز (١٦٧ يوما) ، ومدته ستة أيام ، ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الاكبر ، وهو شبيه بالنوروز من حيث الاحتفالات وتقديم الهدايا للملوك ، وفيه كما في عيد النوروز يوما يجلس فيه الملك للناس لايرد عنه احد . (توفيق اليوزبكي : نفس المرجع ، ص ٢٩٨-٢٩٩) .

ولم يقف يزيد عند حد اعادة الضرائب القديمة ، بل استحدث اخرى جديدة فيقول اليعقوبي ايضا [(١)] : "ووضع على التانئة " وهي ضريبة بدل خدمة عسكرية كما يبدو ، وضعت على مسلمي البلاد المفتوحة الذين لايشاركون في الفتح [(٢)] .

والحقيقة أن القول باعادة يزيد بن عبد الملك هذه الضرائب على أهل البلاد المفتوحة ، لم يرد الا عند المؤرخ اليعقوبي ـ وهو المعروف بتشيعه ـ ومع ذلك فاننا نقبله ونأخذ به لموافقته السياسة المالية العامة للخليفة يزيد ، والتي بين معالمها في كتابه الذي بعث به الى عماله بترك سياسة عمر والعودة الى سياسة من سبقه من خلفاء بني أمية ، والنص على مثيله من الضرائب،كالأمر الصريح باعادة الضريبة التي فرضها محمد بن يوسف على أهل اليمن .

ويظهر أن ضرائب من هذا النوع قد فرضت في الأقاليم الشرقية وخاصة في بلاد ماوراء النهر الزراعية . اذ يقول عبد الله الخطيب في ذلك نقلا عن المؤرخ الروسي فاديروفا [(٣)] : "أن السلطة اخذت ترغم الفلاحين ـ يعني فيما وراء النهر ـ على دفع مبالغ كبيرة من المال كضرائب ، وعلى الأخص مطالبتهم بتسديد الضرائب التي كانوا يسددونها عملا وبشكل نقود ، فكانت الضرائب فيما وراء النهر على ثلاثة اشكال ، وتجمع في آن واحد ، عمل ، وبضاعة ، ونقود ، وكانت هذه الضرائب تستحصل بوسائل قاسية حتى وصل الحال بوالي خراسان

---

(١) تاريخ اليعقوبي ، ٢/٣٠٦ .
(٢) انظر ماذكرناه حول التعريف بها قبل : هامش ص ٥٧٦ .
(٣) الحكم الأموي في خراسان ، ص ١٢٣ .

سعيد خذينة ان يهدد اهل سمرقند ونواحيها بقطع الماء عنهم " .

ويبدو ان العمل الذى أشار اليه يعنى السخرة ، فهو يقول فى مكان آخر : "وكان ينبغى على الفلاحين العمل مجانا فى اوقات معينة من السنة لصيانة منشآت الارواء هذه " (١) . أما البضاعة ، فلانعلم ضريبة تلى كبضاعة ، ولكن قد يكون القصد مايأخذه المسلمون من العروض مقابل الجزية او بعضها ، اومايفرض احيانا من الرزق العينى كجزء من الصلح مع المبالغ النقدية او لعلها عشور التجارة التى تفرض على الثغور بشكل عينى او نقدى . وللحقيقة فان المصادر الاسلامية لم تشر الى شيء من هذه الضرائب فى خراسان وماوراء النهر ، زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وليس هذا من باب النفى لفرضها ، فمن الراجح تطبيق السياسة الضرائبية فى العراق على أهالى خراسان وماوراء النهر لتبعيتها لامارة العراق .

اما الشام فليس هناك اى روايات تشير الى فرض أى نوع من الضرائب الغير شرعية على اهله خلال العصر الأموى (٢) . ولعل هذا مما نعم به اهل الشام بحكم وجود دار الخلافة واهلها بين ظهرانيهم ، ومساندتهم لسلطة بنى أمية التى وهبتهم كثيرا من المكاسب ، ورفعت شان اقليمهم .

اما فى مصر فيشير محمد أمين صالح نقلا عن المؤرخ القبطى ساويرس بن المقفع (٣) ما استحدث على اقباطها من ضرائب

---

(١) عبد الله الخطيب : الحكم الأموى فى خراسان ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

(٣) دراسات اقتصادية ، ص ١٢٣، ١٩٠ — وانظر عن هذه الضرائب ايضا : سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٩٨-٢٠٠ — ترتون : أهل الذمة ، ص ٢٢٩-٢٣٠، ١٣٦ .

منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فيذكر ان الكنيسة خضعت لضرائب مستحدثة بمثابة التزامات مالية على اساقفة الكور ، فالزم كل منهم باداء الفى دينار سنويا علاوة على خراج ارض الكنيسة ، كما الزم البطريق بدفع ثلاثة آلاف دينار (١) ويقول : "واشتدت وطاة هذه الضرائب فى خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦ - ٩٩هـ/٧١٥ - ٧١٧م ويزيد بن عبد الملك ١٠١ - ١٠٥هـ/٧٢٠ - ٧٢٤م " (٢) .

وهذا القول يعنى أن الخليفة يزيد اعاد فرض تلك الضرائب واشتد فى جبايتها ، لان عمر بن عبد العزيز كان قد امر بالغائها (٣) .

والحق اننا لم نعثر على نص صريح يفيد اعادة يزيد لتلك الضرائب المستحدثة ، والنص الوحيد الذى اورده ساويرس ابن المقفع (٤) عن اعادة يزيد مارفعه عمر عن البيع والكنائس ، كان قد نص على اعادة الخراج ، ولم يشر الى اعادة الضرائب او التشدد فيها كما قال محمد امين صالح (٥) الذى اعتمد فى قوله على ساويرس بن المقفع . الا ان روح النص يحتمل ذلك ، اذ يقول بعد ان ذكر اعادته الخراج على البيع والكنائس

---

(١) تشير نجدة خماش ان قرة بن شريك فرض ضريبة مائة الف دينار سوى خراج مصر المعروف غير ماذكر اعلاه . (انظر الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٦٣-٢٦٤ - وانظر ايضا : ترتون : اهل الذمة ، ص ٢٣٠-٢٣١) .

(٢) محمد امين صالح : دراسات اقتصادية ، ص ١٢٣ .

(٣) عن ابطال عمر بن عبد العزيز الجبايات التى فرضت على اهل الذمة فى مصر ، (انظر : سيدة كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ١٧٩ - نادية صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز ، ص ٥٣ - عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى ، ص ١٢٨) .

(٤) انظر نص الخبر قبل : ص ٥٦٤ .

(٥) انظر ماأورده محمد امين صالح فى الصفحة السابقة .

مانصه : "وحمل على الناس ثقلا عظيما حتى فاق كل من فى بلاده"(١) . ومع ذلك فاننا لانستطيع الجزم باعادة تلك الضرائب على هذا النحو الذى ذكره المؤرخ القبطى ساويرس بن المقفع وان كانت جبايتها زمن الخليفة يزيد يظل امرا مرجحا لتمشى ذلك مع السياسة العامة له فى هذا الصدد .

ويشير فرج الهونى(٢) أن يزيد بن أبى مسلم عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على افريقية ، طبق فى الأندلس نفس السياسة التى اتبعها فى افريقية لتبعيتها له ، فاعاد جميع الضرائب التى الغاها عمر بن عبد العزيز ، وفرض عليهم ضرائب جديدة تماثل تلك التى فرضها محمد بن يوسف فى اليمن .

لكن هذا الخبر لم أجده فى المصادر التى تيسر لى الاطلاع عليها ، وبالرجوع الى مصدر هذا الخبر الذى نقله الهونى ، وجدته قد بالغ فى الخبر ، فلم يذكر سيد أمير على الا فرض الضرائب التى اخذها محمد بن يوسف من اهل اليمن على أهل الأندلس . الا أن سيد امير على لم يوثق هذه الحقيقة ، فلم يكن لنا بد من ردها وعدم الاعتماد عليها .

ويذكر شكيب ارسلان(٣) انواعا من الضرائب كان المسلمون ياخذونها من اهالى الأندلس وجنوب بلاد الغال من السابلة على

---

(١) ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، ص ١٥٣ .
(٢) النظم الادارية والمالية ، ص ٢٥٨-٢٥٩ . (نقلا عن : سيد امير على : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٣٤) .
(٣) غزوات العرب ، ص ٢٨٨-٢٩١ .

المرور (١)، ومن المزارعين على محمولاتهم الزراعية (٢)، وعلى الكنائس والاديرة (٣). كما اشار الى وضع العشور على التجارة في الاندلس، ربع العشر على المسلم، ونصف العشر على الذمي. لكنه لم يحدد الفترة التي فرضت فيها هذه الضرائب ولكنه تحدث عنها عند الفتوح الأولى لبلاد الغال اي في عصر الولاه في الاندلس، الذي يمثل عهد يزيد جزءا منه.

---

(١) يبدو ان المقصود بذلك المكوس وهي الضرائب التي تفرض على التجارة في المنافذ اثناء الانتقال بين الاقاليم. او للداخل الى الديار الاسلامية من التجار القادمين من ديار الكفر.

(٢) يتضح ان المقصود بذلك الخراج او الزكاة. وهما ضريبتان شرعيتان.

(٣) قال ان على كل كنيسة ضريبة قدرها خمس وعشرون قطعة فضية وعلى كل دير دفع خمسين قطعة، أما الكنائس العظمى فكانت تدفع مائة قطعة. (انظر: غزوات العرب ص ٢٩٠).

**العطاء :**

وفى مجال العطاء يتضح لنا من خلال المعلومات القليلة التى وقعنا عليها ، أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، سخر العطاء فى خدمة أهدافه السياسية العامة ، متأثرا فى ذلك بظروف الدولة فى عهده ، وتكوين شخصيته ، فلم يلتزم بالقاعدة التى اتخذها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فى توزيع العطاء [(١)] . ولم يتبع نهج سلفه عمر بن عبد العزيز ، الذى عمل على تقديم العطاء لمستحقيه وتوزيعه بين الناس على أساس من الحق والعدل ، بعد أن خرج بنو أمية قبله عن سيرة الخلفاء الراشدين فى ذلك [(٢)] .

والخليفة يزيد بهذا الأسلوب يعود الى سياسة أسلافه من بنى أمية قبل عمر ، الذين لم يكن لهم سياسة ثابتة فى توزيع العطاء .

---

(١) كانت طريقة الخليفة أبى بكر فى توزيع العطاء ، المساواة فى القسمة بين الناس ، السابقين والمتأخرين فى الاسلام ، والكبير والصغير ، والحر والمملوك ، والذكر والأنثى ، أما عمر فاتبع طريق المفاضلة بين الناس حسب السبق الى الاسلام وحسن الأثر فيه ، لكنه شمل به الناس جميعا حتى المواليد ، وفرض للموالى كالعرب (فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٧٩-٨٠، ٨٨-٩٦ — ولمعلومات أوفى وأشمل : انظر أيضا / الماوردى : الأحكام ، ص ١٧٢-١٧٥ — عبد العزيز عبد الله السلومى : ديوان الجند ، ص ٩٢-٩٣، ١١٠-١٤٢ .

(٢) أمر عمر بن عبد العزيز بالتسوية بين الناس فى العطاء، وجعل العرب والموالى فى الرزق والكسوة والعطاء سواء، فألغى سياسة من سبقه من بنى أمية فى تفضيل العرب وحرمان الموالى من العطاء ، فساوى بين الناس فى فرض العطاء ، لكنه أوجد فروقا فى توزيعه . وحرم بعض الناس لعلات يرى الأخذ بها من باب العدالة . (عن تفاصيل ذلك ، انظر / ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته فى رد المظالم ، ص ١٥٤-١٥٩) .

فقد عمدوا الى تضييق دائرته تارة ، والى ايقافه اخرى ، واسقطوا من الديوان من شاءوا وفرضوا لآخرين ، وزادوا فيه ونقصوا . فكان ذلك مثار شكوى الكثير من المسلمين ، باعتبار ان العطاء حق للمسلم لايجوز للامام حجبه وان اموال العطاء مما افاء الله به على المسلمين . (١)

فينقل وفيق الدقدوقي مايشير الى ان ظروف الدولة (٢) العسكرية وماعاشته في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك من حركات داخلية كحركة ابن المهلب ، واضطرابات في بعض المناطق الواقعة على الحدود كتمرد الصغد ، وغزو من بعض القوى على اطراف الدولة كغزو الخزر ارمينية ، قد دعت الى تقديم العطاء لثلاثة آلاف رجل ليكونوا قوة احتياطية يعتمد اليها وقت الحاجة ، فيقول : "وخصص يزيد الثاني رواتب لثلاثة آلاف رجل في عمان (٣) ليكونوا على استعداد للخدمة عند استدعائهم " .

ويتبين ان الخليفة يزيد بن عبد الملك كان مهتما بجيشه كثيرا ، فكما رأينا اهتمامه بوجود قوة عسكرية احتياطية يلجأ اليها وقت الحاجة ، نراه شديد الحرص على

---

(١) عن سياسة بني امية في العطاء ، (انظر : فرج الهوني : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ـ عبد العزيز السلومي : ديوان الجند ، ص ١٤٩-١٧١ ـ خالد جاسم الجنابي : تنظيمات الجيش العربي ، ص ٩٢،٩٥-٩٧ ـ وفيق الدقدوقي :الجندية ، ص ١٩١-١٩٧) .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٩٥ .

(٣) لم تضبط الكلمة في النص ،والراجح انها عمان من ارض الاردن ، لاعمان . اذ ان اهل عمان غالبيتهم من الأزد ، قبيلة يزيد بن المهلب الذي خرج على الخلافة الأموية مطلع خلافة يزيد بن عبد الملك ، فليس من المعقول اعتماده عليهم بعد ذلك ، خصوصا انهم ممن شايع ابن المهلب وانضم اليه .

رضى قواته ودوام ولائها . فيشير خالد الجنابى[1] ان الخليفة يزيد امر أن يوزع العطاء ويعطى الناس ارزاقهم فى موعده المحدد دون تاخير ودون انتظار امره بذلك ، فيقول : "فقد قال يزيد بن عبد الملك لاسامة بن زيد كاتبه على ديوان الجند اذا رأيت هلال المحرم فصك بالعطاء من غير مؤامرة، واعط الناس ارزاقهم من غير مراجعة" فقد كان موعد صرف العطاء والرزق اول السنة فى شهر المحرم ، وكان التاخر فى صرفه يثير على الخلفاء والعمال مشاكل جمة .

ويلاحظ تقرب يزيد للعلماء ، فنجده يجرى على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارا[2] . ولعل ذلك من باب رد الجميل لرجاء الذى اشار على الخليفة سليمان بن عبد الملك بالعهد ليزيد بعد عمر بن عبد العزيز .

وكان لتكوين شخصية الخليفة يزيد ، اثر واضح فى منح العطاء ، من ذلك ماأورده ابن قتيبة الدينورى[3] ، من أن يزيد ابن عبد الملك أمر عامل المدينة باثبات ذوى عاشق وعشيقته فى شرف العطاء ، تعاطفا معهم ، بعد ماحالت الاعراف دون زواجهما من بعض ، فماتا كمدا وصبابة .

ويتضح أيضا أن يزيد تاثر بموقف القبائل اليمنية المناوىء ، عندما ناصرت الخارج على دولته يزيد بن المهلب[4]، فانضمت الى حركته بالعراق وحاربت جيوش الدولة معه ، فاتخذ اجراء انتقاميا منهم ، بتفضيل قيس عليهم فى العطاء .

---

(١) خالد الجنابى : تنظيمات الجيش العربى ، ص ٩٣-٩٤ .
(٢) ثريا حافظ عرفة : الخرسانيون ، ص ١٠٦-١٠٧ .
(٣) عيون الأخبار ، ص ١٢٨-١٣٠ .
(٤) انظر موقف اليمنية من حركة ابن المهلب ومناصرتهم اياه قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٤٨ ومابعدها .

فيقول عماد الدين خليل في هذا الشان[١] : "بل ان يزيد اتخذ اجراء خطيرا بهذا الصدد ـ يعني تعصبه للقيسية ـ وذلك بانقاصه عطاء اليمانية وجعله نصف عطاء المضرية مما ادى الى حدوث اضطراب في الشام نفسه " .

وان صحت رواية هذا الخبر فاننا نرى ان هذا الاجراء اقتصر على مضرية العراق ويمنيته ، فان من المعروف ان يمنية الشام قد قامت بالدور الرئيسي في القضاء على حركة ابن المهلب في العراق ، وان يمنية العراق هي التي انضمت الى ابن المهلب في ثورته ، فاذا كان الخليفة يزيد قد انقص عطاء اليمانية في العراق فانما كان بسبب انضمامهم لخصمه ابن المهلب ومناصرته . كما اننا لم نعثر على مايدل على هذا الاجراء في مصادرنا الاسلامية ، بل انها قد اشارت ان يزيد اكتفى بالقضاء على حركة ابن المهلب وآله ، ولم يعرض لأهل العراق[٢] .

وقولنا هذا جاء مما عرف من تقديم بني امية أهل الشام وتفضيلهم ، حتى ان اليعقوبي[٣] يشير الى ان عمر بن عبد العزيز زاد أهل الشام في أعطياتهم عشرة دنانير ، ولم يفعل ذلك مع أهل العراق . وكان انقاص عطاء العراقيين أو منعه سياسة سار عليها أكثر خلفاء بني امية[٤] .

---

(١) دراسة مقارنة (بحث) ، ص ٢٩١ (نقلا عن / عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ط٣ ، بيروت ٢٧٢/٢-٢٧٣) .
(٢) انظر ذلك قبل : الباب الاول ، حركة ابن المهلب .
(٣) تاريخ اليعقوبي ، ٣٠٦/٢ ـ وانظر ايضا : ثابت الراوي، العراق ، ص ١٦٩ .
(٤) ثابت الراوي : نفس المرجع ، ص ١٠٠ .

ولانخفي شكنا في تفضيل عمر أهل الشام على أهل العراق في العطاء ، لما عرف عنه من عدل ، وسمو بالخلافة فوق مستوى الحزازات والتعصبات العرقية والاقليمية . الى جانب ماذكر من أنه قد زاد في أعطيات الناس كافة عشرة عشرة العربي والمولى سواء (١).

وقد أمر الخليفة يزيد بمنع الزيادة التي كان عمر بن عبد العزيز قد أمر بها لأهل الديوان بمصر في العطاء (٢). وليس لتصرفه هذا من معنى سوى محاولته تخفيض المصروفات ، وتوفير اكبر قدر من الأموال ، بصرف النظر عن مبدأ المساواة والحق كما أن هذا الاجراء ينبيء عن حرمان الموالي من العطاء مع اسلامهم وحقهم في ذلك ، وهو يعود بهم من خلاله الى ماكانوا عليه قبل عمر بن عبد العزيز .

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ١٠٧ .

(٢) الكندي : الولاه ، ص ٧٠ - ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٢٤٤/١ - سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٦٨-٦٩ . وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز ، قد أمر بالحاق خمسة آلاف من مسلمي مصر ،وزاد في فريضة الجند في ولاية أيوب بن شرحبيل (٩٩-١٠١هـ) . (انظر / الكندي نفس المصدر ، ص ٦٨-٦٩ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٥٥) .

## الاقطـــاع :(١)

عـاود الخليفة يزيد بن عبد الملك سياسة أسلافه من بنى أميـة ، باسـتغلال اراضـى الصـوافى لمصالحـه الشخصية وخدمة اغراضه السياسية ، باتخاذها قطائع له ، والاقطاع منها لبعض آله ورجال دولته .(٢)

فينقـل البـلاذرى(٣) : أن الخليفة يزيد بن عبد الملك كتب الـى عاملـه عـلى العـراق عمـر بـن هبيرة ، انه ليست لأمير المـؤمنين بـارض العرب خرصه ، فسر على القطائع فخذ فضولها لأمـير المـؤمنين . فجـعل عمـر ياتى القطيعة فيسال عنها ثم يمسحها حـتى وقف على ارض ، فقال : لمن هذه ؟ فقال صاحبها لى ، فقال : ومن اين هى لك فقال :

ورثناهن عن آبـاء صدق ويورثها اذا متنا بنينا

قال : ثم ان النـاس ضجوا من ذلك ، فامسك . وهذا الخبر فيـه اشارة الى رغبة الخليفة فى اختصاص نفسه ببعض القطائع

---

(١) الاقطـاع : هـو المنـح والاباحـة ، واقطعـه قطيعه : اى طائفة من ارض الخراج ، واسم الشىء الذى يقطع : قطيعة واقطاعـا . امـا اصطلاحا : فالاقطاع : أن يقطع السلطان رجلا ارضـا فتصير له رقبتها بحكم الاقطاع ، وتسمى تلك الأراضـى قطـائع واحدتها قطيعة . واقطاع السلطان مختص بمـا جـاز فيـه تصرفه ونفذت فيه اوامره ، ولايصح فيما تعين فيه مالكه وتميز مستحقه ، وهو على ضربين : تمليك واستغلال . (انظر / أحمد خياط ، الاقطاع ، ص ٥١-٥٢) .

(٢) توسـع بنو امية فى الاقطاع حرصا من انفسهم على اقتناء الأرض وكسب المؤيـدين باقطـاع الزعماء والاشراف ، حتى اضطروا الـى تعدى أرض الصـوافى والاقطاع من الاراضـى الخراجية التى توفى عنها أصحابها دون وريث ، فاقطعوا تـارة بحـكم الايجار والاستغلال كما فعل عثمان رضى الله عنـه ، لكـنهم اعتبروا ايرادها خاصا بهـم وليس لبيت المـال كما فعل عثمان . وتارة يقطعونها تمليكا . (عن ذلـك انظر / محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضى ص ٢٠٥،٢٢٦ ــ أحـمد خيـاط : نفس المرجع ، ص ١٣١-١٣٢ ــ فالح حسين : الحياة الزراعية ، ص ٥٧-٥٨) .

(٣) فتوح البلدان ، ص ٣٥٩-٣٦٠ .

وان عامله من اجل ذلك سار على القطائع فى محاولة منه لاستصفاء شىء من الصوافى للخليفة ، فتعرض لبعض القطائع التى كانت بيد بعض الناس ، وحاول اخذها مما ادى الى غضب اولئك الناس ، فاضطر عامله الى التوقف عن ذلك . ولعل سبب ذلك كما تقول نجدة خماش (١) استيلاء بعض الناس على شىء من أرض الصوافى فى أعقاب حرق الديوان اثناء حركة ابن الاشعث فى العراق ، بغير وجه حق ، مما دعا الخليفة الى التفكير فى الحصول على شىء منها . والحق أن أمر الخليفة نص على الحصول على شىء من الفضول ، لاعلى مابايدى الناس ، فيبدو أن ابن هبيرة تعرض لذلك للتحقق من صحة تملك صاحبها لها ، وانه ليس ممن وضعوا أيديهم على شىء من أراضى الصوافى فى اعقاب حرق الديوان ، ابان حركة ابن الاشعث ، ولعله كان يستهدف استعادة تلك الصوافى لملك الدولة ، ومعرفة الفضول وضمها للخليفة بناء على طلبه .

والأصل فى أرض الصوافى انها خراجية لاتقطع (٢) . لذلك أعاد عمر بن عبد العزيز كل مالديه من قطائع واحرق سجلاتها ، الا السويداء (٣) ، وردها الى بيت المال (٤) . الا انه لم يستطع رد القطائع التى بايدى الناس لاختلاط أمرها عليه ، وتشابك الحقوق فيها (٥) .

ويبدو أن يزيد بن عبد الملك لم يجد له ابن هبيرة شيئا من فضول الصوافى ، الا انه حقق شيئا مما يريد عندما

---

(١) الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .
(٢) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضى ، ص ٢٠٥ .
(٣) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام ، وهى بلد مشهور من ديار مضر قرب حران ، وهى ايضا : قرية بحوران من نواحى دمشق . (ياقوت : معجم ، ٢٨٦/٣) . ونرى أنها الأولى لارتباطها فى الخبر بخيبر .
(٤) فرج الهونى : النظم الادارية والمالية ، ص ٢٣٨ .
(٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٥٩٦/١ .

قبض قطائع يزيد بن المهلب التى كان الخليفة سليمان قد اقطعه اياها . ذلك ان سليمان اقطع ابن المهلب ما اعتمل من البطيحة ، فاعتمل الشرقى والجبان ، والخست والريحية ومغيرتان وغيرها ، فصارت حوزا ، فصادرها يزيد بن عبد الملك بعد خروج ابن المهلب فى ايامه والقضاء عليه ،[1] وأخذها لنفسه ، فلما تولى هشام اقطعها ولده ثم حيزت بعده .[2]

والأخبار لاتسعفنا بنتيجة امر الخليفة يزيد بن عبد الملك لعمر بن هبيرة ، اتمكن من استخلاص شيء من اراضى الصوافى له أم لا ، الا ان مما يذكر ان فالح حسين[3] أورد أسماء الملاك فى الشام من الخلفاء والأمراء والاشراف ، بدءا بمعاوية رضى الله عنه ، وانتهاء بالوليد بن يزيد وهشام ومسلمة كبيرى ملاك الارض ، فلم يذكر ليزيد بن عبد الملك شيئا . ولعل هذا يصدق قوله عندما بعث لعمر بن هبيرة : "أنه ليست لأمير المؤمنين بارض العرب خرصة"[4] .

اما اتخاذ الاقطاع وسيلة لخدمة سياسته ودولته ، فتمثل فى الاقطاع لبعض رجالات دولته ، اما كمكافاة على اخلاصهم لسلطانه ولما قاموا به من دور فى القضاء على المناوئين ، من ذلك اقطاع هلال بن احوز المازنى[5] ، القطيعة التى بها

---

(١) عن مصادرة يزيد بن عبد الملك أموال المهالبة ، (انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ٢١٦-٢١٨) .
(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٦٢ .
(٣) الحياة الزراعية ، ص ٦٠-٦٢ .
(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٥٩ .
(٥) هو القائد الذى تتبع المهالبة بعد انهزامهم فى العقر واوقع بهم فى قنداببيل ، (انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ٢١١) .

مرغاب مرو[1] ، ومساحتها ثمانية آلاف جريب ، وقد تنازع ملكيتها بعده نفر من الاشراف[2] .

كما اقطع الخليفة يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة "مهلبان"[3] ، وقد كانت للمغيرة بن المهلب ،قبضت مع اموال المهالبة عندما صادرها الخليفة يزيد ، وفيها نهر كان زادان فروخ حفره فعرف به . وقد ردها أبو العباس السفاح للمهالبة[4] .

ومما اقطعه الخليفة يزيد لآل بيته ، اقطاع العباس بن الوليد بن عبد الملك "عباسان"[5] ، وهي قطيعة كان الحجاج اقطعها لخيرة بنت ضمرة القشيرية ، فقبضها يزيد بن عبد الملك ضمن أموال بني المهلب[6] .

كما اقطع عنبسة بن سعيد بن العاصي "دار الروميين" . وكانت مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكساحات ، فاستقطعها عنبسة من الخليفة يزيد[7] ، فاقطعه اياها ، فانفق عنبسة مائة وخمسين الف دينار ، لنقل ترابها وعمرها ، فصارت تعرف بدار الروميين[8] .

---

(١) المرغاب : نهر بمرو الشاهجان ، والمرغاب : نهر بالبصرة ، قال البلاذري : حفر المرغاب بشير بن عبيد الله بن ابي بكرة ، وسماه باسم مرغاب مرو . احتفره بالتغلب في القطيعة التي لهلال بن أحوز كان قد اقطعه اياها يزيد بن عبد الملك . (ياقوت : معجم ، ١٠٨/٥) .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٥٨ .
(٣) نهر بالبصرة كان لامرأة المهلب بن ابي صفرة ، وفي ذلك تناقض مع القول انه كان للمغيرة . (انظر / احمد خياط الاقطاع ، ص ٦٦) ، (عن : البلاذري : نفس المصدر ، ٣٨٣/٣) . ولم اعثر له على تعريف .
(٤) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٥) لم أجد لها تعريفا .
(٦) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٦٢ .
(٧) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٨٠ .
(٨) محمد نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضي ، ص ٢٢٨ .

ومما منعه في الأراضي ، رد النعينمة صدقة علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى آل معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ، بعد ان أعادها عمر بن عبد العزيز الى آل علي . فقد كانت النعينمة لآل علي حتى هلك الحسين ، فوثب عليها يزيد ابن معاوية ، ثم صارت في يد عبد الله بن الزبير ، فغدت اذا كانت المدينة بيد ابن الزبير وثب عليها آل علي ، واذا كانت المدينة في يد يزيد بن معاوية فالنعينمة في يده ، ثم دفعها عبد الملك الى آل معاوية . حتى قام عمر فردها الى آل علي . فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها الى آل معاوية (١) وليس لتصرفه هذا من تفسير الا التعصب لسياسة أسلافه من بني امية قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز .

ومما منعه في القطائع التي ردها عمر بن عبد العزيز ، مارواه البلاذري وابن عساكر (٢) : ان النصارى خاصموا العرب في كنيسة لهم بدمشق ، يقال لها كنيسة بني نصر ، كان معاوية رضي الله عنه اقطعها اياهم ، فاخرجهم عمر بن عبد العزيز منها ودفعها الى النصارى ، فلما ولي يزيد بن عبد الملك ردها الى بني نصر .

كما روى ابن عساكر (٣) مثل هذا فقال : انه قد اقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا عشر بطريقا . فاقروا في منازلهم ، وكان لكل بطريق منهم في منزله كنيسة ، فاقاموا بها حينا ، ثم بدا لهم ، فهربوا من دمشق ، وتركوا تلك المنازل ، فأُقْطِعت لقومٍ من اشراف دمشق . فلما ولي

---

(١) وكيع : أخبار القضاة ، ١/١٥٣-١٥٤ .
(٢) فتوح البلدان ، ص ١٣٠ ـ تاريخ دمشق ، م٢/١٢٧ .
(٣) نفس المصدر والمجلد ، ص ١٢٦ .

عمـر بن عبد العزيز أخرج أولادهم منها وردها على أهل الذمة فلما مات عمر ردت الى أولاد الذين اقطعوها . والرواية لم تصرح بمن اقطعها واسباب ذلك ، اما ردها من قبل عمر لأهل الذمة فمن المرجح انه تبين له انها من الكنائس التي صولح عليها اهل الذمة . كما ان الرواية لاتفصح بمن ردها الى أولاد من اقطعت لهم بعد عمر ، لكن روح النص يدل على انه يزيد بن عبد الملك .

## تجويد العملة وضبط المكاييل والموازين :

يتبين أن الخليفة يزيد بن عبد الملك عزم على اتخاذ سياسة مالية متشددة ، فالى جانب ما اتخذه من سياسات فى سبيل زيادة دخل بيت المال وموارده ، او تخفيض المصروفات ، عمل على تجويد ضرب العملة على وجه افضل مما كانت عليه وشدد فى وزنها ، لتكون بعيدة عن الغش والتزييف (١) . كما اهتمت دولته بالمكاييل والأوراق التجارية من غير العملة .

يقول البلاذرى (٢) : "فلما ولى عمر بن هبيرة العراق ليزيد ابن عبد الملك خلص الفضة ابلغ تخليص من قبله ، وجود الدراهم فاشتد فى ذلك العيار" (٣) . ويضيف : ان خالد القسرى ويوسف بن عمر عاملا هشام على العراق من بعده ، تابعا الاهتمام بتجويد العملة ، بل وافرطا فى الشدة على الطباعين واصحاب العيار ، فكانت العملة الهبيرية (٤) ، والخالدية (٥) ، واليوسفية (٦) ، اجود نقود بنى امية ، وكان المنصور العباسى لايقبل فى الخراج غيرها (٧) .

وكان الدرهم الهبيرى يزن ستة دوانق (٨) .

---

(١) عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٢ .
(٢) فتوح البلدان ، ص ٤٥٤ .
(٣) لمعلومات اشمل عن النقود الاسلامية قبل يزيد بن عبد الملك وبعده ، (انظر / البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٤٥١-٤٥٦ – والمقريزى : كتاب النقود الاسلامية – محمد ابو الفرج العش : النقود العربية – انستانس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات) .
(٤) نسبة الى عمر بن هبيرة .
(٥) نسبة الى خالد بن عبد الله القسرى .
(٦) نسبة الى يوسف بن عمر الثقفى .
(٧) وانظر أيضا عن تجويد ابن هبيرة السكة ، (قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٥٩-٦٠ – ابن خلدون المقدمة ، ص ٢٦١ – القلشندى : ماثر ، ٢٣٠/١) .
(٨) عبد الله السيف : نفس المرجع والصفحة .

وقد فوض الولاة بضرب النقود، فكان لضربها اماكن عديدة فى انحاء العراق وغيره ، كما كان امر ضربها تحت اشراف الدولة ، بينما منع الناس من ضربها على غير سكة السلطان ، وعاقب الحكام من ضرب النقود من تلقاء نفسه ، بقطع اليد ، والسجن ، والجلد ، والتشهير ، ويبدو أن هشام بن عبد الملك خليفة يزيد ، اراد الحد من تعدد دور الضرب ، لضبط الامور والتمكن من مراقبتها بدقة ، وتضييق المجال على من اراد السك بصفة خاصة ، فامر (سنة ١٠٦هـ) عامله على العراق ، خالد القسرى ، بابطال سك العملة فى مدن العراق الا واسطا ، ثم جعلها مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية فى حران بالجزيرة . (١)

من ناحية أخرى اقام الجراح بن عبد الله الحكمى عامل الخليفة يزيد على ارمينية المكاييل والموازين على العدل والوفاء وضبط ذلك ، واتخذ مكيالا عرف باسمه يدعى "الجراحى" ظل الناس يتعاملون به حتى زمن البلاذرى (ت ٢٧٩هـ) ، وسبب ذلك انه عندما نزل برذعة بعد قدومه ارمينية عندما ولاه الخليفة يزيد امرها ، رفع اليه اختلاف المكاييل والموازين فعمل على تقويمها وضبطها . (٢)

---

(١) عن ذلك ، (انظر / ثابت الراوى : العراق ، ص ٨٣-٨٤ – نجدة خماش : الشام فى صدر الاسلام ، ص ٢٧٥-٢٧٦ – البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٥٥-٤٥٦) .

(٢) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٢٠٨ – قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٣٢٠ (وقد ذكر أن التعامل بالمكيال الجراحى كان معمولا به حتى أيامه ، وقد كانت وفاته (٣٢٨ أو ٣٣٧هـ) ، لكن ذلك فيما يبدو جاء من نقله الحرفى للخبر عن البلاذرى الذى ورد عنده ذلك : "... يتعامل به أهله الى اليوم" . ونقل ابن قدامة عن البلاذرى واضح فى كثير من الاخبار . فأصل الخبر يشير الى استمرار التعامل به حتى أيام البلاذري ، لا زمن قدامه بن جعفر .

**السفاتج :**

تطور استخدام السفاتج كأوراق مالية تجارية [(١)] ، في عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فلم يعد يقتصر استعمالها على كونها حوالات نقدية فقط ، بل استخدمت كحوالات لأشياء عينية كالابل وغيرها ، فيذكر أن الشاعر نصيب [(٢)] ، لما مدح عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى عامل الخليفة يزيد بن عبد الملك على المدينة ، أمر له بعشر من الابل وكتب بذلك سفتجة "حوالة" مختومة الى رجلين من الأنصار بتسليمها له ، فذهب بالسفتجة اليهم واستلمها منهم .

ولم يقتصر التعامل التجارى على النقود والصكوك [(٣)] ، كوسائل لدفع الأموال المستحقة ، بل استخدمت السفاتج "الحوالات" كوسيلة مالية في التعامل التجارى ، وهناك اشارات تدل على أن استخدام السفاتج ظهر في وقت مبكر في

---

(١) السفتجة : كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا لحاملها ، يأمن بها خطر الطريق . وقيل : هو أن يعطى أحدا مالا وللآخذ مال في بلد المعطى فيوفيه اياه هناك فيستفيد أمن الطريق . (عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، هامش (٦) ، ص ١٤٥) ، (نقلا عن / الثعالبى ثمار القلوب ، ص ٥٤٥ ـ حسن يوسف موسى وزميله : الافصاح في اللغة ، ٢٠٨/٢) .

(٢) نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل كان يعد مع جرير وكثير عزة ، له شهرة ذائعة وأخبار مع بنى مروان . كان عبدا أسود لراشد بن عبد العزى من كنانة ، من سكان البادية ، اشتراه عبد العزيز بن مروان فاعتقه . وللزبير بن بكار كتاب "أخبار نصيب" وللدكتور داود سلوم "شعر نصيب بن رباح" ، توفي (سنة ١٠٨هـ ، وقيل : ١١١ ، وقيل : ١١٣) . (الزركلى : الأعلام ، ٣١/٨-٣٢) .

(٣) كانت الصكوك تستعمل كوسائل لدفع المال ، وقد كان عمر ابن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك . (عصام عبد الرؤوف : الحواضر ، ص ٥٩) .

الدولـة الاسلامية ، فيذكر استخدامها من قبل ابن الزبير فى مكـة الـذى كان يقدمها للتجار ويحولهم على العراق ، ويبدو انها لاتكون سارية المفعول الا بعد ان توقع او تختم[١] .

---

(١) عبد الله السيف : الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٥-١٤٧ .

# الفصل السادس

## أبرز جوانب الحياة العلمية فى الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

### المبحث الأول : العلوم الدينية

- القراءات
- التفسير .
- الحديث .
- الفقه .

### المبحث الثاني : الأدب .

### المبحث الثالث : الكتابة التاريخية .

### المبحث الرابع : مظاهر النشاط العلمى .

الفصل السادس

# أبرز جوانب الحياة العلمية في الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

تعد الحياة العلمية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، مرحلة من مراحل عمر الحركة العلمية التى عاشتها الدولة الاسلامية ، وهى استمرار للنشاط العلمى ، الذى مارسه المسلمون قبل يزيد بن عبد الملك ، اذ واصلت الحركة العلمية فى عهده نموها وتطورها ، وان كان ذلك قد تم فى زمنه بعيدا عن اهتمام الدولة ورعايتها ، فى اغلب الأحوال .

لقد ندرت الأخبار المشيرة الى رعاية يزيد بن عبد الملك واهتمامه بالحركة العلمية ، ولم يكن يعنى هذا توقف نشاط الحركة العلمية ، أو خمولها . فقد وجدناها نشطة متنامية من تلقاء نفسها ، وعلى ايدى رجالها من علماء تلك الفترة ، فى امة حثها دين الاسلام على العلم ، فعكفت عليه ، وشغفت بطلبه .

لذا فان اعتمادنا فى دراسة ابرز جوانب الحياة العلمية للدولة الاسلامية زمن يزيد بن عبد الملك ، سيكون فى المقام الأول على تراجم الرجال ، واستقاء المعلومات والحقائق المبينة لجوانب تلك الحياة ، وحال حركتها ، وجهود رجالها وأثرهم العلمى ، مما حوته تلك التراجم من مادة علمية ، واخبار تاريخية ، الى جانب ماوقعنا عليه من حقائق اخرى فى المصادر العامة ، والمراجع المتخصصة التى تناولت الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية فى العصر الأموى .

لذا فمن غير الممكن الالتزام بالحد الزمنى لفترة البحث عند تاريخنا للحركة العلمية زمن يزيد ، لأن اعتمادنا كما قلنا سيكون على تراجم الرجال ، وحيث ان هؤلاء الرجال من العلماء ، والأدباء ، والمؤرخين ، المعاصرين للخليفة يزيد بن عبد الملك ، والذى زخر عهده بعدد كبير منهم ، لايتوقف عطاؤهم بنهاية عهده ، كما أن معظمهم بدأ عطاؤه قبل ذلك .

وعلى سبيل المثال ، عندما نؤرخ لعلم القراءات زمن الخليفة يزيد ، فانا نعرض لذكر أشهر القراء المعاصرين له واصحاب الأثر الكبير فى هذا العلم ، لمعرفة حال العلم آنذاك من خلال تراجمهم ، فنبدأ بمن عاصره ومات فى عهده كالمقرىء يحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ) ، ثم من عاصره ، وكان ذا دور بارز فى خدمة الحياة العلمية فى زمنه ، بقرينة تدل على انه كان فى سن العطاء آنذاك ، وان كانت وفاته بعد خلافة يزيد بن عبد الملك ، مثال ذلك عبد الله بن عامر أحد القراء السبعة (٢١ ـ ١١٨هـ) ، فانه وان توفى بعد خلافة يزيد الا انه كان مقرئا فى عهده ، وممن خدم علم القراءات فى خلافته .

لذا فاننى سأؤرخ لأبرز الجوانب العلمية فى زمن يزيد من خلال أخبار العلوم فى عصره ، وتراجم رجالها الذين عاصروه ، سواء من مات فى زمنه ، أو بعده حتى نهاية الدولة الأموية (١٣٢هـ) ،على أن يكون هناك قرينة دالة على خدمة من مات بعد خلافته ، للعلم فى عهده . مع أن من العلماء من كانت وفاته فى العصر العباسى ، وكان ذا دور بارز زمن يزيد

وخدم العلم في عهده ، كالامام القارئ نافع بن ابي نعيم (ت ١٦٩هـ) ، الذي ظل يقرئ الناس سبعين سنة ، اي انه كان مقرئا زمن يزيد بن عبد الملك ، وابو عمرو بن العلاء (٧٠ - ١٥٤هـ) ، الذي انتصب للاقراء منذ ايام الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، وسليمان بن مهران بن الاعمش شيخ المقرئين والمحدثين الفقيه (٦١ - ١٤٧هـ)(١) . لكننا آثرنا التوقف بالترجمة عند نهاية الدولة الأموية (١٣٢هـ) ، لأننا نؤرخ لأحد خلفائها .

وابرز جوانب الحياة العلمية مطلع القرن الثاني الهجري التي آثرناها بالدراسة ، هي الدراسات الدينية ، بمجالاتها الاربع ، وهي القراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، ثم الدراسات الادبية شعرا ونثرا ، ثم الدراسات التاريخية ، كما سنتحدث عن مظاهر النشاط العلمي هذه الفترة ، والتي تمثلت في حلقات العلم في المساجد ، ومجالس العلماء ، ودور الكتاتيب ، والمؤدبين والمكتبات .

---

(١) انظر تراجمهم عند : سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٨ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٧/١٢-١٩٩ - الذهبي : سير ، ٤٠٧/٦-٢٢٦،٤١٠-٢٤٨ .

## المبحث الاول

# العلوم الدينية

### القراءات :

كان للقراءات رجالها[(١)] من الصحابة رضوان الله عليهم ، الذين كان لهم عظيم الاثر فى القراءات ، وتتلمذ عليهم عدد من التابعين ، الذين نشطوا فى تعلم القراءة وتعليمها ، اخذا ورواية ، ونشروا علم القراءات فى البلدان الاسلامية ، ومن هؤلاء التابعين : عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ، والحسن البصرى (ت ١١٠هـ) ، ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)[(٢)] .

---

(١) القراءات هى وجوه تلقى النص القرآنى ، وقد أُصطلح على تسمية هذه الأوجه المقروءة بالحروف ، والحروف هى وجوه القراءات واختلافاتها بين القراء ، وعرف علمها ايضا بانه : علم يُبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ، وله استمداد من العلوم العربية ، غرضه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة ، وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطرق التحريف والتغيير اليه ، والبحث فيه عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة الى حد الشهرة . (انظر / سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٩٤) .
اما القراء ، فلفظ اطلق ذى بدء على حفظة القرآن الكريم ، ثم اخذ معنى ادق منذ عهد الخليفة عثمان رضى الله عنه ، فخص به من اشتهروا بقراءاتهم ، وكان لكل منهم مصحف . (خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ص ٣٣) .
وعن القراءات انظر ايضا / مكى بن ابى طالب : كتاب التبصرة فى القراءات السبع ، تحقيق المقرئ محمد غوث الندوى ، نشر وتوزيع الدار السلطية ، بومباى ، الهند الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م - ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) مكى بن ابى طالب : نفس المصدر ، ص ١٤٢ - سعد الموسى نفس المرجع ، ص ٩٥ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٣٦-٣٧ .

وفي نهاية القرن الأول وبداية الثاني الهجري ، تجرد قوم بالقراءة والأخذ ، واعتنوا بضبطها اتم عناية ، حتى صاروا في ذلك ائمة يقتدى بهم ويرحل اليهم ، منهم يزيد بن القعقاع (ت ١٢٧هـ) ، وشيبة بن نصاح (ت ١٣٠هـ) في المدينة وعبد الله بن كثير (ت ١٢٠هـ) بمكة ، ويحيى بن وثاب (ت ١٠٣هـ) ، وعاصم بن ابي النجود (ت ١٢٧هـ) بالكوفة ، وعبد الله بن ابي اسحق بالبصرة ، وعبد الله بن عامر (ت ١١٨هـ) ، وعطية بن قيس (ت ١٢١هـ) ، وغيرهما بالشام [(١)] .

واشتهر من هؤلاء من صارت اليهم رياسة الاقراء ، واصبحت قراءاتهم مرجع الخلائق في البلدان المختلفة ، وهم الائمة الذين تنسب اليهم القراءات السبع [(٢)] .

ومن مميزات فترة هذه الدراسة ، انها تمثل هذه المرحلة او جزءا منها ، اي مرحلة تجرد كثير من العلماء للقراءة والعناية بها وضبطها ، فشهدت كثيرا من ائمة القراءة .

وسنعرض الآن لذكر عدد من ائمة القراءة ـ في فترة الدراسة التي حددناها ـ مبتدئين بثلاثة من القراء السبعة [(٣)] كانوا معاصرين ليزيد بن عبد الملك ، ثم نذكر بعض مشاهير

---

(١) مكي بن ابي طالب : التبصرة ، ص ١٠٤، ١٣٧-١٣٨، ١٤٠-١٤١ ابن الجزري : النشر ، ١/٨-٩ .

(٢) مكي بن ابي طالب : نفس المصدر ، ص ١٣٨، ١٤٠-١٤٢ . (وانظر ماصار اليه امر القراءة بعد هذه المرحلة عند ابن الجزري : نفس المصدر ، ص ٩) .

(٣) القراء السبعة هم : نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم (ت ١٦٩هـ) ، وعبد الله بن كثير المكي الداري (ت ١٢٠هـ) ، وابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ او ١٥٧هـ) ، وعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) ، وعاصم بن ابي النجود (ت ١٢٧هـ على خلاف) ، وحمزة بن حبيب (ت ١٥٦هـ) والكسائي علي بن حمزة (ت ١٨٩هـ على خلاف) .

الائمة القراء فى زمنه حسب التسلسل الزمنى لوفاتهم .

واول الثلاثة : عبد الله بن عامر اليحصبى [١] ، أحد علماء التابعين الاعلام ، وافاضل المسلمين الاخيار ، الامام الكبير مقرىء الشام ، انتهت اليه مشيخة الاقراء فيها ، واتخذه أهلها اماما فى قراءته واختياره ، وظلوا عليها تلاوة وصلاة وتلقينا حتى (سنة ٥٠٠هـ) تقريبا ، وقد كان امام الجامع الكبير بدمشق ، وقد قرأ على أبى الدرداء رضى الله عنه، وروى انه سمع قراءة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وجاء انه قرأ على قاضى دمشق فضالة بن عبيد رضى الله عنه ، والمشهور انه قرأ على المغيرة بن أبى شهاب المخزومى صاحب عثمان ، وقد تلا عليه يحيى بن الحارث وغيره . وراوياه عبد الله بن ذكوان وهشام بن عمار السلمى .

---

(١) عبد الله بن عامر اليحصبى الدمشقى المقرىء ، الحافظ الفهم ، ثقة صدوقا متقنا ، محدثا من أجلة الراوين . كان رئيس جامع دمشق والناظر على عمارته ، كما تولى قضاء دمشق . قيل كان مولده (سنة ٨هـ) والصحيح (سنة ٢١هـ) ، وتوفى (سنة ١١٨هـ) . (انظر عنه : مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٢١-١٢٢ — ابن الباذش : كتاب الاقناع فى القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش، مطبعة دار الفكر ، بدمشق ، السعودية ، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ ، ١٠٣/١-١٠٦ — الذهبى : سير ، ٢٩٢/٥-٢٩٣ — ابن حجر : تهذيب ، ٢٤٠/٥-٢٤١ — خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٣٧) .
وللعلم فقد اتخذت منهجا فى الترجمة للعلماء والمعلومات التى تشير الى عطاءاتهم العلمية ، يتلخص فى ذكر المعلومات الخاصة بالعلم الذى أتحدث عنه بالمتن والترجمة للعالم عند ذكره لاول مرة بالهامش ، ترجمة مختصرة عن اسمه ونسبه وبعض مزاياه العامة ووظائفه ان وجدت ومولده ووفاته ، ثم ذكر أى معلومة عنه تخص أى علم آخر فى مكانها بالمتن والاحالة بالهامش الى الترجمة ، أو الاكتفاء بالاحالة الى مصدر تلك المعلومات .

وقراءة ابن عامر ليست اجتهادا منه ، لأن قراءة القرآن كلها توقيفية ، وقد جاء الاختلاف من اختلاف الصحابة في تلقيهم ، وفي هذه الناحية كان ابن عامر متلقيا ، لكنه كان يختار من بين هذه القراءات قراءة لها مميزاتها وتنسب اليه، منها مايتعلق بطبيعة القراءة ، ومنها مايتعلق بالرسم والنحو . وقد روى أن ابن عامر انفرد عن بقية القراء في اكثر من خمسين ناحية ، وقراءة ابن عامر بمميزاتها هو مايعرف بالمصحف الشامي ، ومن العلماء من طعن على ابن عامر كابن جرير الطبري ، وقد عد ابن الجزري ذلك من سقطات الطبري على اعتبار ان اجماع اهل الشام على قراءته دليل على صحة هذه القراءة . (١)

الثاني : عبد الله بن كثير الداري (٢) ، الامام العلم ، كبير الشان ، مقرىء مكة ، واحد القراء السبعة ، اليه صارت قراءة اهل مكة وبه اقتدى اكثرهم ، ذكر انه لم يكن بمكة إقرا منه ، وكان فصيحا بالقرآن ، قيل : قرا القرآن على عبد الله بن السائب المخزومي،والمشهور تلاوته على مجاهد ودرباس مولى ابن عباس ، وتلا عليه ابو عمرو بن العلاء وعدة، وراوياه قنبل والبزى .

---

(١) لتفاصيل اشمل عن قراءته ومميزاتها ، (انظر / خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٣٧-٤٢) .

(٢) عبد الله بن كثير ابو معبد الكناني الداري المكي مولى عمرو بن علقمة الكناني ، فارسي الأصل ، من الأبناء في اليمن ، القارىء الامام العلم ، الثقة كبير الشان ، كان قاضي مكة ، ولد (سنة ٤٥هـ) وقيل (سنة ٤٨هـ) بمكة ، وبها توفي (سنة ١٢٠هـ) او بعدها . (عن ترجمته وماقدمناه من معلومات عنه،انظر/مكي بن ابي طالب التبصرة ، ص ١١٨-١١٩ ــ ابن الباذش : الاقناع ، ١/٧٧-٨٠ ــ الذهبي : سير ، ٥/٣١٨-٣٢٢ ــ ابن خلكان : وفيات ، ٣/٤١-٤٢ ــ ابن حجر : تهذيب ، ٥/٣٢٢) .

الثالث : عاصم بن أبى النجود (١) ، الامام الكبير مقرىء العصر ، وشيخ القراء بالكوفة ، وأحد القراء السبعة المشار اليه فىالقراءات ، صالحا قرائا للقرآن ، قال العجلى : كان صاحب سنة وقراءة ، وكان ثقة راسا فى القراءة . وقال ابى اسحق : "ماراأيت اقرا من عاصم" ، وكان فصيحا لايخطىء اثبتا فى القرآن وقراءته عن أبى عبد الرحمن السلمى والسلمى قرا على على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان يعرض قراءته على زر بن حبيش وزر قد قرا على عبد الله بن مسعود رضى الله عنه . وقد تصدر للاقراء مدة بالكوفة فتلا عليه جماعة ، وانتهت اليه رياسة الاقراء بعد ابى عبد الرحمن السلمى شيخه (ت ٧٣هـ) ، قال ابو بكر بن عياش : "لما هلك ابو عبد الرحمن جلس عاصم يقرىء الناس ، وكان أحسن الناس صوتا بالقرآن ، حتى كان فى حنجرته جلاجل" . جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ، كان أهل الكوفة يختارون قراءته ، وقد اختارها أحمد بن حنبل بعد قراءة أهل المدينة يقول ابنه عبد الله : سالت ابى اي القراءات احب اليك ؟ قال : "قراءة أهل المدينة فان لم يكن فقراءةعاصم" . وهو شيخ ابى حنيفة ، وراوياه حفص وشعبة .

---

(١) عاصم بن أبى النجود ، أبو بكر الأسدى مولاهم الكوفى ، ثقة صدوقا خيرا عابدا ذو أدب ونسك وفضائله كثيرة ، كان عثمانيا ، نحويا مشهور الكلام ، ولد زمن معاوية رضى الله عنه ، وتوفى (سنة ١٢٧هـ) على خلاف . (انظر عن ترجمته وماأوردناه عنه من معلومات / مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٢٢-١٨١ - ابن الباذش : الاقناع ، ١١٥/١-١١٧ - ابن خلكان : وفيات ، ٩/٣ - الذهبى : سير ٢٥٦/٥-٢٦١ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٥/٥-٣٦) .

ومن ائمة القراء فى هذه الفترة ايضا ، يحيى بن وثاب (١) كان مقرىء أهل الكوفة ، وقد اخذ القرآن عن عبيد بن نضيلة آية آية ، فكان قارئا ، وكان من احسن الناس قراءة ، اذا قرا كانه يخاطب رجلا ، ولايسمع فى المسجد حركة .

وعطاء بن يسار (٢) كان ممن تلقى القراءة من الصحابة وقاموا مقامهم فى المدينة .

ومجاهد بن جبر (٣) ، الامام شيخ القراء ، قرا على عبد الله بن السائب وعبد الله بن عباس ، واخذ عنه القراءة عرضا عبد الله بن كثير وعمرو بن العلاء ، وقرا عليه الاعمش وقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل ثلاث ، واجمعت الأمة على امامته والاحتجاج به .

وعكرمة (٤) مولى ابن عباس ، وردت عنه الرواية فى حروف

---

(١) يحيى بن وثاب الأسدى مولاهم ، المقرى ، تابعى ثقة ، كان أبوه من سبى قاسان ، فصار الى ابن عباس ، فسماه وثابا وأقام معه ثم استاذنه فارتحل مع ابنه يحيى الذى أقام بالكوفة فصار امام أهلها فى القراءة، (ت ١٠٣هـ) . (انظر عنه : ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٢٩٩/٦ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٢٥٨/١١) .

(٢) عطاء بن يسار الهلالى ، المدنى ، مولى ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أخو سليمان وعبد الملك وعبد الله بن يسار ، ولد سنة ١٩هـ ، وقدم الشام ومصر ، وتوفى بالاسكندرية (سنة ١٠٣هـ على خلاف) (انظر عنه / ابن الجزرى : النشر، ٨/١ ـ الذهبى : سير، ٤٤٨/٤-٤٤٩ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٤/٧-١٩٥) .

(٣) مجاهد بن جبر المخزومى بالولاء ، مولى السائب بن ابى السائب ، التابعى ، القارىء ، ثقة ، متقنا ، عالما ، ثبتا ، صادقا ، عدلا . ولد سنة ٢١هـ ، وتوفى (١٠٤هـ على الاشهر) بمكة . (انظر عنه / مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٠١ ـ الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٤٩-٤٥٧ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٨/١٠-٤٠) .

(٤) عكرمة البربرى ، أبو عبد الله القرشى ، مولى ابن عباس ، المدنى ، التابعى العلامة ، الحافظ ، وثقه واحتج به وعدله وثبته جماعة من الائمة وكثير من أهل الحديث ورجال الجرح والتعديل . وكان قد كذبه البعض ، واتهم باضطراب الحديث وقلة العقل ، كما اتهم برأى =

القرآن ، من علماء زمانه بالقرآن ، قال الشعبي : "مابقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة" . قرأ على مولاه وبعض الصحابة ، وقرأ عليه ابن حجر بن العلاء .

وعبيد بن حنين (١) ، كان من حفاظ القرآن المتقنين .

وسالم بن عبد الله بن عمر (٢) ، كان من السادة القراء بالمدينة .

وطاووس بن كيسان (٣) ، عالم اليمن الحافظ القدوة ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، وقد أخذه عن ابن عباس .

---

= الخوارج المغربية ، وانه اول من احدث راى الخوارج في أهل المغرب ونقله اليهم . وقد براه بعض رجال الحديث من ذلك ، يقول ابن معين : "اذا رايت انسانا يقع في عكرمة وحماد بن سلمة فاتهمه على الاسلام" . كما براه العجلي من رأى الخوارج . توفي بالمدينة (سنة ١٠٥هـ على خلاف) عن ثمانين سنة . (انظر عنه : مكي بن ابي طالب : نفس المصدر والصفحة ـ الذهبي : نفس المصدر ، ١٢/٥-٣٦ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٣٤/٧-٢٤٢) .

(١) عبيد بن حنين المدني ، ابو عبد الله مولى آل زيد ابن الخطاب ويقال مولى بني زريق . ثقة (ت ١٠٥هـ) عن تسعين سنة . (انظر عنه /الذهبي : سير ، ٦٠٥/٤ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٥٨/٧-٥٩) .

(٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى القرشي المدني ، أبو عمر ، الامام الزاهد الحافظ . تابعي ثقة صالحا ورعا فاضلا عاليا في الرجال ، قال مالك : "لم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله اشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه" . وقد كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الأولاد حتى نشأ فيهم القراء السادة علي بن الحسين ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، وهم ابناء امهات أولاد ، ففاقوا أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا ، فرغب الناس حينئذ في السراري ، وكان أشبه ولد ابن عمر به سالم . (ت ١٠٦هـ على الصحيح) . (انظر عنه / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٥٧-٤٦٧ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٨/٣-٣٧٩ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٩) .

(٣) طاووس بن كيسان ، ابو عبد الرحمن الفارسي اليمني الجندي ، من الابناء وهو مولى حمير وقيل همدان ، من سادات التابعين ، كان صالحا عابدا زاهدا ، عفيفا ، الناس عنده سواء ، متجنبا للسلطان ، وكان يتشيع ، =

والقاسم بن محمد بن ابى بكر (١)، كان من السادة القراء فى المدينة .

وسليمان بن يسار الهلالى (٢)، كان من قراء المدينة ، ووردت الرواية عنه فى حروف القرآن .

وعمران بن ملحان (٣)، له رواية علم بالقرآن ، وام قومه اربعين سنة .

---

= وقد حج اربعين حجة . ثقة صادقا ثبتا ، ولد زمن عثمان رضى الله عنه او قبله ، وتوفى (سنة ١٠٦هـ على الصحيح) . (انظر عنه : مكى بن ابى طالب : التبصرة ، ص ١٠١ ـ الذهبى : نفس المصدر ، ٣٨/٥-٤٩ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٨/٥-٩) .

(١) القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق ، ابو محمد القرشى التيمى المدنى ، الامام القدوة الحافظ الحجة ، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة ، تابعى ثقة عالما رفيعا ورعا فاضلا خيرا صالحا ، وامه ام ولد . قال عمر ابن عبد العزيز : "لو كان الى من هذا الامر شىء ـ يعنى العهد بالخلافة ـ ماعصبته الا بالقاسم بن محمد" ولد فى خلافة على رضى الله عنه ، وتوفى (سنة ١٠٧هـ على خلاف) عن سبعين سنة . (انظر عنه : الذهبى : سير ، ٥٣/٥-٦٠ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٩/٨-٣٠١ ، ٣٧٨/٣) .

(٢) سليمان بن يسار الهلالى مولى ميمونة الهلالية ، ابو ايوب المدنى واصله فارسى ، الامام الفقيه عالم المدينة ومفتيها ، من أعلم الناس ، فضله بعضهم على سعيد بن المسيب . يقول الحسن بن محمدبن الحنفية : "سليمان بن يسار عندنا افهم من سعيد بن المسيب" . ويقول عبد الله بن يزيد الهذلى :"وسمعت السائل ياتى سعيد بن المسيب فيقول اذهب الى سليمان بن يسار فانه أعلم من بقى اليوم" . وقد كان ثقة مامونا فاضلا عابدا رفيعا ، ولى سوق المدينة لاميرها عمر بن عبد العزيز . ولد فى أواخر أيام عثمان رضى الله عنه ، وتوفى (سنة ١٠٧هـ) . (انظر عنه / مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٠٠ ـ الذهبى : نفس المصدر ، ٤٤٤/٤-٤٤٨ ـ ابن حجر، نفس المصدر ، ١٩٩/٤-٢٠٠) .

(٣) عمران بن ملحان ، أبو رجاء العطاردى البصرى ، وقيل اسمه عطارد . أدرك زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت فيه غفلة ، وعمر أزيد من ١٢٠ سنة ، و(ت ١٠٩هـ على خلاف) . (انظر عنه : ابن حجر : نفس المصدر ، ١٢٤/٨) .

وعامر بن شراحيل الشعبي (١) ، تلقى القراءة عن الصحابة ، وقام بها ، وقد عرض على أبي عبد الرحمن السلمي وعلقمة وروى القراءة عنه عرضا ابن أبي ليلى .

وأبو حرب بن أبي الأسود الديلي (٢) يعد في الطبقة الثانية من قراء أهل البصرة .

والحسن البصري (٣) (ت ١١٠هـ) شيخ البصرة وسيد أهل زمانه علما وعملا ، قرأ القرآن على حطان بن عبد الله الرقاشي وعلى أبي العالية ، وروى عنه أبو عمرو بن العلاء وسلام بن سليمان ، قال حماد بن سلمة عن حميد :"قرأت القرآن على الحسن ففسره على الاثبات يعني اثبات القدر" . فكان ممن تلقى القرآن عن الصحابة وقام عليه (٤) .

ومحمد بن سيرين (٥) ، الذي تلقى القراءة عن الصحابة أيضا

---

(١) عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني الكوفي ، أبو عمرو ، الإمام علامة العصر ، وقيل : هو من حمير وعداده في همدان ، تابعي ، أدرك خمسمائة من الصحابة ، وكان الشعبي كثير العلم حافظا أمي لايكتب ، وكانت له حلقة كبيرة في مسجد الكوفة ، ثقة،قوي الحفظ،شاعرا ذا أدب، وكان واحد زمانه في فنون العلم ، ولد سنة ٢١هـ وقيل غير ذلك ، و(ت ١٠٩هـ على خلاف) . (انظر عنه / مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ص ١٠٣ ـ ابن الجزري : النشر ، ٨/١ ـ الذهبي : سير ، ٢٩٤/٤-٣١٩ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٥٧/٥-٦٠) .

(٢) أبو حرب بن أبي الأسود الديلي البصري ، قيل اسمه محجن وقيل عطاء ، وقيل اسمه كنيته ، ثقة ، عاقلا ، شاعرا ، ولاه الحجاج جوخى حتى مات ، (ت ١٠٩ وقيل ١٠٨هـ) . (انظر عنه / ابن حجر : نفس المصدر ، ٧٣/١٢-٧٤) .

(٣) انظر ترجمته قبل : الفصل الثاني ، المبحث الأول ، ص ١٥٧ .

(٤) مكي بن أبي طالب : نفس المصدر والصفحة ، ـ ابن الجزري : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٣١/٢-٢٣٦ .

(٥) محمد بن سيرين الأنصاري ، مولى أنس بن مالك ، كان أبوه من سبي عين التمر ، فشراه أنس ثم كاتبه،فنشأ محمد في كنف أنس رضي الله عنه ، تابعي ثقة جليل مأمونا متقنا ضابطا صادقا عدلا كثير العلم عابدا ورعا رفيعا ، كان امام وقته ، من الحفاظ ، معبرا للرؤيا . =

وقام على المصحف ، فوردت عنه الرواية في حروف القرآن .

ومن قراء أهل الكوفة وعبادهم عون بن عبد الله الهذلي[(١)] الامام القدوة ، القاص .

ومن ائمة القراءة وناشري هذا العلم مسلم بن جندب القارىء[(٢)] ، كان ممن تلقى القراءة بالمدينة عن الصحابة ، وقام على المصحف ، وقد عرض على عبد الله بن عياش ، وعرض عليه نافع وكان معلم عمر بن عبد العزيز الذى كان يثنى على فصاحته بالقرآن ، فكان يقول : "من سره أن يقرأ القرآن غضا فليقرأه على قراءة مسلم بن جندب" . وكانت له مكانة بين علماء المدينة وقرائهم ، حتى قال قائلون : "كان أهل المدينة لايهمزون ، حتى همز ابن جندب فهمزوا ، كلمة {مستهزئين} ، و{يستهزىء بهم}" .

---

= ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه ، و(ت ١١٠هـ) بعد الحسن بمئة يوم . (انظر عنه / مكى بن أبى طالب : نفس المصدر ، ص ١٠٤ ــ ابن كثير : البداية ط٤ ، ٢٧٩/٩ ــ ابن الجزرى : نفس المصدر والجزء والصفحة ــ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٠/٩-١٩٢) .

(١) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي ، الامام القدوة العابد ، تابعي ثقة ، علم مروان بن محمد فى حياة أبيه وبطلبه ، ثم تركه ، وقدم على الخليفة عمر بن عبد العزيز ولزمه وكان له مكانة عنده وقيل : أنه وفد عليه فى جماعة فناظروه فى الارجاء ، فزعموا انه وافقهم ، وكان عون مرجئا ثم ترك الارجاء . (ت بين ١١٠-١٢٠هـ) . (انظر عنه / الذهبى : سير ١٠٣/٥-١٠٥ ــ ابن حجر : تهذيب ، ١٥٣/٨-١٥٤) .

(٢) مسلم بن جندب الهذلي ، أبو عبد الله ، المدنى ، تابعى من الطبقة الثانية من أهل المدينة ، ثقة صالحا فصيحا كبير القدر ،تولى القضاء وكان لاياخذ عليه رزقا (ت بعد ١١٠هـ على خلاف) . (انظر عنه / ابن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٠٠ ــ ابن الجزرى : النشر ، ٨/١ ــ ابن حجر : نفس المصدر ، ١١٢/١٠ ــ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ، ص ٩٥) .

وطلحة بن مصرف[(١)] ، الامام الحافظ المقرئ المجود ، شيخ الاسلام ، كانوا يسمونه سيد القراء ، وكان من اقرا اهل الكوفة وخيارهم ، قال العجلي : "اجتمع القراء في منزل الحكم بن عتبة فاجتمعوا على أن طلحة أقرا أهل الكوفة" . وكان قد تلا على يحيى بن وثاب وغيره . فلما شهر بالقراءة ، كره الشهرة ، واراد ان ينسلخ عنه ذلك بعد اجماع أهل الكوفة انه اقرا من بها ، فذهب الى الأعمش يقرا عليه . يقول ابو خالد الأحمر : "فسمعت الاعمش يقول : كان ياتي فيجلس على الباب حتى اخرج فيقرا ، فما ظنكم برجل لايخطئ ولايلحن" ، وكان يعلم القرآن .

والجراح بن عبد الله الحكمي[(٢)] - امير أرمينية من قبل الخليفة يزيد - كان من القراء العابدين ، والأبطال الشجعان قتل في حربه مع الخزر (سنة ١١٢هـ)[(٣)] .

وشهر بن حوشب[(٤)] ، قرا القرآن على ابن عباس وغيره من الصحابة . عن شهر قال : "عرضت القرآن على ابن عباس سبع مرات" . وعن أبي نهيك قال : "قرات القرآن على ابن عباس ، وابن عمر وجماعة ، فما رايت احدا اقرا من شهر بن حوشب" .

---

(١) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب ، اليامي الهمداني الكوفي ، ابو محمد ، ثقة قافلا زاهدا دائم الحزن ، شهد الجماجم ولم يقاتل ، وكان عثمانيا . (مات اواخر سنة ١١٢هـ على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ١٩١/٥-١٩٣ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٣/٥-٢٤) .
(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٣٥٤ .
(٣) الذهبي : نفس المصدر ، ١٨٩/٥-١٩٠ .
(٤) شهر بن حوشب ، ابو سعيد الأشعري الشامي ، مولى اسماء بنت يزيد الأنصارية ، كان من كبار التابعين ، عالما عابدا ناسكا ، ثقة ثبتا ، وتكلم فيه البعض ، والاحتجاج به مترجح . (ت ١١٢هـ على خلاف) . (انظر عنه: الذهبي : نفس المصدر ، ٣٧٢/٤-٣٧٨ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣١٥/٩-٣١٦) .

ومن القراء ابو جعفر الباقر[(١)] ، السيد الامام ، كان تاليا لكتاب الله ، كبير الشان ، ولكن لايبلغ فى القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، قال فيه مالك بن اعين :

اذا طلب الناس علم القرآ          ن كانت قريش عليه عيالا

وعطاء بن ابى رباح[(٢)] ، الامام شيخ الاسلام ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، وقد روى القراءة عن ابى هريرة ، وعرض عليه ابو عمرو .

وجعثل بن هاعان[(٣)] ، كان من القراء التابعين ، بعثه عمر ابن عبد العزيز الى المغرب ليقرئهم القرآن .

---

(١) محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ، العلوى الفاطمى ، المدنى ، ابو جعفر الباقر ، تابعى جليل كبير القدر ، واحد اعلام هذه الأمة ، وهو احد الأئمة الاثنى عشر الذين تدعيهم طائفة الشيعة ، ولم يكن الرجل على منوالهم ولاعلى طريقتهم ولايدين بما وقع فى اذهانهم وأوهامهم . وشهر بالباقر من : بقر العلم ، اى شقه فعرف اصله وخفيه ، كان احد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد ، والشرف ، والثقة ، والرزانة ، وكان اهلا للخلافة . وكان ابو جعفر اماما مجتهدا ، ومناقبه كثيرة ، ولد (سنة ٥٦هـ على خلاف ، وتوفى سنة ١١٤هـ على الصحيح) . (انظر عنه : الذهبى : سير ، ٤٠١/٤-٤٠٩ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٢١/٩ - ابن حجر :تهذيب ، ٣١١/٩-٣١٣) .

(٢) عطاء بن ابى رباح واسم ابى رباح اسلم ، الفهرى القرشى مولاهم ، المكى ، احد كبار التابعين الثقات الرفعاء ، عالما ، فاضلا ، عابدا ورعا ، كان معلم كتاب ، وكان له مجلس علم . ولد باليمن زمن عثمان وقيل عمر رضى الله عنهما ، و(ت ١١٤هـ على الصحيح) . (انظر عنه/مكى بن ابى طالب : التبصرة ، ص ١٠١ - الذهبى : نفس المصدر ، ٧٨/٥-٨٨ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣١٧-٣١٨ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٧٩/٧-١٨٣)

(٣) ابو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير الرعينى ، ثم القتبانى المصرى ، تابعى ثقة ، ولاه هشام قضاء الجند بافريقية وتوفى فى أول خلافته قريبا من (سنة ١١٥هـ) . (انظر عنه / الدباغ : معالم الايمان ، ٢٠٢/١ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٦٨/٢-٦٩) .

ومنهم عبد الرحمن بن هرمز (١) ، الامام الحافظ الحجة ، المقرئ ، كان احد من برز فى القرآن ، وقام على المصحف بعد الصحابة ، وجود القرآن واقراه . وقد اخذ القراءة عن ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما وغيرهما ، لكن معظم روايته عن ابى هريرة ، وروى القراءة عنه عرضا نافع بن ابى نعيم وغيره . وكان يكتب المصاحف ولايوكل بكتابتها الا من كان موثوقا حافظا امينا .

ومن القراء قتادة بن دعامة (٢) ، روى القراءة عن ابى العالية وانس بن مالك ، وروى عنه ابو ايوب وشعبة وابوعوانة ، وكان يدرس القرآن فى رمضان ، يقول ابو عوانة "شهدت قتادة يدرس القرآن فى رمضان" . وكان عاكفا عليه ، يقول سلام بن ابى مطيع : "كان قتادة يختم القرآن فى سبع ، واذا جاء رمضان ختم فى كل ثلاث ، فاذا جاء العشر ختم كل ليلة" ، وكان من علماء الناس بالقرآن .

---

(١) عبد الرحمن بن هرمز الاعرج المدنى ، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، تابعى ثقة عالما ، من أصحاب ابى هريرة ، عالما بالانساب والعربية ، ارتحل الى مصر فى آخر عمره ، ومات مرابطا بالاسكندرية (سنة ١١٧هـ) وقد جاوز الثمانين . (انظر عنه / مكى بن ابى طالب : التبصرة ، ص ١٠٠ – الذهبى : سير ، ٩/٦٩-٧٠ – ابن الجزرى : النشر ، ٨/١ – ابن حجر : تهذيب ، ٦/٢٦٠-٢٦١ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٩٦) .

(٢) قتادة بن دعامة بن عزيز ، السدوسى ، البصرى ، حافظ العصر وأحد علماء التابعين والائمة العاملين ، حافظا متعلما فاهلا متقنا ، ثقة ثبت مامون ، امتدحه أحمد ابن حنبل ونشر علمه ، وقد رمى بالقدر ، وكان راسا فى العربية والغريب أيام العرب وانسابها ، ولد سنة ٦١هـ و(ت ١١٧هـ على خلاف) . (انظر عنه / مكى بن أبى طالب : نفس المصدر ، ص ١٠٤ – الذهبى : نفس المصدر ، ٥/٢٦٩-٢٨٣ – ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣٢٥-٣٢٦ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٨/٣١٥-٣١٩) .

ويزيد بن رومان المدني[1] ، القارىء ، العالم ، قرا القرآن على عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة ، وقرا عليه نافع بن ابى نعيم .

وعطية بن قيس[2] ، الامام القانت ، مقرىء دمشق مع ابن عامر ، وكان قارىء الجند ، عرض على أم الدرداء ، وعرض عليه جماعة ، يقول عبد الواحد بن قيس : "كانوا يصلحون مصاحفهم على قراءة عطية بن قيس وهم جلوس على درج الكنيسة" حيث كان له دار قبلى كنيسة لليهود . ومحمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، فيذكر ان عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى قد روى عنه الحروف ، وكان يرى جواز التقديم والتاخير فى القرآن ، وله قراءته المميزة المروية عن أنس ، فكان قد قرا على أنس بن مالك وعرض عليه نافع بن ابى نعيم . ومع انه قد اقام بالشام مدة طويلة فاننا لانجد له اتصال بقرائها كابن عامر ، وعطية بن قيس ، ويحيى بن الحارث . ولعل ذلك لعدم اعتباره متخصصا فى هذا العلم ، وكونه راوية للعلم[3] .

---

(١) يزيد بن رومان الاسدى أبو روح المدنى ، مولى آل الزبير ، من رواة الحديث الثقات . مات (١٣٠هـ) . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٤/١١) .

(٢) عطية بن قيس الكلبى الدمشقى ، وقيل الحمصى ، قيل انه فيمن غزا القسطنطينية زمن معاوية ، وهو تابعى وكان لابيه صحبة ، وهو أسن أقرانه وأكبر من ابن عامر ، ولد سنة ٧هـ على خلاف ، و(ت ١٢١هـ على خلاف أيضا) . (انظر عنه / الذهبى : سير ، ٣٢٤/٥-٣٢٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٠٣/٧-٢٠٤) .

(٣) مكى بن أبى طالب : التبصرة ، ص ١٠٠ - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٤٤-٤٥ .

وبلال بن سعد السكوني[1] ، الامام الرباني ، شيخ أهل دمشق كان قارىء أهل الشام جهير الصوت ، وكان امام جامع دمشق ، فكان اذا كبر سمع صوته من الأوزاع - من قرى دمشق القريبة - وتبين قراءته من العقبة .

ويزيد بن القعقاع[2] ، القارىء ، أحد القراء العشرة ، قرأ على مولاه عبد الله بن عياش ، وأبي هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهم ، وقرأ عليه نافع ، وطائفة ، كان يقرىء قبل وقعة الحرة ، وعلم القرآن منذ زمن معاوية رضي الله عنه ، أخبر عن نفسه : "أنه كان يقرىء قبل الحرة ، وكان يمسك المصحف على مولاه ، قال : وكان - يعني مولاه ابن عياش - من أقرأ الناس وكنت أرى كل مايقرأ ، وأخذت عنه قراءته" . وتصدر للاقراء بالمدينة مدة طويلة ، وكان يجلس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لايتقدمه أحد في عمره ، وكان يصلي خلف القراء - الائمة - في صلاة التراويح في رمضان يلقنهم اذا أخطأوا ، مأمورا بذلك ، وكان امام أهل المدينة في القراءة .

---

(١) بلال بن سعد بن تميم السكوني الدمشقي ، تابعي ثقة ، لأبيه صحبة ، وهو من الزهاد العباد ، العلماء الوعاظ وكان لأهل الشام كالحسن البصري لأهل العراق . (ت نيف وعشر ومئة وقيل وعشرين ، على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ٥/٩٠-٩٣ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣٦٢-٣٦٤ - ابن حجر : تهذيب ، ١/٤٤١-٤٤٢) .

(٢) أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، المدني ، نزر في رواية الحديث لكنه امام في الاقراء ، وقد صلى بابن عمر رضي الله عنه ، ذكر أن أم سلمة رضي الله عنها مسحت على رأسه ودعت له ، وكان عابدا زاهدا . (ت ١٢٧هـ وقيل ١٣٢هـ) عن نيف وتسعين سنة . (انظر عنه / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٨٧-٢٨٨ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦) .

ومنهم ابو اسحق السبيعي (١) ، الامام الحافظ ، شيخ اهل الكوفة ، كان من القراء ، قرا عليه حمزة بن حبيب عرضا ، وكان يقرا القرآن في كل ثلاث .

ومن القراء ايضا ، عثمان بن عاصم بن حصين (٢) ، الامام الحافظ ، كان يقرا عليه في مسجد الكوفة خمسين سنة ، وقال عن نفسه : "انا اقرا من الاعمش" .

وشيبة بن نصاح (٣) ، القارىء ، كان امام اهل المدينة في القراءات في زمنه ، وابو جعفر يزيد بن القعقاع ، وقد ادرك عائشة وام سلمة رضي الله عنهما ، ودعتا الله ان يعلمه القرآن ، وقد خلف ابا جعفر القارىء بعد وفاته في الوقوف خلف الائمة في رمضان لتلقينهم اذا اخطاوا . وهو احد شيوخ نافع ، وقدم ليملي على سكينة بنت الحسين بن علي بعد موتها لفضيلة القرآن ، وهو أول من الف في الوقوف ، وكتابه مشهور كما يقول ابن الجزري .

---

(١) عمرو بن عبد الله أبو اسحق السبيعي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، من العلماء العاملين ، طلابة للعلم ، كبير القدر ، من الغزاة العباد ، وحفظة العلم . وقد تزوج امراة الحارث الاعور فوقعت اليه كتبه . ولد في اواخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، و(ت ١٢٧هـ وقيل ١٢٨هـ) عن ٩٣ سنة . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ٣٩٢/٥-٤٠١) .

(٢) ابو حصين عثمان بن عاصم بن حصين ، الأسدي الكوفي ، ثقة صالحا ثبتا ، شيخا عاليا ، صاحب سنة ، وكان عثمانيا ، (ت ١٢٨هـ على خلاف) . (انظر عنه / الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤١٢-٤١٧) .

(٣) شيبة بن نصاح بن سرجس المخزومي ، المدني القارىء ، مولى أم سلمة ، كان قاضيا بالمدينة ، وهو ثقة ، وهو أسن من نافع ، (ت ١٣٠هـ) . (انظر عنه / ابن حجر : تهذيب ، ٣٣٠/٤-٣٣١ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٧) .

ومالك بن دينار(١) ، علم العلماء الابرار ، من اعيان كتبة المصاحف ، وكان يكتب المصاحف بالاجرة ويتقوت باجرته ، وكان يقرىء الناس وله اسلوبه ، عن مالك قال : "ان الصديقين اذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم الى الآخرة ، ثم يقول : خذوا ، فيتلوا ، ويقول : اسمعوا الى قول الصادق من فوق عرشه " .

ومن القراء محمد بن المنكدر(٢) ، الامام الحافظ القدوة ، شيخ الاسلام ، كان من سادات القراء ، قال مالك : "كان ابن المنكدر سيد القراء" ، وكان له مجلس يجتمع عنده القراء فيه والصالحون ، يطعمهم الطعام ، وكان غاية فى الاتقان والحفظ .

ومن القراء ايضا ايوب السختياني(٣) ، الامام الحافظ ، سيد العلماء ، كان من القراء المتقنين ، وكان يؤم اهل مسجده فى شهر رمضان .

---

(١) مالك بن دينار السامي الناجي ، مولاهم ، البصرى ، من ثقات التابعين ، الزهاد ، الابرار ، العباد ، (ت ١٣١هـ على خلاف ) . (انظر عنه / الذهبى : سير ، ٣٦٢/٥-٣٦٤ - ابن حجر : تهذيب ، ١٣/١٠-١٤) .

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشي التيمي المدني ، ثقة حجة ، صالحا عابدا زاهدا ، ولد سنة بضع وثلاثين و(ت ١٣٠ او ١٣١هـ) . (انظر عنه / الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٥٣-٣٦١) .

(٣) ايوب السختياني ، ابو بكر بن ابى تميمة كيسان ، العنزى مولاهم ، البصرى ، سيد شباب البصرة ، العالم ، العابد ، ثقة ثبتا ، لايسال عن مثله ، حجة ، عدلا ، فاضلا ، صاحب سنة ، زاهدا من الاخيار ، ناصحا للعامة ، اليه المنتهى فى الاتقان ، جامعا للعلم ، ولد سنة ٦٨هـ ، و(ت ١٣١هـ) . (الذهبى : نفس المصدر ، ١٥/٦-٢٦) .

ويونس بن ميسرة [١] ، عالم دمشق ، كان يقرىء القرآن فى جامع دمشق .

ويتبين من عرضنا لمشاهير القراء فى هذه الفترة ، أن هذا العلم كان قد تجرد له مجموعة كبيرة من العلماء فى اقطار الدولة الاسلامية المختلفة ، فعنوا به ، وعكفوا عليه يتعلمونه وينشرونه . ومما يميز هذه الفترة ظهور عدد من ائمة القراءة السبعة ، الذين خدموا هذا العلم ، فكان لهم قراءاتهم المميزة ، وغدوا ائمة يقتدى بهم ويؤخذ باختياراتهم .

وان لوحظ قلة ذكر من الف فى هذا الفن ، فان ذلك لايعنى عدم التاليف فيه ، بل لعل الكثير منهم كتب ودون ، ولكنها قد تكون اجزاء أو صحفا ، كما دونت الكتب ، وقد اشرنا الى بعض ذلك ، ومما يذكر فى هذا الصدد ، كتاب يحيى ابن الحارث الذمارى ، وكتاب خالد بن معدان ، وقد دونا فى عدد آى القرآن ، ذكر ذلك ابن النديم ، ولابن عامر كتابان فى القراءات ، ذكرهما ابن النديم الأول هو "كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق" ، والثانى "فى مقطوع القرآن وموصوله" ، وبلاشك أن هناك كتبا اخرى الفت فى هذا العلم على يد أولئك الائمة العلماء [٢] .

---

(١) يونس بن ميسرة من حلبس الجبلانى ، الأعمى ، شامى تابعى ثقة ، كان من خيار الناس وعبادهم ، له كلام نافع فى الزهد والمعرفة ، طال عمره فبلغ ١٢٠ سنة ، وقتل على يد المسودة عندما دخلت دمشق (١٣٢هـ) . (انظر عنه / الذهبى : سير ، ٢٣٠/٥ ـ ابن حجر : تهذيب، ٣٩٤/١١-٣٩٥) .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٤٦ .

**التفسير :**

كانت نشأة علم التفسير في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، أول مفسر للقرآن الكريم، وقد اقترن التفسير في عصره، صلى الله عليه وسلم، بالوحي، حيث كان جبريل عليه السلام ينزل بالآيات ومعها تفسيرها، فلم يكن صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن برأيه، ولم يفسر منه الا القليل، كما نهى عن التفسير بغير علم (٢).

واخذ الصحابة هذا العلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث تتلمذوا عليه، واهتدوا بهديه، وقد اشتهر بعضهم بهذا العلم، كعلي بن ابي طالب، وابي بن كعب وابي هريرة، وزيد بن ثابت، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم (٣).

ثم اتى بعد الصحابة التابعون، الذين رأوا الصحابة، وسمعوا منهم، وتتلمذوا عليهم، فصار تفسيرهم مرجعا،

---

(١) التفسير في اللغة الايضاح، ومنه قوله تعالى : {ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا} (الفرقان : ٣٣).
واصطلاحا : هو علم بأصول يعرف به معاني كلام الله تعالى، أو يبين ألفاظ القرآن ومفهوماتها. (انظر : محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ١٣/١-١٤ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة، ص ١٠١).

(٢) من أجل ذلك، انظر / عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ١٠٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٤٠١ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام، ص ٤٧ ومابعدها - ولمعلومات اشمل، انظر ايضا / محمد الذهبي : نفس المرجع.

(٣) سعد الموسى : نفس المصدر، ص ١٠١ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المصدر والصفحة - أحمد أمين : فجر الاسلام، ص ١٤٩.

واعتد به ، بحكم صلتهم بالصحابة ، وابن تيمية فى مقدمته عن أصول التفسير يبين طرق التفسير بأنها : "تفسير القرآن بالقرآن ، والا فبالسنة ، فاذا لم نجد فنرجع الى قول الصحابى ، والا فآراء التابعين" (١) .

وكانت قد قامت فى الامصار المختلفة مدارس علمية ، أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون ، اشتهر بعضها بالتفسير ، فكان أشهرها فى عهد التابعين ، مكة ، والمدينة والعراق ، قال ابن تيمية : "وأما التفسير فاعلم الناس به أهل مكة ، لانهم أصحاب ابن عباس ، كمجاهد ، وعطاء بن أبى رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس ، وأبى الشعثاء ، وسعيد بن جبير ، وأمثالهم . وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود ، ومن ذلك ماتميزوا به عن غيرهم ، وعلماء أهل المدينة فى التفسير ، مثل زيد بن أسلم ، الذى أخذ عنه مالك التفسير ، وأخذ عنه أيضا ابنه عبد الرحمن ، وعبد الله بن وهب" (٢) .

وسنعرض فى الصفحات التالية لمشاهير المفسرين (٣) فى

---

(١) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٥٤-٥٥ .

(٢) محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١٠٠-١٠١ - عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ (وذكر أسماء أشهر تلاميذ هذه المدارس . وممن ذكره غير من ذكره محمد الذهبى فى فترة البحث ، عامر الشعبى وقتادة بن دعامة السدوسى ، والحسن البصرى ، من تلاميذ مدرسة العراق ؛ ومحمد بن كعب القرظى من مدرسة المدينة تلاميذ أبى بن كعب) .

(٣) تميز علماء المسلمين الأوائل بسعة العلم والتضلع فى فروعه المختلفة ، فنجد عالما قد اشتهر بالقراءات ، لكنه ذو نصيب فى علم التفسير ، وله باع فى الحديث ، وقد يكون من رجال اللغة ، وعلماء الأنساب والعارفين بالأيام والمغازى ، وهكذا . لذا فاننا قد نواجه مفسرا كنا قد ذكرناه بين القراء ، ولعلنا نلقاه محدثا =

الأقطار الإسلامية المختلفة ابان فترة هذه الدراسة وفق التسلسل الزمني لوفياتهم .

ويأتي في مقدمتهم ، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)[(١)] ، الإمام شيخ المفسرين ، وأحد تلاميذ ابن عباس ، أخذ التفسير عن استاذه وغيره ، وكان أقل أصحاب ابن عباس رواية عنه في التفسير ، وكان أوثقهم ، لهذا اعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما ، بينما لم يأخذ بتفسيره آخرون ، لأنهم كانوا يرونه يسأل أهل الكتاب ، الا انه لم يكن هناك من يطعن عليه في صدقه ، قال قتادة : "أعلم من بقي بالتفسير مجاهد" ، وقال خصيف : "كان مجاهد أعلمهم بالتفسير" ، وقال سفيان الثوري : "خذوا التفسير من أربعة : مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك" . وقد بلغ هذه المكانة ، بعد ملازمة طويلة لشيخه ، وسؤال دائم ، وحرص على التعلم فهما وتدوينا فقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة ، وقيل : ثلاث مرات يسأله عن كل آية ، يقول مجاهد عن نفسه : "عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة" . وفي رواية أخرى : "عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس ، أقفه عند كل آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت" . كما دون التفسير عن ابن عباس ، يقول ابن أبي مليكة في ذلك : "رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فقال ابن عباس : اكتب ، حتى سأله عن

---

= وفقيها أيضا . ومن هنا اكتفينا بالترجمة للعالم عند ذكره لأول مرة ، فاذا ماذكر في علم آخر ، أوردنا عنه المعلومات الخاصة بالعلم الجديد ، ووثقنا المعلومة من مصادرها ، وقد نحيل القارىء الى الترجمة ان وجدنا مايدعو لذلك .

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٢ .

التفسير كله . وقد أجمعت الامة على امامة مجاهد والاحتجاج به ، وقد اخرج له أصحاب الكتب الستة ، وهو ثقة بلامدافعة ، وان صح انه كان يسال أهل الكتاب ، فما يظن انه تعدى حدود مايجوز له من ذلك .(١)

ويقال ان أول من دون في التفسير مجاهد ، وتفسيره غير موجود ، والصحيح انه ممن دون في التفسير ، لكنه لم يكن أولهم ، حيث ذكر آخرون سبقوه الى تدوين التفسير ،(٢) ثم يعقب السيد أحمد خليل على ذلك(٣) بان مجاهد كان راويا عن ابن عباس فتفسيره رواية لتفسير ابن عباس . ونستدرك نحن هذا القول ، بانه ليس من اللازم أن يكون التفسير المنسوب الى مجاهد ، هو عينه الرواية التي أشارت المصادر الى أن مجاهد دونها عن ابن عباس ، فلعله دون تفسيرا آخر معتمدا فيه على

---

(١) من أجل ذلك ، (انظر : الذهبي : سير ، ٤/٤٤٩-٤٥٧ — ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٢٣٢ — محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١/١٠٤-١٠٥ — احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٤-٢٠٥،١٧٤ — عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥ — الشيخ محمد الخضري : تاريخ التشريع الاسلامي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة التاسعة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، ص ١١٦) .

(٢) أشار ابن النديم الى تدوين ابن قدامة الثقفي (ت٦١هـ) في التفسير ، كما دون سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) لعبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) كتابا في التفسير ، وهناك تفسير أبي العالية رفيع بن مهران (ت ٩٠هـ) ، ولعل هناك غيرهم لم يردنا شيء عنهم ، ولم تصلنا تفاسيرهم، وفي هذا دلالة على أن هناك من دون في التفسير قبل مجاهد بن جبر . (عن ذلك انظر / السيد أحمد خليل : نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م ، ص ٤٣-٤٤ — خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٥٧ — عبد الله محمود شحاتة : نفس المرجع، ص ٩٢-١٠٤،١١٢ — محمد خفاجي : الحياة الأدبية في عصر بني أمية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، ص ٣١) .

(٣) نفس المرجع ، ص ٤٣-٤٤ .

مادونه عن ابن عباس وغيره من علماء الصحابة الذين ادركهم .

وعكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)(١) ، العلامة الحافظ المفسر البحر ، طلب العلم أربعين سنة ، وكان ابن عباس يقيده ويعلمه القرآن والسنن ، فكان اكثر تلاميذه رواية عنه قال الشعبي : "مابقي احد اعلم بكتاب الله من عكرمة" . وقال قتادة : "... واعلمهم بالتفسير عكرمة" ، وقال الثوري "خذوا التفسير عن أربعة : عن سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك" ، وكان واسع العلم بالقرآن ، زعم انه لايخفى عليه شيء منه ، وكان يحث الناس على سؤاله ، ويزيدهم على ماسالوا ، وقال عن نفسه : "لقد فسرت مابين اللوحتين" فكان كما وصف من بحور العلم والعلماء الربانيين والمفسرين المكثرين ، وكان كثير الترحال بين الاقطار ، فنشر علمه في البلاد التي حل بها ، وكان العلماء يعرفون قدره ، فمنهم من يمسك عن التعليم اذا حل عليه عكرمة ، ويترك ذلك له ، حيث يذكر أن الحسن البصري ، كان اذا قدم عكرمة البصرة ، امسك عن التفسير والفتيا .

ولعل في هذه الاقوال مايشهد لمكانته العلمية ، وبخاصة في التفسير ، ولاعجب في ذلك ، بعد ماعلمناه من ملازمته لمولاه ابن عباس ، وحرص مولاه على تعليمه ، فكان وارث علم ابن عباس والحائز على اعجابه وثقته وتقديره لفهمه ، حتى أذن له بالفتيا في حياته ، والاكثر من ذلك ماذكر من انه قد بين لابن عباس بعض ما اشكل عليه من القرآن ، لهذا لم يخل تفسير من التفاسير بالماثور من رواياته وتفسيره ، وقد ذكر

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٢ .

ابن النديم وغيره ، ان له كتاب في التفسير .(١)

والضحاك بن مزاحم الهلالي(٢) ، احد اوعية العلم ، كان اماما في التفسير ، وله باع كبير فيه ، وعرف به . قال الثوري : خذوا التفسير عن اربعة ، مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك . قيل : لقي ابن عباس ، وقيل : لم يلقه ، وانما لقي سعيد بن جبير بالري فاخذ عنه التفسير ، وهذا أصح ، كما اخذ التفسير عن غيره من التابعين ، فلم يشافه أحدا من الصحابة ، واما روايته عن ابن عباس وابى هريرة وجميع من روى عنهم من الصحابة، ففي ذلك كله نظر .

وطاووس بن كيسان اليماني(٣) ، كان عالما محققا خبيرا بكتاب الله تعالى ، فقد ادرك كثيرا من الصحابة واخذ عنهم ثم انقطع الى ابن عباس ، وكان من خاصة تلاميذه ، فاخذ عنه التفسير ، اكثر مما اخذه عن غيره .(٤)

وممن ذكرت لهم مشاركات في علم التفسير ، وبعضهم لايقل

---

(١) من اجل ذلك ، (انظر : ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٥٤/٩-٢٦٠ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠١-١٠٣ - محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٠٧/١-١١٢ - احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٤-٢٠٥) .

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، ابو القاسم ، ويقال ابو محمد ، الخراساني ، تابعي جليل ، روى الحديث عن جماعة من التابعين ، وذكر روايته عن بعض الصحابة ، غير انه قيل : لم يصح له سماع من الصحابة . وثقه احمد وابن حبان ، وقال ابن سعيد القطان : كان ضعيفا، وكان ببلخ وسمرقند ونيسابور، وكان يعلم الصبيان حسبة (ت ١٠٥ أو ١٠٦هـ) . (عن ترجمته وما أوردناه عنه / الذهبي : سير ، ٥٩٨/٤-٦٠٠ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٣١ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٩٧/٤-٣٩٨ - اليافعي : مرآة ، ٢٤٢/١) .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .

(٤) محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١١٢-١١٣ - عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٦٥-٩٦ .

باعا عن المشاهير ، سالم بن عبد الله بن عمر (ت ١٠٥هـ) ، وعبيد بن حنين (ت ١٠٥هـ) ، والقاسم بن محمد بن ابى بكر (ت ١٠٧هـ)[١] .

ومن مشاهير المفسرين ، الحسن البصرى (ت ١١٠هـ)[٢] ، فقد كان عالما جامعا ، غزير العلم بكتاب الله ، قال حماد بن سلمة عن حميد : "قرات القرآن على الحسن ففسره على الاثبات" يعنى اثبات القدر ، وفى ذلك كان يقول : "من كذب بالقدر فقد كفر" ، وينسب الى الحسن تفسير للقرآن رواه عنه عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة ، وانتفع به الثعالبى (ت ٧٢٧هـ)[٣] .

ومحمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ، ابو جعفر الباقر (ت ١١٤هـ)[٤] ، السيد الامام العالم العامل كبير الشان ، عالى المكانة .

يقول سعد الموسى[٥] : الا انه حسب قول الامام الذهبى : "لايبلغ فى القرآن درجة ابن كثير ونحوه ، ولافى الفقه درجة أبى الزناد ، وربيعة ، ولافى الحفظ ومعرفة السنن درجة قتادة وابن شهاب ، فلانحابيه ولانحيف عليه ونحبه فى الله لما تجمع فيه من صفات الكمال ، وله فى العلم وتفسير

---

(١) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٦ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٥٧ .

(٣) محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١٢٤-١٢٥،١٤٤ ـ عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، نقله الى العربية ، عبد الحليم النجار (الثلاثة الأجزاء الأولى) ، والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب (الثلاثة أجزاء الأخيرة) دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١/٢٥٧ .

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .

(٥) نفس المرجع ، ص ١٠٣ ـ محمد خفاجى : الحياة الادبية فى العصر الأموى ، ص ٣١ .

القرآن آراء واقوال . وذكر ان له تفسير رواه عنه احد الشيعة الزيدية " .

ومن المفسرين ، عطاء بن أبى رباح (ت ١١٤هـ)[١] ، وهو من تلاميذ ابن عباس ، والمتتبع للرواة عن ابن عباس يجد ان عطاء لم يكثر الرواية كما اكثر غيره ، ويجد مجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة يسبقونه من ناحية العلم بتفسير كتاب الله لكن هذا لايقلل من قيمته بين علماء التفسير ، ولعل اقلاله فى التفسير يرجع الى تحرجه من القول بالرأى ، فقد قال عبد العزيز بن رفيع : سئل عطاء عن مسالة فقال : لاادرى ، فقيل له : الا تقول فيها برايك ؟ قال : انى استحى من الله ان يدان فى الأرض برايى[٢] .

وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٧هـ)[٣] ، حافظ العصر وقدوة المفسرين ، عالم حجة ، صدوقا عدلا ، الا انه كان يرى القدر . قال احمد بن حنبل : "كان قتادة عالما بالتفسير وباختلاف العلماء ، ثم وصفه بالفقه والحفظ ، واطنب فى ذكره وقال قلما تجد من يتقدمه " . وقد كان راسا فى العربية والغريب وايام العرب وانسابها ، واسع الاطلاع فى الشعر العربى ، على مبلغ عظيم من العلم ، ومن هنا جاءت شهرته فى التفسير فكان من علماء الناس فى القرآن . قال ابو عمرو بن العلاء : حسبك قتادة ، ولولا كلامه فى القدر ، وقد قال

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .
(٢) محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١١٣-١١٤ ـ عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٥-٩٦ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اذا ذكر القدر فامسكوا"(١) ماعدلت به احدا من اهل دهره . وكان قتادة يدرس القرآن فى رمضان ، وكان لايقول برايه ، قال ابو هلال : "سالت قتادة عن مسالة ، فقال : لاادرى ، فقلت : قل فيها برايك ، قال : ماقلت براى منذ اربعين سنة ، وكان يومئذ له نحو من خمسين سنة . قلت : فدل على انه ماقال فى العلم شيئا برايه"(٢) .

ومن المفسرين عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ)(٣) .

ومن مشاهيرهم ايضا ، محمد بن كعب القرظى(٤) ، الامام العلامة ، احد ائمة التفسير واوعية العلم ، كان عالما بتفسير القرآن وتاويله ، قال عون بن عبد الله : "مارايت

---

(١) ونص الحديث كاملا : "اذا ذكر اصحابى فامسكوا ، واذا ذكر النجوم فامسكوا ، واذا ذكر القدر فامسكوا" . اخرجه الطبرانى فى الكبير ٧٨/٢ - وابو نعيم فى الحلية ، ١٠٨/٤ . وفى اسناده نظر وقال ناصر الدين الالبانى عنه ماملخطه : روى هذا الحديث من طرق كلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضا ، وقد وجدت للحديث شاهدا مرسلا اخرجه عبد الرزاق فى الامالى بسند صحيح لولا ارساله ، ولكنه مع ذلك شاهد قوى لما قبله من الشواهد والطرق وخاصة الطريق الأول ، فقوى الحديث به . (والمعلومات اوسع ، انظر : السلسلة ، ٤٢/١ ومابعدها) .

(٢) من اجل ذلك ، (انظر / الذهبى : سير ، ٢٦٩/٥-٢٨٣ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٢٦/٩ - محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١٢٥/١-١٢٦ - احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٥) .

(٣) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٦ .

(٤) محمد بن كعب القرظى ، ابو حمزة المدنى ، الامام العلامة الصادق ، تابعى ، ثقة ، عدل ، صالحا ، عابدا ورعا ، من أفضل اهل المدينة ، مجاب الدعوة ، كبير القدر . قيل ولد فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يصح ذلك ، وقيل : ولد فى آخر خلافة على رضى الله عنه (سنة ٤٠هـ) ، و(ت ١١٧هـ على خلاف) . (انظر عنه / الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٦٥-٦٨ - ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨-٢٧٠ - ابن حجر : تهذيب ، ٣٧٣/٩-٣٧٤) .

أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظى" . ووصفه العجلى : بأنه عالم بالقرآن" ، وقال ابن كثير : "كان عالما بتفسير القرآن" ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله : "يخرج من أحد الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لايدرسها أحد يكون من بعده " والكاهنان قريظة والنضير ، قال ربيعة : فكنا نقول هو محمد بن كعب . وظل يتدارس التفسير ، حتى مات بمسجد الربذة - من قرى المدينة ، على مسيرة ثلاثة أيام منها - مع جلسائه من جراء سقوط المسجد عليهم على أثر زلزلة حدثت ، وقد ذكر أن محمد بن كعب ممن صنف كتابا فى التفسير[(١)] .

وممن ساهم فى اثراء علم التفسير ، محمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ)[(٢)] ، فقد اضطلع بتفسير بعض الآيات القرآنية من ذلك تفصيل مواضع الصدقات فى الأصناف الثمانية التى ذكرها الله تعالى فى آية الصدقات ، وهى قوله عزوجل : {انما الصدقات للفقراء والمساكين ... الآية}[(٣)] ، وذلك بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فبين له ذلك[(٤)] .

ومن مشاهير المفسرين ، اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى

---

(١) ابن حجر : تهذيب ، ٣٧٣/٩-٣٧٤ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٣-١٠٤ - محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١١٦/١ .
(٢) انظر ترجمته قبل : ص ١٠٣ .
(٣) التوبة : ٦٠
(٤) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٥٥ - محمد الحسينى : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ، ص ١٣٠ - سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٠٧ .

كريمة السدى[1] ، الامام المفسر ، العالم بالقرآن ، قال العجلي عنه : "ثقة عالم بالتفسير" ، ومر ابراهيم النخعي بالسدى وهو يفسر ، فقال : "انه ليفسر تفسير القوم" ، لكن الشعبي يجهله ، اذ يقول عبد الله بن حبيب بن ابي ثابت : "سمعت الشعبي ، وقيل له أن السدى اعطى حظا من علم القرآن فقال : ان اسماعيل قد اعطى حظا من الجهل بالقرآن" . قال الذهبي : "ما احد الا وما جهل من علم القرآن اكثر مما علم ، وقد قال اسماعيل بن ابي خالد : كان السدى اعلم بالقرآن من الشعبي رحمهما الله" . ولعل اسماعيل السدى كان ممن يفسر القرآن بالرأى ، فرأى الشعبي ذلك جهلا ، لانه كان لايجترا على التفسير ، ولايفسر برأيه"[2] . وقد حكى عن احمد : "انه ليحسن الحديث - يعني السدى - الا ان هذا التفسير الذى يجيء به ، قد جعل له اسنادا واستكلفه" ، وقول احمد يبين ان السدى اعتمد منهج الاسناد في التفسير كالمحدثين ، وتكلف في ذلك .

وممن اسهم في علم التفسير ، محمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ) ، وابو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣١هـ)[3] .

اولئك ثلة من ائمة التفسير في تلك الحقبة من الزمن ، وقلما تجد عالما من الأوائل لايدلى بدلوه في كثير من العلوم

---

(١) اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدى ، مولى قريش ، الكوفي ، روى عن أنس وابن عباس وعطاء وعكرمة وغيرهم ، ورأى ابن عمر والحسن بن على وابي هريرة وغيرهم ، ثقة صدوق ، وتكلم فيه بعضهم ، (ت ١٢٧هـ) . (انظر عنه / الذهبي : سير ، ٥/٢٦٤-٢٦٥ - ابن حجر : تهذيب ، ١/٢٧٣-٢٧٤) .

(٢) انظر ماسنكتبه حول ذلك في الصفحات التالية .

(٣) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠٧ .

المختلفة ، وماذلك الا لسعة اطلاعهم وتبحرهم في العلوم ، الا ان من كبار العلماء من كان يعظم تفسير كتاب الله ، ، فيتوقف عنه ولايتجرا عليه ، تورعا واحتياطا لانفسهم ، مع ادراكهم وتمكنهم وتقدمهم ، من هؤلاء عامر الشعبي[(١)] (ت ١٠٩هـ) الذى مع مارزقه من وافر النصيب من العلم ، لم يكن جريئا على كتاب الله ليقول فيه برايه ، بل كان يتحرج ويتوقف عن اجابة سائليه اذا لم يكن عنده شيء عن السلف ، وقد اخرج الطبرى عن الشعبي انه قال : والله مامن آية الا سالت عنها ولكنها الرواية عن الله . واخرج عنه ايضا : ثلاث لااقول فيهن حتى اموت : القرآن ، والروح ، والراى . لذا وجدنا الشعبي ناقدا لرجال التفسير في عصره ، وكثيرا مايصرح بالطعن على من لايعجبه مسلكه في التفسير من معاصريه ، فقد ذكر ابو حيان[(٢)] : ان الشعبي كان لايعجبه تفسير السدى ، ويطعن عليه وعلى ابي صالح ، لانه كان يراهما مقصرين في النظر ، وروى ابن جرير ان الشعبي كان يمر بابي صالح باذان ، فياخذ باذنه فيعركها ويقول : تفسر القرآن وانت لاتقرا القرآن ، ومر على السدى وهو يفسر فقال له : لأن تضرب على استك بالطبل خير لك من مجلسك هذا[(٣)] .

ويتضح من ذكرنا لمفسرى هذه الفترة ، أن علم التفسير حظى باهتمام العلماء ، فنبغ فيه جماعة منهم ، عنوا به ،

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .
(٢) انظر نقد الشعبي له في الصفحة السابقة .
(٣) محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٢٣/١ (ولم يكن الشعبي وحده يتوقف عن التفسير بالراى ، فقد ورد معنا خلال حديثنا في الصفحات السابقة ، ان من مشاهير المفسرين من كان لايقول برايه ، وممن ذكرنا ، عطاء بن ابي رباح ، وقتادة بن دعامة السدوسي) .

ونشروه ، ودونوا فيه ، وابرز مدارسه في هذه الفترة مكة والمدينة والعراق ، ثم ياتي الشام ومصر ، اما الاقاليم الشرقية وارمينية وافريقية والاندلس ، فلم تكن الحركة العلمية بشكل عام قد تبلورت فيها ، لقرب عهدها بالفتح ، لهذا لاتمدنا المصادر بمعلومات شافية عن علمائها ، وهذا لايعني خلوها من اي نشاط علمي ، فقد كان قد استقر بها بعض العلماء بعد حركة الفتح ، وعنوا بنشر الدين وتعليم مبادئه، كما رحل اليها آخرون من المراكز العلمية المشهورة ، فنقلوا اليها العلوم وقاموا بالتدريس فيها . من ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ارتحال عكرمة الى افريقية ، وتصدره للتدريس في جامع القيروان ، عندما جاء الى افريقية واستوطنها لبعض الوقت ، وليس ثمة شك في ان التفسير كان أحد العلوم الذي علمها هناك ، وهو المفسر المبرز .(١)

كما عرفنا أن تفسيرهم للقرآن كان بالمأثور ، الا ماذكر عن بعضهم من اعمالهم الراي في التفسير كابي جعفر الباقر الذي كان له فيه اقوال وآراء ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم . كما رجع بعضهم الى أهل الكتاب كمجاهد ، وكان القول بالراي والاعتماد على أهل الكتاب مدعاة نقد لمن أخذ به ، فتحرج منه الكثير من المفسرين وتوقفوا عنه ، وكان بعضهم لايفسر الا بشيء من الاثر ، كالشعبي .(٢)

---

(١) عن تصدى عكرمة للتدريس في جامع القيروان ، (انظر / يوسف حوالة : الحياة العلمية في افريقية ، ص ١٠٧-١٠٨، ٤١٤) .

(٢) اتضحت هذه الامور من خلال حديثنا عن مشاهير المفسرين في الصفحات السابقة .

ومما يذكر أن علم التفسير في هذه الفترة ، كان فرعا من علم الحديث ، وممزوجا بالفقه والسيرة ، فظهر في مجاميع الحديث وبجانب موضوعات الفقه والسيرة ، حيث كان التفسير لآيات مبعثرة متفرقة ، غير مرتبة حسب السور والآيات ، الا تفسير ابن عباس الذي يشك في نسبته اليه ، فحركة علم التفسير ظهرت منذ فجر الاسلام ، وتدوينه حدث منذ القرن الاول الا أن ظهور التفسير كعلم مميز ، وشامل لكل القرآن وفق ترتيب سوره وآياته ، قد جاء في العصر العباسي ، لذلك قالوا : ان واضع التفسير مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) ، بمعنى جامعه لامدونه ، وأول تفسير للقرآن كاملا وصل الينا هو تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) ، بينما وصل الينا بعض مدونات التفسير الاثرى القديمة ، كتفسير يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧هـ)(١) .

وفي عصر التابعين ، ازداد التفسير بالاسرائيليات والنصرانيات ، لكثرة من دخل منهم في الاسلام ، وميل النفوس لسماع التفاصيل مما يشير اليه القرآن من أخبار عن اليهود والنصارى ، وأخبار بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، وبدء الكائنات ، وكثير من القصص ، فأخذ المفسرون دون تحر أو نقد عن مسلمي أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ولعل تساهل المسلمين في الأخذ عنهم ، لأنه لايترتب

---

(١) من أجل ذلك ، انظر / حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ، ٥٠٣/١ — السيد أحمد خليل : نشأة التفسير ، ص ٤٣-٤٤ — عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، ص ٩٢، ١٠٤-١١٢ — بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٧/٤ .

على مايحكى عنهم استنباط حكم شرعي او نحوه ، ولاشك ان هذا الامر ماخوذ على التابعين كما هو ماخوذ على من جاء بعدهم [(١)] .

كما تاثر التفسير بظهور الفرق والخلاف المذهبي ، فنجد الحسن البصري يفسر القرآن على اثبات القدر ، بينما يتهم قتادة بن دعامة السدوسي بانه قدري ، ولاشك ان هذا اثر على تفسيره ، وكان بعض الناس يتحرج من الرواية عنه لذلك ، واخذت بعض الفرق تفسر القرآن وفق معتقداتهم ، فنجد محمد ابن مسلم الزهري ، يرد على السبابية في قولهم بالرجعة اعتمادا على قوله تعالى : {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد} [(٢)] ، فقال لهم : معاده يوم القيامة [(٣)] .

وفي هذا العصر احتفظ التفسير بطابع التلقي والرواية لكنه لم يكن تلقيا بالمعنى الشامل كما هو في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، بل غلب عليه رواية علماء كل مصر عن امام مصرهم ، فالمكيون عن ابن عباس ، والمدنيون عن ابي بن كعب ، والعراقيون عن ابن مسعود ... وهكذا ، كما ظهر الاختلاف بينهم في التفسير ، وان عد قليلا بالنسبة لمن جاء بعدهم من متاخري المفسرين [(٤)] .

---

(١) من اجل ذلك ، (انظر : احمد امين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٥ محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٣٠/١ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٥٨) .

(٢) القصص : ٨٥

(٣) عن ذلك ، (انظر : محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١٣١ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص٥٥) .

(٤) محمد الذهبي : نفس المرجع والجزء ، ص ١٣٠-١٣١ .

## الحديث[(١)] :

كان عمر بن عبد العزيز قد أمر بجمع السنة[(٢)] وتدوين الحديث وتعليمه ونشره ، وبعث الى الأمصار ماألف من ذلك فى عهده[(٣)] ، فهل كان عهد يزيد استمرارا لتلك الحركة ، وماموقف علماء عهده منها ؟

فى الواقع اننا لم نلحظ على المستوى الرسمى فى عهد يزيد بن عبد الملك اثرا لأمر عمر بن عبد العزيز فى هذا الشأن ، ولعل خلفه يزيد ، لم يأبه بذلك ، وان كنا لانملك مايفيد توقف العمل بما أمر به عمر بن عبد العزيز . فقد يكون الباب الذى فتحه عمر لتدوين الحديث بشكل رسمى ، قد ظل مفتوحا ، ولكن بعيدا عن توجيه الدولة ، واشرافها ، وعونها .

---

(١) الحديث : هو ماأضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خلقية أو خلقية . (انظر : محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٢١-٢٢ -خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٦٠ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٠٩ .

(٢) لم تكن السنة مرادفة للحديث فى القرنين الأولين للهجرة ، وانما كانت أعم فى مدلولها عند الفقهاء ، بحيث شملت الأحكام المستنبطة ، مما أضيف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب فهى عندهم الطريقة المتبعة فى الدين من غير افتراض ولاوجوب . وهى عند علماء أصول الفقه : مايصلح أن يكون دليلا لحكم شرعى مما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القرآن . أما عند المحدثين : فترادف الحديث ، وتطلق أحيانا عند المحدثين وعلماء أصول الفقه ، على ماعمل به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء كان ذلك فى الكتاب أم المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أوغير ذلك . (انظر : خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٥٩ - محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ١٦-١٩) .

(٣) انظر ماأوردناه عن أمر عمر هذا ، قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

اما اهم آثاره على المستوى العام ، وفي أوساط العلماء وطلاب العلم ، فتخفيف كراهة التدوين ، ومن ثم زوالها ، فلم يكن تدوين عمر للحديث مطلع القرن الثاني نهاية حاسمة لكراهة الكتابة واباحتها ، كما قال محمد الخطيب[(١)] ولكنه خفف الكراهة ، خصوصا ان ذلك الامر قد جاء من امير المؤمنين ، العالم ، والذى مما لاشك فيه انه لم يتخذ قراره ذلك دون استشارة أهل العلم والرأى[(٢)]. وهو الخليفة الذى سار بالخلافة على سيرة الراشدين ، كما انه قد توافر من الاسباب في تلك الفترة ماجعل تدوين الحديث والسنن ضرورة ملحة ، من ذلك وفاة كثير من حفاظ الحديث والسنن ، وكثرة الوضع في الحديث ، واستطالة السند،وانقطاع الاحاديث، ووجود المجاهيل في الاسانيد ، وعدم تدوينها في القرن الأول بشكل شامل ومتكامل ، مما دعا عمر بن عبد العزيز الى امره بتدوينها ، واستجابة العلماء لأمره ، خصوصا بعد ادراكهم لتلك الاسباب واطمئنانهم لرسوخ القرآن في القلوب[(٣)].

لكن الكراهة مع ذلك استمرت عند بعض العلماء ، فهاهو الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ أو ١٠٦هـ) الذى اباح الكتابة سابقا ، وحث عليها ، والذى املى مناسك الحج على تلاميذه[(٤)] ،

---

(١) السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٣ .

(٢) صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحه ، عرض ودراسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١م ص ٤٤-٤٥ .

(٣) من أجل ذلك انظر / فوزى رفعت : توثيق السنة في القرن الثاني الهجرى اسسه واتجاهاته ، رسالة مطبوعة ، مكتبة الخانجي ، بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ص ٦٣-٧١ – حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامي ، ص ٢٢٠ – خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٦٦-٦٧،٧١،٧٥-٧٦ – السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠١ .

(٤) صبحي الصالح : نفس المرجع ، ص ٤٧-٤٨ .

يقول : "لاتتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف" ، وفي رواية : "ياتي على الناس زمان يعلق فيه المصحف حتى يعشعش عليه العنكبوت لاينتفع بما فيه ، وتكون أعمال الناس بالروايات والاحاديث" كره ذلك عندما راى اقبال الناس على الكتابة ، وجعل الحديث في دفاتر وكراريس . كما كره ذلك الزهري ، الذي فيما يبدو كان مكرها على كتابة الحديث ، اذ يقول : "كنا نكره كتاب العلم ، حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فراينا الا نمنعه احدا من المسلمين" ، ومما يدل على استمرار كراهته لذلك حتى بعد كتابته الحديث بامر عمر ، قوله بعد ان أمره هشام بن عبد الملك ، ان يكتب لبنيه ، اذ خرج واملى على الناس الحديث ، وقال :"استكتبني الملوك ، فاكتبتهم ، فاستحييت الله اذ كتبتها الملوك الا اكتبها لغيرهم" (١) .

كما اشتهر القاسم بن محمد (ت ١٠٧هـ) ، الذي امر عمر بجمع ماعنده من المرويات عن عائشة رضي الله عنها ، القول بكره التدوين (٢) .

كما كان بعض العلماء يوصي بكتبه بعد موته الى احد العلماء خشية وقوعها في غير مواضعها .

فقد أوصى ابو قلابة (ت ١٠٤هـ) الى أيوب السختياني (ت ١٣١هـ) فجيء بها في عدل بعير (٣) .

ويبدو أن العلماء أدركوا خطورة بعض الأسباب الملحة

---

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٣-٣٣٤ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) صبحي الصالح : علوم الحديث ، ص ٤٧ .
(٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٣٥،٣٥٤ .

والداعية الى التدوين ، ومنها الوضع ، فكان ذلك دافعا لهم للكتابة بعد كراهتها . يقول الزهرى : "لولا احاديث تاتينا من قبل المشرق ننكرها لانعرفها ماكتبت حديثا ولااذنت فى كتابة "[(١)] .

كما نجد من بين العلماء فى هذه الفترة من يرد على كارهى الكتابة ، حيث نرى ايوب السختيانى (ت ١٣١هـ) يقول : "يعيبون علينا الكتاب ثم يتلو {علمها عند ربى فى كتاب}" ونجد لقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٨هـ) اجابة للسائل عن كتابة الحديث ، قول كقول ايوب السابق[(٢)] .

ولعل امر عمر بن عبد العزيز بتدوين السنة ، والأسباب الداعية لذلك ، وتغير مواقف بعض العلماء وآرائهم نحو الكتابة ، قد ادى الى زوال ذلك الخلاف ، واجمع المسلمون على تسويغ ذلك ، واباحته ، حيث انضم مانعو الكتابة الى التيار العام الذى كان اقوى منهم ، فاعتمدت الكتابة كوسيلة هامة لحفظ الحديث والسنة[(٣)] . وقد ادى هذا الى تاليف اعداد كبيرة من الكتب ، وشاع التدوين ، حتى ندر الا نرى لأحد العلماء تصنيفا او جامعا . وممن شارك فى التصنيف فى هذه الفترة ، محمد الزهرى ، الذى حملت كتبه على الدواب ، عندما اخرجت من خزائن الوليد بن يزيد بعد مقتله[(٤)] .

وخالد بن معدان (ت ١٠٤هـ) ، الذى قال بعضهم انه اول

---

(١) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٥-٧٦ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠١ .
(٢) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٣٦-٣٣٧ ، ٣٢٧-٣٢٨ .
(٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٣٥-٣٣٧ .
(٤) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٥٥ .

من كتب الحديث ، وان علمه كان في مصحف له ازرار وعرى ، والصحيح أن اول من دون الحديث رسميا هو الزهري (ت ١٢٤هـ) كما انه لم يكن أول المدونين شخصيا فقد سبقه الكثير منذ عهد المصطفى عليه السلام .(١)

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ)(٢) ، كما الف محمد العامري (ت ١٢٠هـ) كتابا سماه الموطا ، جمع فيه الاحاديث لتكون اساسا للفقه ،وكانوا يفضلونه على موطا مالك ، وعابوا عليه انه لم يصحح عقد الرجال ،(٣) ويحيى بن ابى كثير (ت ١٢٩هـ)(٤) .

ويدل على انتشار التدوين والجمع ، قراءة التلاميذ على اساتذتهم ، واملاء الاساتذة عليهم ، يقول الوليد بن ابى السائب : رايت مكحول (ت ١١٢هـ) ونافعا (ت ١١٧هـ) وعطاء (ت ١١٤هـ) تقرا عليهم الاحاديث ، ويقول عبيد الله بن ابى رافع : "رايت من يقرا على الاعرج عبد الرحمن بن هرمز (ت١١٧هـ) ، حديثه عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : "هذا حديثك يا ابا داود ؟ قال : نعم" كما كان نافع مولى ابن عمر (ت١١٧هـ) يملى على طلابه وهم يكتبون بين يديه .(٥)

وقد كانت طريقة علماء هذا العصر في التدوين ـ كالزهري ـ انهم يخصون كل مؤلف بباب من ابواب العلم يجمعون فيه الاحاديث المتناسبة ، مختلطة باقوال الصحابة

---

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٢-٣٦٤ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) خليل الزرو : نفس المرجع والصفحة ـ محمد الخطيب :نفس المرجع ، ص ٣٢٧ .
(٣) محمد خفاجي : تاريخ الأدب في العصر الأموى ، ص ١٧ .
(٤) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٥٧ .
(٥) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٢٧-٣٢٨ .

وفتاوى التابعين[1] .

وسنعرض في الصفحات التالية لذكر بعض من اشهر المحدثين الذين زخرت بهم تلك الفترة[2] ، وفي ثنايا ذلك سنرى جهودهم وشيء من سمات هذا العلم آنذاك ، والتي سنحاول الخلوص اليها وتحديدها بعد ذكر هؤلاء العلماء ، وهم :

وابو قلابة عبد الله بن زيد[3] ، الامام شيخ الاسلام ، من ائمة الهدى ، كثير الحديث ، كان يكتب حديثه ، فترك مجموعة كبيرة من الكتب ، يقول مالك : "مات ابن المسيب والقاسم ولم يتركوا كتبا ، ومات ابو قلابة ، فبلغني انه ترك حمل

---

(١) حسن الشاذلي : المدخل للفقه الاسلامي ، ص ٢٢٢ .

(٢) اخترنا مجموعة من مشاهير المحدثين ، والذين قد يكون بعضهم علماء مبرزين في بعض العلوم الاخرى ، وتركنا جماعات اكثر منهم ، قد لايقل بعضهم عمن ذكرنا شهرة ودورا في خدمة هذا العلم وحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشية الاطالة ، ولأن الهدف من ذكرهم هو تلمس معالم وسمات هذا العلم والتاريخ له في ضوء ذلك .

(٣) ابو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري ، كان من ائمة الهدى الفقهاء ، تابعي صالح ، وكان يحمل على علي ولم يرو عنه شيئا ، ذو لب وعلم ، هرب من القضاء ونزل داريا ، (ت١٠٤هـ على الأرجح) . (انظر عنه : الذهبي : سير ، ٤٦٨/٤-٤٧٥ – ابن كثير : البداية ، ط٤ ٢٤٠/٩ – ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٧/٥-١٩٩ – ابوزرعة تاريخ ابي زرعة ، ٦٩٣/١-٦٩٤) .

بغل كتبا " . وقد أوصى بكتبه لأيوب السختياني ، فحملت اليه قال ايوب : "فلما جاءتني الكتب اخبرت ابن سيرين ، وقلت له احدث منها ؟ قال نعم ، ثم قال : لاآمرك ولاانهاك" . لكنه كان لايكثر من الحديث في المجلس الواحد . يقول خالد الحذاء كان ابو قلابة اذا حدثنا بثلاثة احاديث ، قال : قد أكثرت ، وكان يدلس ويرسل ، وهو ثقة .

وطاووس بن كيسان (ت ١٠٦هـ) [(١)] ، العالم الحافظ ، حديثه في دواوين الاسلام ، وكان يعد الحديث حرفا حرفا ، وقال لحبيب بن ابي ثابت : "اذا حدثتك الحديث ، فاثبته لك ، فلاتسالن عنه أحدا" . وهو ثقة صدوقا ، حجة باتفاق [(٢)] .

وعمرة بنت عبد الرحمن [(٣)] ، يقول الذهبي : "كانت عالمة ، فقيهة ، حجة ، كثيرة العلم" . من اعلم الناس بحديث عائشة رضي الله عنها ، لذا كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز الى ابن حزم ان يكتب له احاديث عمرة ، عندما امر بتدوين الحديث والسنن [(٤)] . كما كانت رحمها الله من أوعية العلم وبحر لاينزف ، وحديثها كثير في دواوين الاسلام ، وهي ثقة .

والقاسم بن محمد بن ابي بكر (ت ١٠٧هـ) [(٥)] ، كان من اعلم الناس بالسنة ، يقول ابو الزناد : "مارايت احدا أعلم

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .

(٢) انظر عنه : الذهبي : سير ، ٣٨/٥-٤٩ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٤٤/٩-٢٥٣ - ابن حجر : تهذيب ، ٨/٥-٩ .

(٣) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصارية المدنية ، تربت في حجر عائشة رضي الله عنها وتتلمذت عليها ، قيل لأبيها صحبة وجدها من قدماء الصحابة واخو النقيب اسعد بن زارة . (ت ١٠٦هـ على خلاف) . (انظر عنها /الذهبي : نفس المصدر ، ٥٠٧/٤-٥٠٨ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٦٦/١٢) .

(٤) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

(٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

بالسنة منه ولا أحد ذهنا" . فقد كان يحدث بالحديث على حروفه وكان مع عروة بن الزبير وعمرة أعلم الناس بحديث عائشة ، لذلك كان عمر بن عبد العزيز قد أمر ابن حزم أن يكتب حديث القاسم عندما أمر بتدوين الحديث والسنن[(١)] ، وكان كثير الحديث ، ثقة[(٢)] .

وعامر الشعبي (ت ١٠٩هـ)[(٣)] الحافظ المحدث ، كان واحد زمانه في فنون العلم ، قوي الحفظ لايكتب ، قيل انه سمع الحديث من مئة وخمسين صحابيا الى جانب كثير من التابعين ، رواه عن ذاكرته ولم يدون حرفا ، يقول عاصم : "مارأيت أحدا أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز من الشعبي" . وقال مكحول : "مارأيت أحدا أعلم بسنة ماضية منه" . وعن مكحول أيضا : "مارأيت أعلم من الشعبي" ، ويبدو انه ندم على الاكثار من الرواية ، فقد روى عنه قوله : "كره الصالحون الأولون الاكثار من الحديث ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ماحدثت الا بما أجمع عليه أهل الحديث . وكان ثقة صادق الرواية[(٤)] .

ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)[(٥)] ، الامام الحافظ كثير العلم

---

(١) من أجل أمر عمر ، انظر قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٦٠/٩-٢٦١ – ابن حجر : تهذيب ، ٢٩٩/٨-٣٠١ – سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية ، ص ١٢٧ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .
(٤) انظر عن ذلك : (الذهبي : سير ، ٢٩٤/٤-٣١٩ – ابن كثير نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٣٩-٢٤٠ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٥٧/٥-٦٠ – محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٣٢٣، ٥٥٢-٥٥٣ – محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١٢١/١-١٢٤ – فيليب حتى : تاريخ العرب ، ٣١١/١) .
(٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

كان يحدث بالحديث على حروفه ، وقد حفظ منه الكثير ، ثقة ، صادقا ، متقنا ضابطا ، مامونا ، وكان يحث تلاميذه على التثبت في تحمل الحديث ، ويقول : "ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تاخذونه" (١).

الحسن البصري (ت ١١٠هـ) (٢) ، كان عالما جامعا ، ثقة ، حجة ، مامونا صاحب سنة ، لم يطلب الحديث في صباه ، ومع جلالته كان يدلس ، وما ارسله ليس بحجة ، وقد كان يروى بالمعنى . قال ابو زرعة الرازي : "كل شيء ، قال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدت له اصلا ثابتا ماخلا اربعة احاديث" (٣).

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) (٤) كان ياتي بالحديث على حروفه قال ابن عون : "كان ابراهيم والشعبي والحسن ، ياتون بالحديث على المعاني ، وكان القاسم وابن سيرين ورجاء يعيدون الحديث على حروفه" . اماما ، عالما ، كثير الحديث اثنى عليه غير واحد من الائمة ووثقوا روايته (٥).

وعطاء بن ابي رباح (ت ١١٤هـ) (٦) ، كان مفتي اهل مكة ومحدثهم ، عالم كثير الحديث ، كان يدلس ، ومرسلاته ضعيفة ،

---

(١) انظر عنه : ابن كثير : البداية ط٤ ، ٢٧٩/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٠/٩-١٩٢ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٥٢٦ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثاني ، المبحث الاول ، ص ١٥٧ .

(٣) الذهبي : سير ، ٥٦٣/٤-٥٨٨ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٣١/٢-٢٣٦ .

(٤) انظر ترجمته قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٦٤ .

(٥) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٥٧-٥٦١ - ابن كثير نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣١٥ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٢٩/٣-٢٣٠ .

(٦) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .

وهوثقــــة .(١)

ونافع مولى ابن عمر (ت ١١٧هـ) ، عالم المدينة ، كثير الحديث ، قال عنه البخاري : "اصح الاسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر" . ولمكانته وعلمه بعثه عمر بن عبد العزيز الى مصر ليعلمهم السنن . وقد دون نافع صحيفة سمعها من عبد الله بن عمر ، كان يعطيها لتلاميذه ليقرأوها ، اماما ، حافظا ، ثقة ، ثبتا ، صحيح الرواية ، متفق عليه .(٢)

قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ)(٣) ، الامام العالم الحافظ قدوة المفسرين والمحدثين ، كان يؤدي الحديث كما سمعه ، وكان يحفظ صحيفة جابر بن عبد الله ، ثقة ، مامونا حجة في الحديث بالاجماع اذا بين السماع ، ثبتا ، متقنا ، وكان مدلسا على قدر فيه ، وضعف المديني احاديثه عن سعيد ابن المسيب .(٤)

سعيد بن ابي سعيد المقبري(٥) ، الامام المحدث ، كان من اوعية الحديث ، وحديثه مخرج في الصحاح ، كثير الحديث ،

---

(١) الذهبي : سير ، ٥/٧٨-٨٨ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣١٧-٣١٨ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٧/١٧٩-١٨٣ .

(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١١٣-١١٤ .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .

(٤) الذهبي : نفس المصدر ، ٥/٢٦٩-٢٨٣ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٣٢٦ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٨/٣١٥-٣١٩ .

(٥) سعيد بن ابي سعيد ، واسم ابيه كيسان المقبري ، ابو سعد مولى بني الليث المدني ، ثقة جليل ، قدم الشام مرابطا ، وحدث ببيروت ، وكان قد تغير وكبر واختلط قبل موته باربع سنين ، (ت ١٢٠هـ على خلاف) . (ابن سعد: الطبقات الكبرى ، القسم المتمم ، دراسة وتاريخ زياد محمد منصور ، المملكة العربية السعودية ، الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٤٥-١٤٧ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٤/٣٤-٣٥) .

وهو ثقة صدوق ، وقال احمد : ليس به باس ، لكنه اختلط قبل موته باربع سنوات ، يحسبه الذهبي لم يرو شيئا في مدة اختلاطه ، وليس له مناكير ، وقد روى عنه الائمة والثقات[1] .

وابو بكر بن محمد بن حزم (ت ١٢٠هـ)[2] ، احد الائمة الاثبات ، كان كثير الحديث ، ثقة ، قال مالك : "كان ولاه عمر بن عبد العزيز وكتب اليه ان يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد ... وزاد غيره فسالت ابنه عبد الله بن ابي بكر عن تلك الكتب فقال ضاعت"[3] . وهذا يعني ان ابن حزم استجاب لامر الخليفة ، ودون حديث عمرة والقاسم في كتب ، لكن تلك الكتب ضاعت ، وفي ضياعها دلالة ايضا على ان الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي تولى امر المسلمين بعد عمر بن عبد العزيز ، لم يتابع الاهتمام بعمل عمر على تدوين السنة ، فلم يطلبها من ابن حزم الذي بقيت عنده الكتب ، فكان مصيرها الضياع كما اخبر ابنه عبد الله .

ومن اشهر المحدثين في تلك الفترة ، محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤هـ)[4] الامام العالم ، حافظ زمانه ، عالم الحجاز والشام ، والتابعي الثقة ، روى عن عدد من الصحابة وخلق من التابعين ، وروى عنه كثيرون ، تعلم نسب قومه وشيئا من الشعر ، ثم تحول لدراسة القرآن والحديث والفقه ،

---

(١) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٤٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ٢٤-٢٧ ـ الذهبي : سير ، ٥/٣١٣-٣١٤ ـ ابن حجر : تهذيب ، ١٢/٤٠-٤٢ .

(٤) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٣ .

فدرس على الفقهاء السبعة (١) ، وحرص على العلم وجد في طلبه ، فكان يدور على العلماء ، ومعه الألواح ، يكتب فيها كل مايسمع ، ثم يحفظ ذلك ، وربما مزق الرقاع التي كتب فيها بعدما حفظها ، وكان يجمع الحديث واقوال الصحابة والتابعين حتى فاق اقرانه ، وصار اعلم الناس في زمانه ، واحتاج اهل عصره اليه ، وقد كان قوى الذاكرة شديد الحفظ ، لاينسى مااستودع قلبه . وقد بلغ بذلك منزلة عظيمة ، واضحى من اوعية العلم الجامعين ، كثير الحديث والعلم والرواية ، عالما بالسنة والقرآن والانساب . قال ابن منجويه : وصار احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاخبار ، حتى قيل ليس هناك اكثر جمعا للحديث والعلم منه . وقال عمر بن عبد العزيز : "لم يبق احدا أعلم بسنة ماضية منه" . وقال ايضا "مارايت احدا احسن سوقا للحديث اذا حدث من الزهرى" ، وعن عمرو بن دينار : "مارايت احدا انص للحديث من الزهرى" ، وقال الليث بن سعد : مارايت عالما قط اجمع من ابن شهاب ولا اجمع علما منه ، لو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب لقلت لايحسن الا هذا ،...، فان حدث في القرآن والسنة كان حديثه . وقال الامام مالك : ماادركت بالمدينة فقيها محدثا غير واحد فسئل من هو ؟ قال : ابن شهاب الزهرى . وقيل : انه لايعرف له غلط في حديث ولانسيان مع انه لم يكن في زمانه اكثر

---

(١) الفقهاء السبعة هم : سعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وسالم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وعروة ابن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وخارجة بن زيد . (انظر : الذهبي : سير ، ٤٦١/٤) .

حديثا منه ، وكان احد الثقات الذين دار عليهم العلم فى عهده ، وقال الشافعى : لولا الزهرى لذهبت السنن من المدينة وقد جاوزت شهرة ابن شهاب المدينة فوصلت الشام والعراق ، وله الامامة والمكانة والمنزلة بالمدينة حتى انه عندما يدخل المدينة لايحدث احد من العلماء حتى يخرج . وقال الزهرى عن نفسه : مانشر احد من الناس هذا العلم نشرى ، ولابذله بذلى .

وقد تسنم مكانة عالية فى الحديث والسنن . فقد بلغت احاديثه الفين ومئتى حديث ، النصف منها مسند ، وقد جمع حديث الزهرى باتقان واستيعاب فى مجلدين ، وتعتبر اسانيد الزهرى عن سالم عن أبيه من أجود الأسانيد ، وكان يقدم فى الرواية ابناء المهاجرين والأنصار على الموالى .

ومع هذه المنزلة العالية والمكانة العلمية الرفيعة ، فان الامام الزهرى قد اتهم من بعض المؤرخين كاليعقوبى وكتاب الشيعة ، والمستشرقين ، بوضع الحديث لصالح الأمويين مستشهدين بالصلة القوية بينه وبين الخلفاء الأمويين . وقد رد على هذه الاتهامات بعض العلماء ، ولاادل على نزاهة وعدالة الزهرى وعدم تاثير تلك العلاقة على صدق حديثه ، وسلامة مواقفه ، ذلك الحوار الذى دار بينه وبين هشام بن عبد الملك عندما ساله الخليفة هشام عن الذى تولى كبره فى قوله تعالى : {إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم} (١) . فقال الزهرى :

---

(١) النور : ١١

هو عبد الله بن ابى ، قال هشام : كذبت هو على ، فقال : انا اكذب لاابالك فوالله لو نادى مناد من السماء ، ان الله احل الكذب ماكذبت . ابعد هذا الرد يتهم بالمداهنة والوضع.
اما ماقيل من وضعه حديث : لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد لعبد الملك بن مروان ، حتى يصرف الناس عن البيت الحرام الى القدس ، ابان حركة عبد الله بن الزبير ، فان ذلك قول ساذج لااساس له من الصحة ، اذ ان الزهرى كان فى تلك الفترة صغيرا ، وانه لم يصل دمشق الا سنة ٨٢هـ بعد القضاء على ابن الزبير ، كما انه ابان فتنة عبد الله بن الزبير قد حج وفد من بنى امية ، اضافة الى ان الحديث المذكور روى من طرق كثيرة ولم ينفرد به الزهرى حتى يتهم به .

وقد اورد الذهبى راى من اخذ على الزهرى ملته بالامويين ، ورد على ذلك ،اذ يقول : ان بعض من لايعتد به لم ياخذ عن الزهرى ، لكونه مداخلا للخلفاء ، وقال : بانه ان فعل ذلك فهو الثبت الحجة ، واين مثل الزهرى رحمه الله (١) .

ولعل تلك المكانة العلمية التى بلغها الزهرى ، هى التى دعت الخليفة عمر بن عبد العزيز من الاعتماد عليه مع جلة من العلماء كابن حزم فى جمع الحديث والسنن ، ووضع اول تدوين رسمى لذلك (٢) .

كما يروى ان هشام بن عبد الملك ، حث الزهرى على تدوين الحديث ، بل قيل اكرهه عليه ، وقد املى على بعض ولد هشام اربعمائة حديث ، فاراد هشام ان يختبر حفظه ، فقال

---

(١) عما اوردناه عن الامام الزهرى ، (انظر : سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١١٥-١٢١) .
(٢) انظر ذلك قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

انها ضاعت ، فاملاها عليهم مرة أخرى ، فما غادر حرفا واحدا وعلى كل ، فقد حملت كتب الزهرى على الدواب من خزائن الوليد بن يزيد بعد مقتله ، كما قال احمد بن حنبل : رايت كتب شعيب بن ابى حمزة - وكان كاتبا لهشام بن عبد الملك - فرايت كتبا مضبوطة مقيدة ، وقد كتب شعيب للخليفة هشام كثيرا باملاء الزهرى عليه (١) .

وقد حظى الحديث باهتمام الزهرى فى جانب هام من جوانب هذا العلم ، وهو نقد الحديث (٢) . فقد اهتم بالاسناد ، وقد تجوز بعضهم فقال : انه اول من اسند الحديث ، وهذا القول لايسلم ، ويخرج بانه اول من تمسك به تمسكا تاما وتشدد فى طلبه كثيرا فى عهده ، أو انه اول من اسند بالشام ، حيث روى عنه انه قال : ياأهل الشام مالى ارى احاديثكم ليس لها أزمة ولاخطم . ومع اهتمامه بالاسناد ، اهتم بالمتن ، فقال : اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه . وقد بين العلائى مكانة الزهرى فى نقد الحديث ، فقال : هو أول من رسخ الكلام فى الجرح والتعديل واتصال الاسانيد وانقطاعها ، ونقب عن دقائق علم العلل ، وائمة هذا الشان بعده تبع له فى هذا العلم . وعد الزهرى واضع اساس علم مصطلح الحديث (٣) .

---

(١) من اجل ذلك انظر : خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٦-٧٧ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين، ص ٣٣٤-٣٣٥ - حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامى، ص ٢٩٢ - محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١١٥

(٢) النقد عند المحدثين : هو تمييز الاحاديث الصحيحة من الضعيفة والحكم على الرواة توثيقا وتجريحا . (سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٢٩).

(٣) عن اهتمام الزهرى بنقد الحديث ، انظر / سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٣٢-١٣٤ .

فكان الزهرى بكل ماتقدم ذكره ، من علم واثر ، صاحب الدور الاكبر فى خدمة الحديث والسنن فى تلك الفترة التى ندرسها ، رحمه الله .

ومن اشهر المحدثين ايضا ، ابو اسحق السبيعى (ت ١٢٧ أو ١٢٨هـ) العالم الحافظ ، شيخ الكوفة ومحدثها[(١)] ، روى الحديث عن جمع من الصحابة والتابعين ، وعنه خلق كثير ، تابعى ، ثقة ، وكان يدلس ، قال ابو داود الطيالسى : وجدنا الحديث عند أربعة : الزهرى وقتادة وابو اسحق والاعمش ، وكان ابو اسحق اعلمهم بحديث على وابن مسعود . وقد كان شيوخه ثلاثمائة وقيل اربعمائة ، وكان يشبه الزهرى فى كثرة الرواية واتساعه فى الرجال ، وقيل : انه احسن حديثا من مجاهد والحسن وابن سيرين[(٢)] .

ومحمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ)[(٣)] ، الامام الحافظ ، شيخ الاسلام ، أجمع النقاد على توثيقه والاحتجاج به لجلالته وحفظه واتقانه ، وكان صدوقا ، صحيح الحديث ، وقد بلغت احاديثه نحو مئتى حديث ، قال ابن سعد وابن حجر : قليل الحديث[(٤)] .

وايوب السختيانى (ت ١٣١هـ)[(٥)] ، الامام الحافظ ، سيد شباب البصرة ، له نحو ثمانمائة حديث ، وقيل : الفى حديث ، وكان حافظا متقنا ، ثقة ، ثبتا فى الحديث ، حجة ، عدلا ، جامعا كثير العلم ، صاحب سنة ، لايسأل عن مثله[(٦)] .

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٣٩٢ .
(٢) الذهبى : سير ، ٣٩٢/٥-٤٠١ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٥٦/٨-٥٩ .
(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٦٣٣ .
(٤) ابن حجر : نفس المصدر ، ٤١٧/٩-٤١٩ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٢٢ .
(٥) انظر ترجمته قبل : ص ٦٣٣ .
(٦) الذهبى : نفس المصدر ، ١٥/٦-٢٦ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٤٨/١-٣٤٩ .

وهنـاك مـن علمـاء الحديث ، من لايقل بعضهم عمن ذكرنا علمـا واثـرا وشهرة ، وتماما للفائدة نعرض لتعداد بعضهم ، فـي شيء مـن الايجـاز ، تـاركين الكثـير منهم خشية الاطالة والاسهـاب ، ومنهـم : موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشي (ت ١٠٣هـ) ، تـابعي ثقـة كثـير الحديث ، كان يسمى في زمانه المهـدي ، مـن اجلاء المسلمين [١] . ومصعب بن سعد بن ابي وقاص (ت١٠٣هـ) ، تـابعي ، ثقـة ، كثير الحديث [٢] . وعطاء بن يسار الهلالـي (ت ١٠٣هـ) ، تـابعي ثقـة كثير الحديث [٣] . وخالد بن معـدان الكلاعي (ت ١١٣هـ) ، تابعي جليل ، من الائمة العلماء المعـدودين المشـهورين ، عـن بحـير بن سعيد : مارايت احدا الـزم للعلم منه ، كان علمه في مصحف له ازرار وعرى . وكان ثقـة [٤] . وقـد قيل انـه اول من كتب الحديث وغيره من التابعين فـي القـرن الأول ، وجـمع ماكتبـه مصنفـا مجموعا في مصحف . والصحيح انه اول من دون الحديث رسميا هو ابن شهاب الزهري امـا التقييـد الشخصي فقـد سبقهمـا اليـه الكثير منذ عصر الرسالة [٥] . ويزيد بن الاصم (ت١٠٣هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث [٦] وابو بردة بن ابي موسى الأشعري (ت ١٠٤هـ) التابعي ، العالم الحـافظ ، كـان كثـير الحـديث ، ثقـة صدوقـا [٧] . ويحـيى بـن

---

(١) ابن حجر : تهذيب ، ٣١٢/١٠-٣١٣ .
(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ١٤٥ .
(٣) ابـن كثـير : البدايـة ، ط٤ ، ٢٣٢/٩ — ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٤/٧-١٩٥ .
(٤) ابـن سـعد : الطبقـات ، ط١ ، ٤٥٥/٧ — ابن كثير : نفس المصـدر والطبعـة والجـزء ، ص ٢٣٩ — الـذهبي : سير ، ٥٣٦/٤ — ابن حجر : نفس المصدر ، ١٠٢/٣-١٠٣ .
(٥) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .
(٦) ابـن سـعد : نفس المصـدر والجـزء ، ص ٤٧٩ — ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٧٣/١١-٢٧٤ .
(٧) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٠ — ابن حجر : نفس المصدر ، ٢١/١٢-٢٢ .

عبد الرحمن بن حاطب بن ابى بلتعة (ت ١٠٤هـ) ، تابعى جليل رفيع القدر عند الناس ، ثقة كثير الحديث ، كان من محدثى اهل المدينة مع سليمان بن يسار وغيره (١) . وعامر بن سعد بن ابى وقاص (ت ١٠٤هـ) تابعى ، جليل ، ثقة مشهور ، كثير الحديث (٢) . وسعد بن عبيدة السلمى (ت ١٠٤هـ) ، ثقة كثير الحديث (توفى فى ولاية ابن هبيرة على العراق ، ١٠٣ – ١٠٥هـ) (٣) . وابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥هـ) ، من كبار التابعين الثقات ، قال عمرو بن شعيب : مارايت اعلم بحديث ولافقه من ابان بن عثمان ، وهو ثقة ، له احاديث قليلة عن ابيه وغيره (٤) . وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ١٠٦هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث ، عاليا فى الرجال ، وقيل اصح الاسانيد : الزهرى عن سالم عن ابيه (٥) . وسليمان بن يسار الهلالى (ت ١٠٧هـ) ، احد الائمة الثقات العلماء ، مامونا ، كثير الحديث (٦) . وبكر بن عبد الله المزنى (ت١٠٨هـ) تابعى ، ثقة ، مامونا ، ثبتا ، حجة ، وله نحو خمسين حديثا (٧) . وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت١٠٨هـ) ، الامام المحدث ، فقيه اهل الطائف ومحدثهم ، ثقة

---

(١) ابن حجر : تهذيب ، ٢١٨/١١ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٣٩/٩ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٥٦/٥ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ، ٢٩٨/٦ .
(٤) الذهبى : سير ، ٣٥١/٤ – ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٣ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٨٤/١-٨٥ .
(٥) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٨/٣-٣٧٩ .
(٦) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٤ – ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٩/٤-٢٠٠ .
(٧) ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٢٤/١-٤٢٥ .

وله مناكير ، ولم يحتج به بعضهم [١]. وحفصة بنت سيرين أم الهذيل (ت ١١٠هـ) ، تابعية ، ثقة ، حجة ، ذات فضل ، ولها روايات كثيرة [٢]. وأبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين (ت ١١٤هـ) [٣] ، تابعي من الأعلام ، كان ثقة ، كثير الحديث . وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت ١١٧هـ) ، تابعي ، ثقة ، كثير الحديث ، من أصحاب أبي هريرة رضي الله عنه . وقد كان أحد من برز في القرآن والسنة [٤]. وعبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة التيمي (ت ١١٧هـ) ، تابعي ، عالم ، ثقة ، متقن كثير الحديث [٥]. ومحمد بن كعب القرظي (ت ١١٧هـ) ، تابعي ، عالم ، ثقة ، وكان كثير الحديث [٦]. وعبد الرحمن بن سابط الجمحي (ت ١١٨هـ) ، تابعي ، من أصحاب ابن عباس ، كان كثير الحديث ثقة [٧]. وجامع بن شداد المحاربي (ت ١١٨هـ) ، له نحو عشرين حديثا ، وهو ثقة متقن ، شيخ عال من قدماء شيوخ الثوري [٨]. وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري (ت ١٢٠هـ) ، عالم راوية للعلم ، ثقة كثير الحديث [٩]. ويزيد بن أبي حبيب

---

(١) الذهبي : سير ، ١٦٥/٥-١٨٠ – ابن حجر : تهذيب ، ٤٣/٨-٤٨ .

(٢) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣١٣/٩ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٣٨/١٢ .

(٣) الذهبي : نفس المصدر ، ٤٠١/٤-٤٠٩ – ابن كثير : نفس المصدر ، ٣٢١/٩ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٣١١/٩-٣١٣.

(٤) ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦٠/٦-٢٦١ – سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦ .

(٥) الذهبي : نفس المصدر ، ٨٨/٥-٩٠ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦٨/٥-٢٦٩ .

(٦) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ١٣٤-١٣٧ – ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨-٢٧٠ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٣/٩-٣٧٤ .

(٧) ابن حجر : نفس المصدر ، ١٦٣/٦-١٦٤ .

(٨) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٠٥-٢٠٦ – ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٩/٢ .

(٩) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ١٢٧-١٢٩ .

المصرى ، (ت ١٢٨هـ) ، الامام الحجة ، كان كثير الحديث ، ثقة[١] ، وكان اول من وجه المصريين الى العناية بالحديث ، كما عمل على نشره هناك ، فقد كان من تلاميذه الليث بن سعد وابن لهيعة ، محدثى مصر فى عصرهما[٢] . وحماد بن ابى سليمان الكوفى (ت ١٢٠هـ) ، الامام العلامة ، كان يكتب الحديث ، ولاباس به[٣] . ومحمد بن يحيى بن حبان الانصارى (ت ١٢١هـ) ، الامام الحجة ، مجمع على ثقته ، كثير الحديث[٤] . وعمرو بن دينار الجمحى مولاهم ، المكى (ت ١٢٥هـ) ، الامام العلم الحافظ ، وشيخ الحرم فى زمانه ، كان من اوعية العلم والحفاظ المقدمين ، ثقة ثبتا صدوقا متقنا ، قال ابن عيينة عمرو ثقة ثقة ثقة ، وكان كثير الحديث ، قال ابن المدينى : لعمرو نحو اربع مئة حديث ، ولعل ذلك المسند من حديثه ، فقد ورد أن ابن عيينة سمع منه تسع مئة وخمسين حديثا . وقد كان يحدث بالمعنى ، ويمنع الكتابة عنه ، وقيل كان ينص الحديث ، فقد مرض عمرو فعاده الزهرى فلما قام الزهرى قال مارايت شيخا انص للحديث الجيد من هذا الشيخ[٥] . وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف (ت ١٢٥هـ) ، الامام الحجة

---

(١) الذهبى : سير ، ٣١/٦-٣٣ - ابن حجر : تهذيب ، ٢٧٨/١١-٢٧٩ .

(٢) على حسن عبد القادر : نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م ، ص ١٥٠ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ١٧٠-١٧١ .

(٣) الذهبى : نفس المصدر ، ٢٣١/٥-٢٣٩ - ابن حجر : نفس المصدر ، ١٤/٣-١٥ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ١٣١-١٣٢ - الذهبى : نفس المصدر ، ١٨٦/٥-١٨٧ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٤٤٨/٩-٤٤٩ .

(٥) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٠٠-٣٠٧ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٦/٨-٢٧ .

العدل ، كان ثقة كثير الحديث[1]. وثابت بن أسلم البناني المصري (ت ١٢٧هـ) الامام القدوة شيخ الاسلام ، كان من ائمة العلم والعمل ، كان محدثا ، له نحو مئتين وخمسين حديثا ، وهو ثقة ، ثبت ، مامونا ، ذو احاديث مستقيمة اذا روى عنه ثقة ، وماوقع في حديثه من النكرة انما هو من الراوي عنه ، يعد من اثبت اصحاب انس بن مالك ، وكان قد صحبه اربعين سنة[2] واسماعيل بن عبد الرحمن بن ابي كريمة السدي (ت ١٢٧هـ) ، ثقة ، كان يكتب حديثه ، قال البعض فيه لين ، وقيل : لاباس به[3]. وعبد الله بن دينار (ت ١٢٧هـ) ، وكان ثقة كثير الحديث . وبكير بن عبد الله بن الاشج (ت ١٢٧هـ) ، أحد الاعلام ، ثقة ثبت ، مامون ، كثير الحديث[4] ، لايفوقه احد في الحديث ، قال ابو الحسن بن البراء : "لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين اعلم من ابن شهاب ، وبكير بن الاشج ، ويحيى ابن سعيد"[5] .

وابو حصين عثمان بن عاصم بن حصين الاسدي الكوفي (ت ١٢٨هـ) ، الامام الحافظ ، قليل الحديث ، لكنه ثقة ، ثبت في الحديث ، صحيحه ، شيخا عاليا ، صاحب سنة ، لايختلف على حديثه[6]. وابو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣٠هـ) ، الامام

---

(١) الذهبي : سير ، ٥/٤١٨-٤٢١ .
(٢) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٢٠-٢٢٥ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٢/٣-٤ .
(٣) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٦٤-٢٦٥ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ٣٠٥ ـ الذهبي نفس المصدر والجزء ، ص ٢٥٣-٢٥٥ .
(٥) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ٣٠٨ ـ الذهبي : نفس المصدر ، ٦/١٧٠-١٧٤ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١/٤٣١-٤٣٢ .
(٦) الذهبي : نفس المصدر ، ٥/٤١٢-٤١٧ .

الحافظ العالم ، كان كثير الحديث ، ثقة حجة ، صالح الحديث وصاحب سنة . كان سفيان يسميه : "أمير المؤمنين في الحديث"[(١)] ويزيد بن رومان الاسدى (ت ١٣٠هـ) ، وكان عالما كثير الحديث ثقة ، له باع في القرآن ، والفقه ، والحديث[(٢)] . وهمام بن منبه الصنعاني (ت ١٣٢هـ) ، الذى قال الذهبي عنه : "المحدث المتقن ، صاحب تلك الصحيفة التى كتبها عن ابى هريرة ، وهى نحو من مئة واربعين حديثا"[(٣)] . وقد حدث بها عنه : معمر بن راشد . وهمام ثقة[(٤)] .

هؤلاء جلة من ائمة الحديث وعلمائه ممن عاصروا الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وقدر لبعضهم ان يعيشوا حتى اواخر الدولة الأموية ، وهم غيض من فيض ، وعسى أن يكون فيمن ذكرنا منهم ، وما اوردناه عنهم ، مايعطى صورة جلية لاهتمام علماء المسلمين بعلم الحديث ، وماكان عليه هذا العلم آنذاك ، ولعلنا في سطور نوجز بعض سماته في تلك الحقبة من الزمن .

فقد تبين لنا ان الحديث والسنن قد دونت مطلع القرن الثانى بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز في دفاتر ، وقد

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ٣١٨-٣٢٠ ـ الذهبي : سير ، ٥/٤٤٥-٤٥١ .

(٢) ابن حجر : تهذيب ، ١١/٢٨٤ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٩٦ .

(٣) نشر هذه الصحيفة الدكتور محمد حميد الله الهندى الحيدر ابادى عام ١٩٥٣م ، في مجلة المجمع العلمي بدمشق ، المجلد الثامن والعشرون ، ص ٩٦-١١٦ ، ٢٧٠-٢٨١ ، ٤٤٣-٦٦٦ . وقد أعاد نشرها ، وحققها وخرج احاديثها وشرحها ، الدكتور رفعت فوزى عبد المطلب ، في كتاب مطبوع بعنوان : صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه .

(٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١١-٣١٣ .

اعتمد في ذلك على صفوة من العلماء كالزهري وابن حزم ، وبعثت تلك الدفاتر الى الاقطار المختلفة في الدولة الاسلامية كما رافق ذلك دعوة عامة من الخليفة عمر لتدوين الحديث وجمعه ، وقد أدى ذلك الى الاهتمام بجمع الحديث والسنن وتدوينها ، فقد كان ذلك الامر حافزا مع توفر الاسباب الداعية للكتابة آنذاك ، الى اباحة الكتابة عند بعض العلماء الذين كانوا يكرهون ذلك ، وان استمرت تلك الكراهة عند القلة آخذة في الانحسار تدريجيا (١) .

كما اتضح ان الخليفة يزيد بن عبد الملك لم يتابع مشروع عمر ، ولم يهتم باتمام مابداه ، فلم نعثر على اي نص يشير الى شيء في هذا الصدد ، بل ان ابن حزم الذي كلفه عمر بتدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وجمع ماعند عمرة والقاسم ، والذي عاجلت المنية الخليفة عمر قبل ان يرى ماكتب ، قد ورد الخبر بضياع كتبه تلك (٢) . ولعل في ذلك قرينة على ان الكتب بعد وفاة عمر ظلت عنده ، مما يعني عدم اهتمام يزيد بذلك ، ومتابعته او طلبه . وان كنا لانقطع بعدم وجود اي اهتمام له بهذا العلم ، خصوصا اذا كنا نعرف ان الزهري الذي دون الحديث لعمر ، كان على صلة طيبة بالخليفة يزيد ، اذ كان الزهري ممن تلقى يزيد العلم على يديه ، وحاز على ثقته (٣) ، فولاه القضاء بدمشق خلال خلافته، فلعله دون شيئا آخر ، واثرى خزائن الخليفة بجديد ، اذ

---

(١) انظر : ص ٦٥١-٦٥٢ .
(٢) انظر خبر ضياعها ، قبل : ص ٦٦٠ .
(٣) عن تعلم يزيد على الزهري (انظر : الفصل الاول ، ص ١٠٢-١٠٣) . وعن استقضائه ، (انظر : الفصل الخامس ، المبحث الاول ، ص ٤٤٧-٤٤٨) .

تابع الأمويون اهتمامهم بتدوين الحديث ، حتى سمعنا بأن هشام خليفة يزيد قد أكره الزهري على الكتابة ، وانهم حملوا كتبه من خزائن الوليد بعد مقتله على الدواب[1] ، مما يدل على كثرة مادون لبني أمية ، فلعل شيئا منها كان قد دون أيام يزيد .

اما علم الحديث ، فقد تبين انه قد حظي باهتمام أكثر العلماء ، فقل أن تجد عالما ليس له يد في علم الحديث ، كما اتضح اتصاله بالعلوم الأخرى وبالأخص الفقه[2] ، اذ لازالت العلوم الاسلامية في تلك الفترة متمازجة لم تتميز ، كما كان علماؤها موسوعيين ، تجد الكثير منهم يحظى بوافر النصيب في كثير من العلوم .

وظهر جليا الاهتمام بالاسناد منذ الفتنة ، الا أن الشاميين ظلوا يروون الحديث بلا اسناد ، وكان معظمه مراسيل ومقاطيع ، وهذا ماحدا بابن تيمية أن يفضل عليهم حديث أهل المدينة وغيرها ، حتى جاءهم الزهري ونبه على ذلك ، اذ قال ياأهل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولاخطم ، قال الوليد بن مسلم فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ ، مع أن الزهري كان يورد بعض الأحاديث مرسلة .

وقد اعتبر اسناده ، من أصح الأسانيد ، كما اعتبره السيوطي من سلسلة الذهب[3] . ومع ذلك فقد ظل بعض علماء تلك الفترة يرسلون ، كمكحول الشامي وغيره[4] ، من علماء الأمصار

---

(١) انظر قبل : ص ٦٥٣ .
(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢١ .
(٣) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٦٤-٦٦ .
(٤) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٦ .

الأخرى ، اذ لم يكن الارسال مقصورا على أهل الشام بشكل خاص كالحسن البصرى ، وابو قلابة ، وقتادة بن دعامة ، وغيرهم .

كما حرص أئمة الحديث على البعد عن الرواية عن الوضاعين والكذابين وكل من به عيب قادح ، وقد ادى ذلك الى الحرص على اتصال السند الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتمييز بين من يدلس او يرسل من العلماء ولو كان من كبارهم كالزهرى (١) . فنشأ على هذا الأساس من ناحية النقد المفاضلة بين العلماء ، بل وتعدى النقد الفردى الى نقد البلد بكامله ، كنقد الزهرى لعلماء أهل مكة ، وهذا النقد هو الذى تطور الى التجريح والتعديل ، وبه تم التمييز بين الرواة وعرف المدلس والوضاع (٢) .

ومن علماء النقد فى هذه الفترة ، ابو صالح ذكوان السمان (ت ١٠١هـ) ، وعبد الرحمن بن هرمز (ت ١١٧هـ) ، والزهري (ت ١٢٤هـ) وسعد ابن ابراهيم الزهرى (ت ١٢٧هـ) ، وابو الزناد عبد الله بن ذكوان (ت ١٣٠هـ) (٣) .

ومما تفخر به تلك الفترة أن خمسة من محدثيها كانوا من الرجال الستة الذين يدور عليهم الاسناد ، اذ قال على بن المدينى : نظرت فاذا الاسناد يدور على ستة ، فلأهل المدينة ابن شهاب ، ولأهل مكة عمرو بن دينار ، ولأهل البصرة قتادة ابن دعامة السدوسى ، ويحيى بن ابى كثير ، ولأهل الكوفة ابو

---

(١) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١١١ .
(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٦٧-٦٨ .
(٣) سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٣٦ .

اسحق عمرو بن عبد الله السبيعي ، وسليمان بن مهران الاعمش (ت ١٤٨هـ)[١] ، ثم صار علم هؤلاء الستة الى اصحاب الاصناف . فلم يخرج منهم كما نرى سوى الأعمش .

وكان لرواية الحديث في عصر التابعين وتابعيهم طرقها من ناحية الاخذ وكيفيته ، فكان لذلك الفاظ كحدثنا وانبانا واخبرنا او عن فلان ، تبعا لطريقة التلقي ، وكان بعض العلماء كالزهري يجيز اطلاق لفظ حدثنا واخبرنا في الرواية بالمناولة[٢] . ومن هنا نشا التدليس ، وقد ميزه العلماء ، وعرف المدلس من غيره حتى لو كان من كبار العلماء كعطاء بن ابي رباح ، وابو اسحق السبيعي وغيرهما .

اما رواية الحديث من ناحية متنه ، فقد كان البعض يتشدد في ايراد الحديث بحروفه ، وبعضهم كان يرويه بالمعنى[٣] فممن يرويه بحروفه ـ على سبيل المثال ـ طاووس والقاسم بن محمد بن ابي بكر ، ورجاء بن حيوة وغيرهم . وكان هناك من يرويه بالمعنى كالحسن البصري وغيره .

كما امتاز ذلك العهد بالرحلة في طلب الحديث ، لتفرد بعض العلماء باحاديث معينة ، فقد ذكر ان الزهري له نحو تسعين حديثا انفرد بها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يروها احد غيره ، وليس من الائمة احد الا وله اخبار انفرد بها[٤] .

ولعلنا بعد ماقدمناه عن هذا العلم ، قد رسمنا صورة جلية له في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك .

---

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٧٣-٧٤ .
(٣) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٢ .
(٤) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٦٤ .

## الفقـــــــه :

بدأ التدوين في الفقه بتدوين السنة[1] ، فان القرآن قد عنى ببيان العقائد الحقة وتفصيل القول فيها ، اما الفقه وهو عبادات ومعاملات ، فقد كانت الحاجة ماسة الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ لم يتناول القرآن مسائل الفقه على اختلافها الا باجمال يحتاج الى تفصيل ، وعموم يحتاج الى تخصيص ، ومن ثم قامت السنة بذلك كله ، لذلك كان المسلمون حريصين على معرفة السنة ومافيها من احكام تشريعية[2] . وقد قيل ان محمد بن عبد الرحمن العامرى (ت ١٢٠هـ) ، هو اول من جمع الاحاديث لتكون اساسا للفقه ، حيث الف في ذلك كتابا اسماه "الموطا" كانوا يفضلونه على موطا مالك ، لكنهم عابوا عليه انه لم يصح نقد الرجال[3] . ومامن شك ان التدوين الشخصي للحديث ، ومن ثم التدوين الرسمي زمن عمر بن عبد العزيز ، قد خدم الفقه والتاليف فيه ، حيث جاء بعد ذلك ، اذ يرى ان التدوين في الفقه قد

---

(١) الفقه : هو العلم بالاحكام الشرعية العلمية المستنبطة من ادلتها التفصيلية . ولم تكن كلمة الفقه تعنى ذلك زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ، فقد كانت تطلق على كل حامل علم يعيه ، بل كل عالم باساليب المعيشة والحياة ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "اذا اراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين" . وقال ابو الدرداء رضي الله عنه : "ان فقه الرجل رفقه في معيشته" .
(انظر : حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامى ،ص ٩ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٣٨ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٨٠-٨١) .

(٢) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ، ص ٥٨-٥٩ .

(٣) محمد خفاجي : تاريخ الادب في العصر الاموى ، ص ١٧ ـ بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ١/٢٥٤-٢٥٥ .

بدأ بموطأ الامام مالك . مع أن الذهبي يخبر أن التدوين الحق للحديث والتفسير والفقه وغيرها من العلوم الاسلامية كان في أواخر النصف الأول من القرن الثاني الهجري[(١)] . وهذا لايعني أن الفقه لم يدون فيه ، قبل موطأ مالك ، أو تدوين الحديث ، فالمقصود هنا التصنيف في علم الفقه . أما التدوين الشخصي والكتابات المتفرقة في صحف وكتب لبعض الأحكام الفقهية ، فقد حدث منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وماكتبه بعض الصحابة والتابعين[(٢)] ،

---

(١) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٦٤ .
ومن الجدير ذكره ، أن الشيعة الزيدية ينسبون الى زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ) كتاب "المجموع" في الفقه ، وهو كتاب لم يروه عن زيد ابن علي الا أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي ، والواسطي عند ابن حجر غير موثوق به ولاماًمون متهم بالكذب والوضع ، وقام بتأليف الكتاب أبو القاسم عبد العزيز بن اسحق بن جعفر البغدادي ، ويشمل في أجزائه الستة جماع أقسام الفقه وفروعه ، وأخيرا طبع هذا الكتاب بمدينة ميلانو عام ١٩١٩م . وهذا الكتاب لاعتبارات عدة ، منها مايتعلق بمتن الكتاب وطريقة تصنيفه ، ومنها مايرجع لتفرد الواسطي بروايته كما انه لم يروه عن الواسطي غير ابراهيم بن الزبرقان ، فهذه الاعتبارات تقف دون التيقن من صحة نسبته لزيد بن علي . فاذا ماصحت نسبة هذا الكتاب الى زيد ، يكون أقدم المؤلفات الفقهية التي وصلت الينا ، ويكون قد سبق مالك الذي قيل أن موطاه أول المصنفات الفقهية ، بنحو ثلاثين سنة ، وأن التدوين في علم الفقه قد تم منذ أوائل القرن الثاني الهجري ، كما ينسب الى زيد ابن علي عدد من الكتب الأخرى ، لكن ينطبق عليها ، من الشك في صحة نسبتها له ماينطبق على المجموع .
(من أجل ماذكرناه : انظر / محمد يوسف موسى : نفس المرجع ، ص ٦٨-٧١،٧٤-٧٥ - علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ١٧٩-١٨١ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٦٨-٣٧١ - بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ، ٣٢٤/١) .

(٢) دعت الحاجة منذ فجر الاسلام الى كتابة بعض الأحكام الشرعية ، فكتب بعض الصحابة والتابعين مارأوا مساس الحاجة الى تدوينه من الأحكام ، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أمر بكتابة أحكام الزكاة ، وبعث بها الى عماله على البلاد ، وزود ابن حزم عندما=

لكنها كتابات كانت تحتاج الى الجمع والترتيب والتبويب [(١)]، وهذا ماظهر فى المصنفات التى قيل أن أولها موطأ مالك .

ويلحظ أن الفقه لم يحظ باهتمام الخلفاء الأمويين ، سوى عمر بن عبد العزيز ، فقد نمى وتطور بعيدا عن اهتمامهم فى المساجد ومجالس العلم ، كما لانرى اتصالا للفقهاء بالخلفاء الأمويين ، الا القلة منهم كالزهرى . ومن هنا لم يكن للخلفاء تأثير على نموه وتطوره كعلم من العلوم الاسلامية ولاعلى ائمته [(٢)]، حتى من كان على صلة بهم كالزهرى ، فقد كان يفتى الخلفاء بكل نزاهة وشجاعة فى الحق ولو كان قوله مخالفا لآرائهم وأهوائهم ، كموقفه من هشام عندما سأله من المعنى بقوله تعالى : {والذى تولى كبره} [(٣)]، وغيره من المواقف [(٤)]، أو الحسن البصرى ومواقفه العديدة تجاه السلطان [(٥)].

وقد برز من بين علماء المسلمين فى الفقه عدد كبير من الفقهاء ، منهم :

---

= ولاه على اليمن احكاما مكتوبة فى الفرائض والصدقات والديات وغيرها ، كما كتب ابو بكر لأنس حين بعثه الى البحرين ، كتابا باحكام السائمة ، وكان لعلى بن ابى طالب صحيفة فيها عن العقل ، وفكاك الأسير ، والا يقتل مسلم بكافر ، وغير هؤلاء كثير ، أمروا بالتدوين ، واجازوه ، أو قاموا به ، فى صحف وكتب ، متفرقة لأحكام مختلفة ، تمثل الكتابات الشخصية ، التى سبقت التصنيف الجامع المرتب المبوب .
(انظر من أجل ذلك / محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ، ص ٥٩-٦٢ ـ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١١١) .

(١) محمد يوسف : نفس المرجع ، ص ٦٤ .
(٢) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٤٨ .
(٣) انظر ذلك قبل : ص ٦٦٢-٦٦٣ .
(٤) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٩٧ .
(٥) انظر بعد : ص ٦٨٤ .

عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)(١) ، كان فقيها ، روى ان ابن عباس اذن له بالفتيا فعن عكرمة ان ابن عباس قال : انطلق فافت الناس ، وانا لك عون ، قلت : لو أن هذا الناس مثلهم مرتين ، لافتيتهم ، قال : انطلق فافتهم فمن جاءك يسالك عما يعنيه فافته ، ومن سالك عما لايعنيه ، فلا تفته فانك تطرح عنك ثلثى مؤنة الناس . وقال عكرمة : طلبت العلم اربعين سنة ، وكنت افتى بالباب ، وابن عباس في الدار . ولاغرابة فى اذن ابن عباس له بالفتيا ، وهو الذى حرص على تعليمه حتى كان يقيده ويعلمه القرآن والسنن ، فاضحى بحرا أو حبرا ، من علماء زمانه ، ومف بالفقه والحديث والتفسير والسير .

قال ابن حبان عنه : كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن ، فعن عمرو بن دينار أن جابر بن زيد دفع اليه مسائل ليسال عكرمة فقال له : "هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا البحر فسلوه" . وقال : عكرمة اعلم الناس . وقال سفيان الثورى : خذوا المناسك عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة . وقد كان من الرحالين ، طاف البلاد وبث علمه فيها ، وكان الحسن البصرى اذا قدم البصرة أمسك عن التفسير والفتيا . وكان يفتى الناس حين يجتمعون عليه حتى فى الأسواق والطرقات وقد قال طاووس : المسكين - يعنى عكرمة - لو اقتصر على ماسمع كان قد سمع علما ، وقال ايضا : لو ان مولى ابن عباس اتقى الله ، وكف من حديثه ، لشدت اليه المطايا . مما يدل على انه تجاوز الاعتماد على ماسمع من الاثر ، فكان يجتهد

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٢ .

ويفتي برايه . وقد قيل يوم مات وقد وافق ذلك موت كثير عزة مات افقه الناس واشعر الناس . (١)

وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) (ت ١٠٦هـ) ، الامام ، مفتي المدينة ، واحد فقهائها السبعة ، عد من الفقهاء المجتهدين المجددين . قال ربيعة : كان الامر الى سعيد بن المسيب ، فلما مات سعيد افضى الامر الى القاسم وسالم . (٣)

وطاووس بن كيسان اليماني (٤) (ت ١٠٦هـ) ، الفقيه القدوة عالم اليمن ، الحافظ ، كان فقيها جليلا ، قال خصيف : اعلمهم بالحلال والحرام طاووس . ويبدو انه كان شديد التحرز والحيطة لنفسه ، فعن حنظلة بن ابي سفيان قال : مارايت عالما قط يقول : لاادري ، اكثر من طاووس . (٥)

والقاسم بن محمد بن ابي بكر (٦) (ت ١٠٧هـ) ، الامام الفقيه ، كان من اعلم الفقهاء ، واحد الفقهاء السبعة والعشرة الماخوذ بقولهم والمرجوع اليهم ، اعلم اهل وقته

---

(١) من اجل ماذكرناه عنه ، انظر / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان عباس ، دار الرائد العربي ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٧٠ ـ الذهبي : سير ، ١٢/٥-٣٦ ـ ابن كثير : البداية ط٤ ، ٢٥٤/٩-٢٦٠ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٢٣٤/٧-٢٤٢ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٠١-١٠٣ ـ محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، ١١١/١-١١٢.

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٣ .

(٣) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٦٢ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء، ص ٢٤٤ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٨/٣-٣٧٩ ـ سعد الموسى : نفس المرجع ،ص١٤١

(٤) انظر ترجمته قبل : ص

(٥) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٧٣ ـ الذهبي : نفس المصدر ٣٨/٥-٤٩ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٤-٢٥٣ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٨/٥-٩ .

(٦) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

بالمدينة مع سالم وعكرمة ، وكان اعلم من سالم ، تربى في حجر عائشة رضي الله عنها ، وتتلمذ وتفقه عليها . وقد عده العلماء من المجتهدين المجددين . قال ابو الزناد : مارايت فقيها اعلم من القاسم ، ومارايت أعلم بالسنة منه ، وقيل : كان قليل الحديث والفتيا ، وكان عالما بالمناسك ، وهو كما وصفه مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة .(١)

وسليمان بن يسار (ت ١٠٧هـ)(٢) ، الامام الفقيه ، عالم المدينة ومفتيها ، واحد الفقهاء السبعة المجتهدين ، كان من أوعية العلم حتى فضله بعضهم على ابن المسيب ، الذى كان يقول لمن يستفتيه : اذهب الى سليمان فانه أعلم من بقى اليوم ، وقد فاق علماء المدينة في العلم بالطلاق .(٣)

وعامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٩هـ)(٤) ، الامام ، علامة العصر ، الفقيه ، كان واحد زمانه في فنون العلم ، قال مكحول : مارايت أعلم من الشعبي وقال : مارايت افقه منه ، وعن ابي حصين قوله : مارايت احدا قط كان افقه من الشعبي . وقال ابو مجلز : مارايت احدا افقه من الشعبي ، لاسعيد بن المسيب ، ولاطاووس ، ولاعطاء ، ولاالحسن ، ولاابن سيرين ، فقد رايت كلهم . وعن ابي بكر الهذلي ، قال لي ابن سيرين : الزم الشعبي ، فلقد رايته يستفتي واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون ، ويقول ابن سيرين : قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذ كثير . وقال الزهري العلماء اربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي

---

(١) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٢٦٠-٢٦١ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤٢ ـ علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ١٤٧ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٤ .

(٣) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٥٤ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٤/١٩٩-٢٠٠ ـ سعد الموسى : نفس المرجع ص ١٤٣ ـ علي حسن عبد القادر : نفس المرجع ،ص ١٤٧-١٤٨

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

بالكوفة ، والحسن البصرى بالبصرة ، ومكحول بالشام .
ولاغرابة فقد كان من علماء الناس ، قال ابو اسامة : كان عمر فى زمانه راس الناس وهو جامع ، وكان بعده ابن عباس فى زمانه ، وكان بعده الشعبى فى زمانه ، وكان بعده الثورى فى زمانه ، ثم كان بعده يحيى بن آدم .

وكان الشعبى مع سعة علمه ، متحرزا لنفسه من كثرة الفتوى ، قال الصلت بن بهرام : مابلغ احد مبلغ الشعبى اكثر منه يقول لاأدرى . وكان اذا جاءه الشىء اتقاه ، ويكون منبسطا فاذا وقعت الفتوى انقبض . كما كان الشعبى من اصحاب الأثر لاالراى . وكان يرى الفقيه من اذا علم عمل . (١)

وقد ذكر محمد الخطيب (٢) أن الشعبى ممن حث على كتابة العلم بعد ان زالت الخشية من اختلاط الراى بالحديث ، وبعد أن كان يقول : ماكتبت سوداء فى بيضاء ، قال : الكتاب قيد العلم ، ويقول : اذا سمعتم منى شيئا فاكتبوه ولو فى حائط، كما يشير الى انه مع ذلك لم يوجد له بعد موته الا كتاب فى الفرائض والجراحات (٣) . وفى هذا القول مايخالف ماذكره الذهبى من أن الشعبى : كان حافظا وماكتب شيئا قط . كما اورد سماع ابن شبرمة لقول الشعبى : ماكتبت سوداء فى بيضاء الى يومى هذا . واخيرا قال : "وهذا يدل على انه امى لاكتب ولاقرا" .

---

(١) من اجل ماذكرناه عنه ، انظر / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ـ الذهبى : سير ، ٢٩٤/٤-٣١٩ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٤٠/٩ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٥٧/٥-٦٠ ـ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١١٨-١١٩ ـ محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١٢١/١-١٢٤ .

(٢) السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٥-٣٢٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٩٧، ٣٠١ .

ولعل الكتاب الذى نسبه اليه محمد الخطيب كان من رواية أحد اصحابه ، أو املاء على أحد تلاميذه .

والحسن البصرى (ت ١١٠هـ)(١) ، الامام شيخ اهل البصرة ، وسيد زمانه علما وعملا ، جامعا للعلم والعمل ، فقيها رفيعا ثقة ، مامونا ، حجة . قال قتادة : مارات عيناى رجلا قط افقه من الحسن . وقال : ماجمعت علم الحسن الى أحد العلماء الا وجدت له فضلا عليه ، غير انه اذا اشكل عليه شىء ، كتب فيه الى سعيد بن المسيب يسأله ، وماجالست فقيها قط الارايت فضل الحسن عليه . وسئل انس بن مالك رضى الله عنه مرة عن مسألة ، فقال : سلوا عنها الحسن فقد سمع وسمعنا ، فحفظ ونسينا . وقال ايوب السختيانى : لو رايت الحسن لقلت : انك لم تجالس فقيها قط . وقال على بن زيد : رايت سعيد بن المسيب وعروة والقاسم فى آخرين ، فما رايت مثل الحسن .

وقد كان جابر بن زيد ابو الشعثاء مفتى البصرة ، ثم جاء الحسن فكان يفتى ، وكان من اعلم الناس بالحلال والحرام يقول قتادة : كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام . وقد ولاه عدى بن ارطاة قضاء البصرة زمن عمر بن عبد العزيز ثم استعفى ، قال معمر : ولى الحسن القضاء زمن عمر بن عبد العزيز فلم يحمد فهمه . وقد كان الحسن رحمه الله يرى أن الفقيه من جمع العلم الى العمل ، فقد سأله عمران القصير عن شىء ، وقال : ان الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال له الحسن : وهل رايت فقيها بعينك . انما الفقيه : الزاهد فى الدنيا ، البصير بدينه ، المداوم على عبادة ربه . وهو فى

---

(١) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٥٧ .

هذا الرأى يوافق معاصره الشعبى رحمهما الله .

وقد كان رحمه الله شجاعا فى الحق ، لايداهن فى دينه ، ولايمارى السلطان ولايخشاه ، كنصحه ابن هبيرة باتباع الحق ولو كان على غير هوى الخليفة ، حدث ذلك عندما استشاره فى اشياء يامره بها الخليفة يزيد بن عبد الملك .

وقد كان كثير العلم والفتيا ،قال ابو سلمة التبوذكى حفظت عن الحسن ثمانية آلاف مسالة . فاذا كان هذا ماحفظه واحد ، فكم افتى وكم اخذ الناس عنه ؟

ولم يقتصر اثره على ماافاد به الناس فى حياته ، فقد كان ممن يكتب العلم ، وممن اثر انه خلف كتبا بعد مماته ، فقد قال : انا لنا كتبا كنا نتعهدها . وقال اصبغ بن زيد : مات الحسن وترك كتبا فيها علم .. ولكن سهل بن الحصين الباهلى ، يحدث انه سال عبد الله بن الحسن البصرى ، ان يبعث اليه بكتب ابيه ، فاخبره عبد الله ان اباه عندما ثقل جمع كتبه واحرقها ، الا صحيفة واحدة . (١)

لكن بروكلمان ، يخبر (٢) ان هناك مجموعة من الرسائل تنسب الى الحسن البصرى ، عددها وذكر اماكنها والكتب التى اشارت اليها (٣) . اما فتاوى الحسن رحمه الله ، فان محمد يوسف موسى يخبرنا انها جمعت فى سبعة اسفار ضخمة .

---

(١) من أجل ماأوردناه عن الحسن ، انظر / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٨٧ – ابن خلكان : وفيات ، ٢/٧٠-٧٣ الذهبى : سير ، ٤/٥٦٣-٥٨٨ – ابن كثير : البداية ، ط٤ ٩/٢٧٨-٢٧٩، ٢٨٦ – ابن حجر : تهذيب ، ٢/٢٣١-٢٣٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ، ١/٢٥٨ .

(٣) تاريخ الفقه الاسلامى ، ٢/٢٥ .

ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ)(١) ، الامام ، شيخ الاسلام ، كان فقيها ، عالما ، شهد له أهل العلم والفضل بذلك . قال مورق العجلي : مارأيت أحدا أفقه في ورعه ، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين . وقال عثمان البتي : لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الأصم - يعني ابن سيرين - فهو كما قال عوف الأعرابي : كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب . ومع ذلك فقد كان شديد الحيطة لنفسه ، منقبضا عن الفتوى . يقول أشعث : كان ابن سيرين اذا سئل عن الحلال والحرام ، تغير لونه حتى تقول : كأنه ليس بالذي كان . وقال ابن شبرمة : دخلت على محمد بن سيرين بواسط ، فلم أر أجبن في الفتوى منه . وقال ابن يونس : كان ابن سيرين أفطن من الحسن في أشياء . وكان لايقبل من السلطان شيئا ، فعن ابن عون : أن عمر بن عبد العزيز بعث الى الحسن فقبل وبعث الى ابن سيرين فلم يقبل ، كما كان لايجيء السلطان ولايعيب أهله ، وهو مع ذلك أصلب الناس عند السلطان في الحق(٢) .

ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ)(٣) ، الامام الفقيه ، كبير القدر ، كثير العلم ، سيد أهل الشام في أنفسهم ، قال مطر الوراق : مالقيت شاميا أفقه من رجاء بن حيوة ، وفي رواية أفضل . وكان مكحول اذا سئل قال : سلوا شيخنا وسيدنا

---

(١) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٥ .

(٢) عن فقه ابن سيرين ، انظر / الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٨٨ - الذهبي : سير ، ٦٠٦/٤-٦٢٢ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٧٩/٩ - ابن حجر : تهذيب ، ١٩٠/٩-١٩٢ محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٥٢٦ .

(٣) انظر ترجمته قبل : ص ٤٦٤ .

رجاء بن حيوة . وقال رجاء بن ابى سلمة : مامن رجل من اهل الشام احب الى ان اقتدى به من رجاء بن حيوة . وقال ابن عون : رايت ثلاثة مامثلهم : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . وقد اثنى عليه غير واحد من الائمة .(١)

ومكحول الشامى (ت ١١٢هـ)(٢) ، الفقيه ، امام اهل الشام وعالمهم ، لم يكن بزمانه ابصر بالفتيا منه ، قال ابو حاتم ما اعلم بالشام افقه من مكحول ، وقال سعيد بن عبد العزيز : كان مكحول افقه من الزهرى ، وكان مكحول افقه اهل الشام .

ولاغرو فقد كان طلابة للعلم ، كان بمصر فاخذ علمها ، ثم ارتحل الى العراق ، ومنه الى المدينة ، واستقر بالشام ياخذ العلم عن ائمة هذه الامصار ، يقول مكحول : طفت الارض جميعا فى طلب العلم . وقوله على سبيل المبالغة ، فصار من الائمة العلماء ، قال الزهرى : العلماء اربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبى بالكوفة ، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقد كان مكحول يفتى برايه ، قياساً على الاصول ، وآراؤه الفقهية كآراء غيره من التابعين الشاميين . والملاحظ انه ينقل الفتاوى عن غيره كابن عباس ، واحيانا يتكلم برايه . وكان له طريقته عند الادلاء بقوله ، فكان لايفتى حتى يقول : لاحول ولاقوة الا بالله ، هذا راى والراى

---

(١) عن فقه رجاء بن حيوة ، انظر / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٧٥ ـ الذهبى : سير ، ٥٥٧/٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣١٥/٩ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٢٢٩/٣-٢٣٠

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الاول ، ص ٩١ .

يخطىء ويصيب . وقد خلف مؤلفات فى علم الفقه ، ذكر له ابن النديم كتابين هما : كتاب السنن فى الفقه ، وكتاب المسائل الفقهية .(١)

وعطاء بن أبى رباح (ت ١١٤هـ)(٢) ، الامام ، شيخ الاسلام ، مفتى الحرم ، الفقيه ، كان من أجلاء الفقهاء ، قال ابو جعفر الباقر : مارايت فيمن لقيت افقه منه . وقد انتهت فتوى مكة اليه والى مجاهد ، فى زمانهما وكان اكثر ذلك الى عطاء ، وكان أعلم الناس بالمناسك . يقول ابو جعفر : مابقى احد اعلم بمناسك الحج من عطاء ، وكان بنو امية يامرون فى الحج أن لايفتى الا عطاء ، فان لم يكن فعبد الله بن أبى نجيح . ولاغرابة فى ذلك فقد عد قتادة ائمة الأمصار فجعله رابعهم . وكان رحمه الله لايقول بالرأى ، ومات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس .(٣)

وقتادة بن دعامة السدوسى (ت ١١٧هـ)(٤) ، الامام الحافظ ، العالم ، كان من أوعية العلم ، ومن علماء الناس بالقرآن والفقه ، ذكره أحمد بن حنبل ، فاطنب فى ذكره ، فجعل ينشر

---

(١) انظر عما اوردناه عن علمه وفقهه / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٧٥ ـ الذهبى : سير ، ٥/١٥٥-١٦٠ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣١٧ ـ ابن حجر : تهذيب ، ١٠/٢٥٨-٢٦٠ ـ أبو زرعة : تاريخ ابى زرعة ، ١/٢٤٥ ـ خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٩٧-٩٩ ـ محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ، ص ٦٤ ـ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٢ .

(٢) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٨ .

(٣) عن فقه عطاء ، انظر : الشيرازى : نفس المصدر ، ص ٦٩ الذهبى : نفس المصدر ، ٥/٧٨-٨٨ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة ، ٩/٣١٧-٣١٨ ـ ابن حجر : نفس المصدر ٧/١٧٩-١٨٣ ـ محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١١٣-١١٤ ـ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١٦٨ .

(٤) انظر ترجمته قبل : ص ٦٢٩ .

من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه . يقول معمر : مارايت افقه من الزهرى وحماد وقتادة وقال ابن عيينة مثل قوله ، وقال سفيان الثورى : وهل كان فى الدنيا مثل قتادة ، وقال الزهرى : هو اعلم من مكحول . ومع سعة علمه كان لايفتى برايه ، واذا سئل مسالة لانص فيها قال : لاادرى . قال ابو عوانة : سمعت قتادة يقول : ماافتيت برايى منذ ثلاثين سنة ، وفى رواية لابى هلال ، منذ اربعين سنة .(١)

وحماد بن ابى سليمان(٢) العلامة الامام فقيه العراق ، تفقه بابراهيم النخعى ، وهو انبل اصحابه وافقههم ، واقيسهم وابصرهم بالمناظرة والراى ، وكان يكتب عن ابراهيم وافتى فى حياة ابراهيم ، وقد اوصى ابراهيم سائليه عمن ياتون بعده ، فقال : عليكم بحماد ، فانه قد سالنى عن جميع ماسالنى عنه الناس . وقد كان معمر يقول : لم ار من هؤلاء افقه من الزهرى ، وحماد ، وقتادة . وقال ابو إسحق الشيبانى حماد بن ابى سليمان افقه من الشعبى ، مارايت افقه من حماد وهو مستقيم الفقه ، يقول برايه .

---

(١) عن فقه قتادة ، انظر / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٨٩ — الذهبى : سير ، ٥/٢٦٩-٢٨٣ — ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣٢٦ — ابن حجر : تهذيب ، ٨/٣١٥-٣١٩ محمد الذهبى : التفسير والمفسرون ، ١/١٢٥-١٢٦ .

(٢) حماد بن ابى سليمان ، ابو اسماعيل بن مسلم الكوفى ، مولى الاشعريين ، واصله من اصبهان ، كان من صغار التابعين ، عالما ، ثقة ، صدوقا ، كريما ، رمى بالارجاء ، ارجاء الفقهاء ، وكان محدثا ، قيل : لايحتج به وضعفه البعض حيث اختلط فى آخر عمره ، ومات كهلا (١٢٠هـ) . (عن ترجمته وفقهه ، انظر : الشيرازى : نفس المصدر ، ص ٨٣ — الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣١-٢٣٩ — ابن حجر : نفس المصدر ، ٣/١٤-١٥) .

وعمرو بن دينار (١) ، الامام الحافظ ، احد الاعلام وشيخ الحرم فى زمانه ، كان فقيها ، وكان مفتى اهل مكة فى زمانه وقد افتاهم ثلاثين سنة ، فقد كان من اوعية العلم وائمة الاجتهاد ، يقول ابن ابى نجيح : ماكان عندنا احد افقه ولا اعلم من عمرو بن دينار ، ولا احفظ ، وقال اياس ابن معاوية نحو ذلك ، وكانوا قد سالوا عطاء ، بمن تامرنا ؟ قال : بعمرو بن دينار .

ويزيد بن ابى حبيب (٢) ، الامام الحجة ، مفتى الديار المصرية ، عالم مجمع على الاحتجاج به ، من العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى ، يقول الليث بن سعد : يزيد بن ابى حبيب سيدنا وعالمنا ، وقال ابوسعيد بن يونس : كان مفتى اهل مصر فى ايامه ، وكان اول من اظهر العلم بمصر ، والكلام فى الحلال والحرام ، ومسائل ، وقيل انهم كانوا قبل ذلك يتحدثون بالفتن والملاحم ، والترغيب فى الخير ، وقد كان ثالث ثلاثة جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز الفتيا اليهم بمصر .

---

(١) عمرو بن دينار ، ابومحمد الجمحى ، مولاهم المكى ، من الابناء ، عالما فقيها ، محدثا ، ثقة ، ثبتا ، كان يحرج على الكتابة عنه ، ورمى بالتشيع والتحامل على ابن الزبير ، ولد فى امرة معاوية ، و(ت ١٢٥ او ١٢٦هـ) (انظر عنه / الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٧٠ ـ الذهبى : سير ، ٥/٣٠٠-٣٠٧ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٨/٢٦-٢٧) .

(٢) يزيد بن ابى حبيب ، ابو رجاء الازدى ، مولاهم المصرى ، من صغار التابعين ، ومن جلة العلماء العاملين ، ثقة حجة ، حليما ، عاقلا ، ولد بعد الخمسين هجرية ، و(ت ١٢٨هـ على خلاف) . (انظر عنه وعن فقهه / الذهبى : نفس المصدر ، ٦/٣١-٣٣ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١١/٢٧٨-٢٧٩ ـ احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩١) .

وابو الزناد عبد الله بن ذكوان[(١)] ، الامام الفقيه الحافظ المفتي ، من علماء الاسلام ، وائمة الاجتهاد ، كان فقيه اهل المدينة ، كانت له حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد تكاثر عليه طلاب العلم ، حتى كان معه من الاتباع مامع السلطان ، وكان يجلس اليه فيها عبد الله ابن حسن وداود بن حسن بن علي بن ابي طالب ، ثم تركوه الى ربيعة الرأي . وكان افقه الرجلين . وكان رحمه الله صاحب كتاب وحساب ، وكان له من الكتب كتاب الفقهاء السبعة ، وكتاب الفرائض .

وهذه الفترة كانت زاخرة بالعلماء الفقهاء ، كمن ذكرناهم من الصفوة ، وآخرون كثيرون ، لايسعنا في مثل هذا البحث احصاءهم وايراد ماذكر عنهم ، وسنكتفي بذكر عدد ممن لايقلون درجة عمن ذكرنا .

وهم : خالد بن معدان الكلاعي (ت ١٠٣هـ) ، كان من الطبقة الثالثة من فقهاء الشام وشيخهم ، وائمة الفقه والدين المعدودين المشهورين[(٢)] . ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ) ، العالم ، روى عن ابن عباس ، فاكثر واطنب ، وعنه اخذ القرآن والتفسير والفقه ، قال ابن سعد : مجاهد ثقة ، فقيه

---

(١) ابو الزناد عبد الله بن ذكوان ، القرشي مولاهم المدني العالم ، الفقيه ، المحدث ، ثقة ، حجة ، تولى بيت مال الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وقيل الخراج ، وديوان المدينة لهشام ، وكان بصيرا بالعربية فصيحا بليغا ، ولد سنة ٦٥هـ ، و(ت ١٣٠هـ على خلاف) . انظر عنه : الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٥-٦٦ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٤٤-١٤٦ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٤٥٥/٧ ـ الذهبي : سير ، ٥٤١-٤٣٦/٤ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٣٩/٩ ـ ابن حجر : تهذيب ، ١٠٢/٣-١٠٣ .

عالم ، كثير الحديث . وقال ابن حبان : كان فقيها ورعا عابدا متقنا[1] . وابو قلابة الجرمي ، عبد الله بن زيد (ت ١٠٤هـ) ، كان من الائمة الفقهاء ، عالم بالقضاء[2] . وابو بردة بن ابي موسى الاشعرى (ت ١٠٤هـ) ، كان فقيها ، حافظا ، عالما ، تولى قضاء الكوفة بعد شريح[3] . وابان بن عثمان ابن عفان (ت ١٠٥هـ) ، من فقهاء المدينة ، له علم باشياء من قضاء ابيه ، وذكره يحيى بن سعيد القطان ضمن الفقهاء العشرة ، قال عمرو بن شعيب : مارايت اعلم منه بالحديث والفقه[4] . والضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني (ت ١٠٥هـ) كان فقيها ، املى على حسين بن عقيل مناسك الحج[5] . وبكر بن عبد الله المزني (ت ١٠٨هـ) الامام القدوة الحجة ، أحد الاعلام ، قال محمد بن سعد : كان بكر المزني ثقة ، ثبتا ، كثير الحديث ، حجة فقيها ، وكان مجاب الدعوة[6] . وابو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت ١١٣هـ) ، كان من فضلاء التابعين ، وهو اول من ولي قضاء القيروان بعد بنائها ،

---

(١) الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٦٩ ـ الذهبى : سير ، ٤/٤٤٩-٤٥٤ ـ ابن حجر : تهذيب ، ١٠/٣٨-٤٠ .

(٢) الشيرازى : نفس المصدر ، ص ٨٩ ـ الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٦٨ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٢٤٠ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٥/١٩٧-١٩٩ .

(٣) ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٠ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٢/٢١-٢٢ .

(٤) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٥١ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٤٣ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١/٨٤-٨٥ .

(٥) الشيرازى : نفس المصدر ، ص ٩٣ ـ الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٩٨-٦٠٠ ـ محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٦ .

(٦) الذهبى : نفس المصدر ، ٤/٥٣٢-٥٣٦ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١/٤٢٤-٤٢٥ .

وكـان ممـن بعثه عمر بن عبد العزيز ليفقهوا اهل افريقية [(١)] .
ومحمد بـن علي بن الحسين (ت ١١٤هـ) ، الامام العالم ، كان مـن فقهاء المدينة ، مجتهدا ، له مسائل وفتاوى ، لكنه كما يقـول الـذهبي : لايبلغ في الفقه درجة ابي الزناد وربيعة [(٢)] .
والحكم بـن ابـي عتيبـة (ت ١١٥هـ) ، كان ثقة فقيها عالما عاليـا رفيعـا كثير الحديث ، تفقه بابراهيم النخعي ، وقد نصحـوا باستفتائه بعد موت الشعبي [(٣)] . وميمون بن مهران الرقي (ت ١١٦هـ) ، العالم الفقيه الفاضل ، كان احد اربعة علماء ذكـرهم سليمان بن موسى زمن هشام ، وكان على قضاء الجزيرة وخراجهـا لعمـر بـن عبـد العزيز [(٤)] . وعبد الله بن ابي زكريا الخـزاعي الشامي (ت ١١٧هـ) ، كان من فقهاء دمشق وعبادها ، وهـو مـن اقـران مكحـول ، ولم يكن بالشام رجل يفضل عليه . وكـان عمـر بـن عبـد العزيز يقربه ويجلسه معه على سريره [(٥)] .
ونـافع مـولى ابـن عمـر (ت ١١٧هـ) ، الامام المفتي ، عالم المدينـة ، واحـد فقهائهـا ، لم يكن يفتي في حياة سالم بن عبـد اللـه ، وقـد بعثـه عمـر بـن عبد العزيز الى اهل مصر يعلمهم السنن [(٦)] .

---

(١) الدباغ : معالم الايمان ، ١٩٨/١ .
(٢) الشيرازي : طبقـات الفقهاء ، ص ٦٤ ـ الذهبي : سير ، ٤٠١/٤-٤٠٩ ـ ابـن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٢١/٩ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٣١١/٩-٣١٣ .
(٣) ابـن سـعد : الطبقـات ، ٣٣١/٦-٣٣٢ ـ الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٨٢-٨٣ .
(٤) الشيرازي : نفس المصـدر ، ص ٧٧ ـ ابـن حجـر : نفس المصدر ، ٣٤٩/١٠-٣٥٠ .
(٥) الشيرازي : نفس المصدر ، ص ٧٤ ـ ابـن حجـر : نفس المصدر ، ١٩١/٥-١٩٢ .
(٦) ابـن سـعد : الطبقـات ، القسم المتمم ، ص ١٤٢-١٤٥ ـ الذهبي : نفس المصدر ، ٩٥/٥ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعـة والجزء ، ص ٣٣٢ ـ ابـن حجر : نفس المصدر ، ٣٦٨/١٠-٣٧٠ ـ محمد الخضري : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ١١٥ .

وعبد الله بن ابى مليكة التيمى المكى (ت ١١٧هـ) ، من كبار اصحاب ابن عباس ، كان عالما مفتيا ، معدودا فى طبقة عطاء وقد ولى القضاء لابن الزبير ، وكان مؤذنا له[(١)] . وابو بكر بن محمد بن حزم المدنى (ت ١٢٠هـ) ، كان فقيها ، قاضيا قال مالك : لم يكن عندنا احد بالمدينة عنده من علم القضاء ماكان عند ابى بكر بن حزم[(٢)] . وعدى بن عدى الكندى الجزرى (ت ١٢٠هـ) ، سيد اهل الجزيرة ، كان فقيها ناسكا يثنى عليه ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء الجزيرة فى ايامه[(٣)] . ومحمد بن يحيى بن حيان الانصارى المدنى (ت ١٢١هـ) ، الامام الفقيه الحجة ، كان له حلقة فى المسجد النبوى يفتى بها[(٤)] . واياس ابن معاوية بن مره المزنى البصرى (ت ١٢٢هـ) ، قاضى البصرة كان فقيها ، فهما ، فطنا ، عاقلا ، عفيفا[(٥)] . ومحمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) ، كان اعلم اهل زمانه بالحلال والحرام ، واحد ائمة الافتاء ، من الفقهاء المجتهدين المجددين ، وقد جمع محمد بن احمد بن مفرج فتاواه فى ثلاثة اسفار ضخمة مرتبة على ابواب الفقه ، وكانت آراء الزهرى الفقهية ، تماثل آراء عمر بن عبد العزيز ، فى السنة والراى ، فيقول دعوا السنة تمضى لاتعرضوا لها بالراى ، بينما يرى الراى فى

---

(١) الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٦٩-٧٠ ـ الذهبى :سير ، ٥/٨٨-٩٠ ـ ابن حجر : تهذيب ، ٥/٢٦٨-٢٦٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ١٢٤-١٢٧ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٢/٤٠-٤٢ .

(٣) ابن حجر : نفس المصدر ، ٧/١٥٢-١٥٣ .

(٤) ابن سعد : نفس المصدر والقسم ، ص ١٣١-١٣٢ ـ ابن حجر: نفس المصدر ، ٩/٤٤٨-٤٤٩ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٥٩ .

(٥) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣٤٧-٣٥٢ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٢/٣٤١-٣٤٢ .

الأمور التي ليس لها نص في الكتاب والسنة أو أحكام السابقين (١). وخالد بن أبي عمران التجيبي مولاهم (ت ١٢٥هـ) الإمام القدوة ، فقيه أهل افريقية ، وقاضيها (٢). وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني (ت ١٢٥هـ) ، الامام الحجة الفقيه ، قاضي المدينة ، كان من كبار العلماء ، يذكر مع الزهري ويحيى بن سعيد (٣). وسليمان بن حبيب المحاربي الدمشقي (ت ١٢٦هـ) ، كان اماما كبير القدر ، قضى بدمشق ثلاثين سنة ، وقيل اربعين (٤). وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن ابي بكر (ت ١٢٦هـ) الامام الفقيه ، من سادات اهل المدينة ، وفضلائهم ، ورث عن ابيه العلم وخلفه في مجلسه في المسجد النبوي بالمدينة (٥). ويزيد بن عبد الرحمن الهمداني الدمشقي (ت ١٣٠هـ) ، العلامة ، قاضي دمشق ، واحد الفقهاء مع مكحول ، كان عمر بن عبد العزيز قد بعثه ليفقه بني نمير ويقرئهم ، قال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن عندنا اعلم بالقضاء من يزيد بن ابي مالك لامكحول ولاغيره (٦). وأيوب السختياني (ت ١٣١هـ) ، الامام الحافظ ، سيد العلماء ، وسيد شباب اهل البصرة ، قال شعبة : أيوب سيد الفقهاء ، وقال ابن ابي مطيع : كان افقههم في دينه أيوب (٧).

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ١٥٧-١٨٧ - ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٥٤/٩-٣٥٩ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ١٥٩-١٦٠ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٩٦ - محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامي ، ٢٥/٢ .

(٢) الذهبي : سير ، ٣٧٨/٥ .

(٣) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤١٨-٤٢١ .

(٤) الذهبي : نفس المصدر ، ٣٠٩/٥ - ابن حجر : تهذيب ، ١٥٦/٤-١٥٧ .

(٥) سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ١٤٣-١٤٤ .

(٦) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٣٧-٤٣٨ .

(٧) الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٨٩ - الذهبي : نفس المصدر ، ١٥/٦-٢٦ .

ونخلص مما اوردناه عن علم الفقه فى فترة دراستنا ، ان هذا العلم ان لم يحظ باهتمام خلفاء الدولة الاموية فيما عدا عمر بن عبد العزيز ، فقد انبرى له علماء افذاذ ، عكفوا عليه ونذروا انفسهم للدين والعلم ، تعلما وتعليما وتاليفا ، وقد تميز هذا العلم آنذاك بالنمو والتطور ، كما حظى بجلة من الفقهاء المبرزين ، واسعى العلم ، لكن غالب علمهم كان فى الصدور ، ومن كتب منهم كانت كتاباته شخصية ، فلم نرث كتبا عن كل من ذكرنا ، الا ماخلفه مكحول وابو الزناد ومانسب الى الشعبى والحسن ، مع اننا علمنا ان الحسن قد احرق كتبه عند موته ولم يبق الا صحيفة واحدة . الى جانب ماجمع من فتاوى بعض هؤلاء العلماء بعد فى مؤلفات كجمع فتاوى البصرى والزهرى،ومع ذلك فقد افاد الفقه فى هذه الفترة من تدوين الحديث الرسمى زمن عمر بن عبد العزيز وكتابات هؤلاء العلماء الشخصية ، ومادونه عنه تلاميذهم ، ليكون مطلع هذا القرن كمرحلة المخاض لعصر التصنيف الذى بدا فى اواخر النصف الاول من هذا القرن (الثانى) .

والحق انه مع القول بظهور المدارس الفقهية ، وتميز المدينة بالاثر والتاثير الاكبر فى هذا العلم والعلوم الدينية عامة ، بينما ظهرت المدرسة العراقية كممثلة للراى فان من الواضح ان فترة دراستنا وهى مطلع القرن الثانى ، لم يكن هذا التميز قد اخذ شكله بوضوح ، فقد لمسنا من خلال دراستنا لفقهاء الفترة ، وجود من يقف عند الاثر ، ليس فى المدينة فحسب بل فى العراق ومكة وغيرها ، فقد وجدنا من ائمة العراق الشعبى ، والحسن البصرى ، وقتادة ، لايقولون

بالرأى ، ويتحرزون من الفتوى ويحتاطون لأنفسهم ما استطاعوا وكثير مايقول الواحد منهم اذا سئل فيما ليس فيه اثر لاادرى ومثلهم طاووس فى مكة وغيرهم .

بينما نجد من يقول بالرأى ، فى العراق كحماد بن أبى سليمان ، وفى الشام مكحول ، وفى مكة عكرمة ، وكذلك فى المدينة نفسها ، حيث نجد ربيعة بن ابى عبد الرحمن ، المعروف بربيعة الرأى (ت ١٣٦هـ) (١) .

ومما يلاحظ من دراسة هذه التراجم ، نبوغ عدد كبير من الموالى فى هذا العلم ، ليشاركوا العرب ، فى هذا الميدان بعد ان كان قاصرا على العرب تقريبا فى عصر الصحابة ، وليكونوا بذلك ائمة يقتدى بهم ، وعلماء يرتحل الناس اليهم ليتفقهوا بهم ويتعلموا على يديهم ، وذلك هو دين الاسلام يسمو باهله ، فقد قال عمر بن عبد العزيز عندما انكر عليه الناس جعل فتيا مصر لثلاثة ، رجلين من الموالى ، وواحد من العرب : ماذنبى ان كانت الموالى تسمو بانفسها صعدا ، وانتم لاتسمون (٢) .

---

(١) انظر عن فقهه / سعد الموسى : الحياة العلمية فى المدينة ، ص ١٤٦-١٤٨ .
(٢) انظر قوله هذا عند : احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩١.

## المبحث الثانى

# الأدب

لم يقتصر نشاط الحركة العلمية فى العصر الأموى على العلوم الدينية ، فقد شمل مناحى كثيرة ، حيث ازدهر الادب فى العصر الأموى شعره ونثره ، فقد شهد ذلك العصر نهضة ادبية ، كان لها مجالسها ومنتدياتها ، كما كان لها رجالها محظية باهتمام الخلفاء الأمويين ورعايتهم لها .(١)

وقد كان على راس المجامع والمنتديات الأدبية فى العصر الأموى سوق المربد بالبصرة ، وسوق الكناسة بالكوفة ، اللتان ورثتا سوق عكاظ فى الجاهلية ، وكان المربد مالف الاشراف ، وقد مارست القبائل فيهما الوانا من النشاط الادبى وخاصة الشعر ، حيث زخرت بالشعراء ، الذين كان لبعضهم حلقات ومنازل خاصة ، يلقون فيها شعرهم امام الناس ، وخصوصا فى الفخر والهجاء ، وكان الى جانبهم بعض الرجاز ، والمحكمين ، والخطباء ، وكان الأمر احيانا يدعو الى تدخل الامراء ، لاسكات بعضهم ، او تهييجهم واثارتهم ، او اعانة بعضهم على بعض ، وقد شهد المربد كثيرا من نقائض جرير والفرزدق ، كما ساعد الخلفاء والامراء على احيائها ، تنشيطا للادب ، وللإستفادة من ذلك سياسيا ، فكانت هذه العوامل وراء تلك النهضة الادبية التى شهدها العصر الأموى ، وورثنا

---

(١) محمد خفاجى : الحياة الأدبية فى عصر بنى امية ، ص ٧٧.

جليل آثارها .(١)

وقد عنى الخلفاء الأمويون بالادب ورعوا الادباء ، واحاطوا انفسهم بهم ، واجزلوا لهم العطايا والصلات وفتحوا ابوابهم للشعراء والخطباء .(٢)

وقد حظى الشعراء بالنصيب الأوفر من اهتمام الحكام الأمويين ، الذين سعوا لكسب الشعراء ، واغدقوا عليهم الأموال ، وصار البلاط الأموى ومجالس الولاة والامراء ، مثابة لكل ذي شاعرية ، حتى صاروا لسان الأمويين الممجد لأعمالهم ، والمنافح عن سياساتهم ، ولاشك فى اهمية الدور الذى قام به هؤلاء الشعراء فى انجاح السياسة الاموية .(٣)

الا ان الشعراء خسروا تلك الحظوة فى عهد الخليفة عمر ابن عبد العزيز وبدافع من التقوى والحكمة ، لم يجعل لهم مكانا فى مجلسه ، ولم يجزل لهم العطايا ، ومع ذلك فقد حظى هو بمدح الكثيرين منهم حيا ، والرثاء ميتا ، لما عرف عنه من حسن السيرة .(٤)

---

(١) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٥٩-٦٠ ـ محمد خفاجي : الحياة الأدبية عصر بنى امية ص ٣٤-٣٥،٤٧-٤٩ ـ عمر ابو النصر : الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، ص ٣٥٩-٣٦٣ .
* آثرنا عدم الترجمة لرجالات الادب فى زمن يزيد ، عندما يرد ذكرهم عرضا ، فى هذا العرض العام للأدب فى العصر الأموى وزمن الخليفة يزيد ، اذ سنقوم بذكر شعراء وادباء عصره ، وسنترجم آنذاك لمشاهيرهم .

(٢) محمد خفاجى : تاريخ الادب فى العصر الأموى ، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) عون الشريف : شعر البصرة فى العصر الاموى ، ص ٨٦-٨٧ ـ ابراهيم العدوى : الأمويون والبيزنطيون ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .

(٤) عن موقف عمر من الشعراء ، (انظر : ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ،ص ١٩٦-٢٠١ ـ الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٢-٢٣ ـ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٨-٢٣٩،٢٤٣ ـ الاتليدى : اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس ، المطبعة اليوسفية ، مكتبة =

اهتمام الخليفة يزيد بن عبد الملك بالادب ورعاية اهله :

ولما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، فتح أبوابه للشعراء ، وآثرهم بالرعاية وجزيل العطاء ، وقد عده المستشرق الفرنسي بلاشير (١) ، من حماة الادب والفنون ، مشيرا الى المكانة التي احتلها الشعر والشعراء في كنفه ، حيث قال عنه : انه كان شابا مثقفا ينظم الشعر برقة ، شغوفا بالموسيقى والغناء ، وقد أورد أن تلك الرعاية لم تقتصر على من وفد عليه ببلاطه ، بل انه كان يرعاهم في حجه الى مكة (٢) ، واستدعاء من بعد منهم اليه . وهناك اشارات الى قول يزيد ابن عبد الملك الشعر (٣) ، بل أن أحد المؤرخين المحدثين (٤) ، جعل الخليفة يزيد من المجددين في الشعر ، وأحد الشعراء الذين عنوا بالاناقة والصقل في الصناعة الشعرية . ونحن في الحقيقة لم نعثر على اى شعر ليزيد بن عبد الملك في المصادر التي اطلعنا عليها ، سوى بيتين ، أوردهما الاصفهاني في رواية (٥) ، تشير الى اختلاف سلامة وحبابة في موت

---

= الجمهورية العربية ، مصر ، ص ٤٦-٤٨ – محمد عبد القادر احمد : دراسات في ادب ونصوص العصر الاموى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ١٠٩-١١٠ .

(١) تاريخ الأدب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٧٩٤،٦٤٩ .

(٢) ان صح خبره هذا ، فان تلك الرعاية كانت خلال حجه قبل أن يتولى الخلافة ، لأن يزيد لم يحج في خلافته . (انظر/ مجهول : العيون ، ص ٨١ – الاربلي : خلاصة الذهب المسبوك ، ص ٢٦) .

(٣) الاصفهاني : الاغاني ، ١٣٤/١٥-١٣٧ – شكرى فيصل : المجتمعات الاسلامية ، ص ٤٢٨-٣٩٨ – بروكلمان : تاريخ الادب العربي ، ٢٤٠/١ .

(٤) شكرى فيصل : نفس المرجع والصفحات .

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحات .

غنائي ، فأمر الخليفة عامله على المدينة ، أن يحمل اليه معبد المغني للحكم بينهما ، فأتاه وحكم بينهما ، وأمره الخليفة أن يغنيه ، فغناه ، فطرب ، وقال شعرا هو :

ابلغ حبابة اسقى ربعها المطر
ماللفؤاد سوى ذكراكم وطر
ان سار صحبي لم أملك تذكركم
أو عرسوا فهموم النفس والسهر

لكن الاصفهاني يعود الى ذكر الاختلاف في نسبة صنعة ذلك الشعر ليزيد ، فيذكر ان ابن خرداذبة نسبه ليزيد ، وغيره نسبه لحبابة ، وقال الاصفهاني : والصحيح انه لمعبد .

وكان ليزيد اهتمام ظاهر بالشعر والشعراء ، فنجده يسأل الزهري عن قائل قصيدة غنتها له جاريته حبابة ، فلما علم انها للاحوص الشاعر ، وكان عمر بن عبد العزيز قد نفاه الى دهلك ، أمر بتخلية سبيله ، وأمر للزهري بأربع مئة دينار (١) . وقيل : بل أخبره بذلك جاريته حبابة ، فأمر باحضاره ، فمدح الخليفة يزيد ، الذي أجزل جائزته (٢) . ومن بالغ اهتمامه ، أمر عامله على مكة ، أن يحمل اليه شاعرا من آل أبي لهب على دواب البريد ، وأن يعطيه الف دينار نفقة الطريق (٣) . الى جانب بعض الأخبار الدالة على تقريبه بعض الشعراء ، واجزال العطايا لهم ، ككثير عزة ، الذي قيل :

---

(١) ابو العرب : كتاب المحن ، ص ٤٠٥ ـ الذهبي : تاريخ الاسلام ، ٩١/٤ ـ محمد عبد القادر احمد : دراسات في أدب ونصوص العصر الاموي ، ص ١١٣ .
(٢) الاصفهاني : الأغاني ، ١٢٩/١٥-١٣٠ ـ وانظر بعد : ص ٧١٣
(٣) احمد السيد دراج : صناعة الكتابة ، ص ٣٣ ـ فرج الهوني: النظم الادارية والمالية ، ص ٢٠٠ .

ان الخليفة يزيد جعله يطلب لنفسه ماشاء ، لاعجابه بقصائده التي مدحه بها ، فاحتكم بمئة الف ، فكره الخليفة أن يقول الناس اعطى شاعرا مئة الف ، لكنه نفذ وعده على أن يكون فيها عروض .(١)

وسنعرض لشيء من اخباره مع الشعراء ابان ذكرنا لاهم شعراء عصره .

ويتضح أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، كان يخضع تقريبه للشعراء ، للمعايير الاخلاقية ، وان بدا غير دقيق في الحرص على ذلك ـ كعفوه عن الأحوص الذي نفاه عمر بن عبد العزيز لسوء سلوكه وتعرضه لاعراض الناس بشعره ـ فقد اورد ابن عبد ربه (٢) ، أن الخليفة يزيد لم يسمح لأبي الطحمان القيني (٣) ، بالدخول عليه الفسقة ، مع محاولة ابي الطحمان ، اسماع الخليفة شيء من شعره الذي يمدحه فيه ، لكن الخليفة لم يأذن له ، وان كان قد أمر له بألفي درهم . لكن ابن حجر (٤) في ترجمته لأبي الطحمان القيني ، يشير الى انه قد ذكر له شعر يتبرأ فيه من الذنوب كالزنا وشرب الخمر واكل

---

(١) احسان عباس : ديوان كثير عزة ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م ، ص ٥٢ ـ محمد عبد القادر أحمد : دراسات في أدب ونصوص العصر الأموي ، ص ١١٢ .

(٢) العقد ، ٤١/٧ .

(٣) حنظلة بن الشرقي أبو الطحمان القيني ، الشاعر ، كان نديما للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ، ثم أدرك الاسلام ، ذكر في المعمرين ، وقيل عاش منتي سنة . (ابن حجر : الاصابة ، ٣٨١/١-٣٨٢) . فاذا ماصح ماقيل عن طول عمره يكون من المقبول صحة هذه الرواية التي اشار اليها ابن عبد ربه ، ومبعث هذا الشك في صحة هذه الرواية ، ترجمة الزركلي لأبي الطحمان ، حيث أرخ لوفاته فيها بسنة (٣٠هـ) . (انظر ترجمته في كتابه : الاعلام ، ٢٨٦/٢) .

(٤) نفس المصدر والجزء ، ص ٣٨١ .

لحم الخنزير والسرقة ، مما يعارض مقتضى خبر ابن عبد ربه ، الا أن تكون توبته وشعره ذاك قد حدث بعد عهد يزيد بن عبد الملك . أو أن يزيد اتخذ موقفه منه على أساس سمعته الماضية .

ولم يكن الاهتمام بالادب قاصرا على الخليفة يزيد ، فقد رعاه كثير من الامراء والولاة في عهده وعلى رأسهم مسلمة بن عبد الملك ، فقدكان ذا كرم وفصاحة ، يقرب اهل الادب ويرعاهم ، اوصى بثلث ماله لأهل الأدب ، وقال :"انها لمنعة جحف أهلها" (١)
واشتهر الى جانب رجالات الدولة ، اناس عرفوا بحب الادب واهله وكانوا من رعاته والمؤثرين فيه ، كعبد الله بن أبي عتيق (٢) وسكينة بنت الحسين (٣) ، اللذين كان لهما دور ومكانة مميزة في الوسط الأدبي (٤) ، وغيرهما ممن كانوا من أهله ورعاته ونقاده الموجهين (٥) .

---

(١) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٤١/٩-٣٤٢ .
(٢) عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ناقد الحجاز في عصره ، ولد زمن عثمان ، و(توفي بعد سنة ١١٦هـ وقبل سنة ١٣٠هـ) . كان مع سكينة من نقاد الحجاز ، وممن عنوا بالأدب . (انظر أخباره عند / عبد العزيز عتيق : ابن أبي عتيق ناقد الحجاز أخباره ونقده ، جامعة بيروت العربية ، طبع دار الأحد (البحيري اخوان) ،بيروت ، ١٩٧٢م) .
(٣) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشهيد ، روت عن أبيها ، وقلما روت ، كانت بديعة الجمال ، تزوجها ابن عمها عبد الله بن الحسن الاكبر ، فقتل مع أبيها قبل الدخول بها ، ثم تزوجها مصعب بن الزبير ، ثم غير واحد . وكانت شهمة مهيبة ، دخلت على الخليفة هشام فسلبته عمامته ومنطقته ومطرفه ، فاعطاها ذلك ، كان الشعراء يأتون بابها فتجيزهم ، (ت ١١٧هـ) . (الذهبي: سير ، ٢٦٢/٥-٢٦٣) .
(٤) بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص ٧٩٥-٨٨٠ .
(٥) محمد خفاجي : الحياة الأدبية في عصر بني أمية ، ص ٢٩٥-٣٠٤ (وقد ذكر عدد من النقاد ورعاة الأدب آنذاك)

## الشعــــر :

شهد عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك جلة من فحول الشعر في العصر الاموى ، والمقدمين من شعراء الاسلام ، الذين كان لكثير منهم صلة بالخليفة يزيد ، وكان شعرهم معبرا عن أوضاع عهده المختلفة ، وعلى رأس هؤلاء الشعراء ، الفرزدق ، وجرير .

أما الفرزدق[(١)] ، فقد ظل متباعدا عن القصر الاموى ومدح خلفائه حتى عهد عبد الملك ، وقيل حتى عصر ابنه سليمان ،

---

(١) همام بن غالب بن صعصعة ، الدارمي التميمي ، البصري ، الشاعر المعروف من بيت عز وشرف في الجاهلية والاسلام جده صعصعة صحابي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وورد الفرزدق مع أبيه على علي رضي الله عنه واخبره أنه شاعر ، فقال علمه القرآن فهو خير له من الشعر ، وقيل قيد نفسه حتى يحفظ القرآن ، وقد رأى الحسين بن علي وسمعه وهو ذاهب العراق ، وغيره من الصحابة ، وروى عن جماعة . وقد ورث بداوة قبيلته ، واثرت في شعره ، فلم تفسد شعره الحاضرة ، فكان عظيم الاثر في اللغة ، قيل : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ،ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، ويعد في شعراء الطبقة الأولى في الاسلام ، وكان لاينشد بين يدي الشعراء الا جالسا ، وأشعاره ونقائضه مع جرير والأخطل مشهورة ، كما طلق زوجته النوار ، فقال فيها أشعارا حسانا ورثاها بعد موتها ، له من الأولاد ثلاثة أو سبعة في قول آخر وله من البنات خمس أو ست ، قيل ان هواه مع آل البيت ، وقيل بل مع كل معارض للامويين لكنه لايبين ذلك ، واخيرا تقرب من الامويين ، واصحى من شعراء بلاطهم ، ولد (٢٠ أو ٢٥هـ) ، و(ت ١١٤هـ على الصحيح) .
عن ترجمته ، واخباره واشعاره ، انظر / محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة ، السفر الثاني ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، ص ٢٩٧-٣٧٤ -ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٧٧/٩-٢٧٨ ـ الزركلي : الاعلام ، ٩٣/٨ ـ شاكر الفحام : الفرزدق ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ، ممدوح حقي : الفرزدق ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة .

والاقرب للصحة ، مدحه بني امية منذ عبد الملك ، لكنه لم يفد على احد منهم قبل سليمان .(١)

ويبدو انه لم يفلح في نوال رضى خليفته عمر بن عبد العزيز ، فلما تولى يزيد بن عبد الملك ، وفتح ابوابه للشعراء ، كان احد طارقيها المتلمسين الهبات والعطايا شاعرنا الفرزدق .(٢) وقد استهل عهد يزيد بحركة ابن المهلب ، فانحازت مضر الى الخلافة ، وكان الفرزدق في هذه الحرب لسان مضر ، ضد المتمرد على خليفة المسلمين ، فانبرى يقول عدد من القصائد ويطنب مادحا الخليفة يزيد وقواده مسلمة بن عبد الملك ، والعباس بن الوليد ، وهلال بن احوز ، وعبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، كما امتدح فرسان مضر وبالاخص تميم على ما ابدوه من شجاعة يوم العقر وفي قندابيل ، كما هجا ابن المهلب واهله وقومه الأزد ، وقد انبرى له الطرماح بن حكيم الطائي ، شاعر اليمن يدافع عن قومه ، فانغمس معه الفرزدق صاحب الثمانين عاما في مناوشات شعرية للذود عن العرين .(٣)

ونجد الفرزدق بعد ذلك ، متعرضا لسياسة الخليفة ، وولاته ، فقد ولى الخليفة يزيد عمر بن هبيرة الفزاري القيسي على العراق ، فيمدحه الفرزدق ، ويرفع من شان اسرته

---

(١) شاكر الفحام : الفرزدق ، ص ١٦٩-١٧١ - يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ، ص ١٨٤ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٤٠٩ .

(٢) شاكر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨٠ .

(٣) من اجل ذلك ونماذج من شعره في تلك المواقف ، انظر / شاكر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨٠-١٨٤ - احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة الى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار المعارف ، بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٢٧٤-٢٧٦ - محمد عبد القادر احمد : دراسات في ادب ونصوص العصر الاموي ، ص ١١٢ - بلاشير : تاريخ الادب العربي ، ص ٥٨٨-٥٨٩ .

مشيدا بكفايته ، لكنه لايلبث أن يتنكر لابن هبيرة ، فيهجوه ويهجو قبيلته ، وينال من أمانته ، مبديا عجبه من عزل أموى – يعنى مسلمة – واستعمال فزارى ، ناصحا للخليفة بعزله ، مما أوغر عليه صدر عمر بن هبيرة ، الذى طلبه ففر من وجهه الى البادية ، ثم استجار بالخليفة ، فلقى فى كنفه الأمن والبر والصلة ، وكتب الخليفة الى ابن هبيرة بتخلية النوار زوجة الفرزدق وكان قد سجنها . وقيل : بل تمكن منه ابن هبيرة وسجنه واطلقه (١) . ويبدو أن تغير موقفه من ابن هبيرة كان لعدم حصوله على ماكان يتأمله منه ، وإن بدا مدفوعا فى شعره بمظالم ذلك الوالى .

فمدح الخليفة بعدد من القصائد ، وبالغ فى مدحه وتمجيده ، وتواصلت مدائحه ، واتصل بابنه الوليد بن يزيد، ومدحه ، ونعم بقربهما وخيرهما (٢) .

وأما جرير (٣) ، فقد اتصل بيزيد بن عبد الملك ، فكان

---

(١) شاكر الفحام : الفرزدق ، ص ١٨٤-١٨٥ – أحمد كمال زكى، الحياة الأدبية فى البصرة ، ص ٢٨٤-٢٨٥ – نبيه عاقل : تاريخ خلافة بنى أمية ، ص ٣٠٤ – عون الشريف : شعر البصرة ، ص ٩٥ – محمد عبد القادر أحمد : دراسات فى أدب ونصوص العصر الأموى ، ص ٢٩٠ .

(٢) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ، ص ١٦٧-١٦٨ – شاكر الفحام : نفس المرجع ، ص ١٨١-١٨٢ ، ١٨٦ . (خروج عن المألوف ، فهو المداح المفاخر بمنهجية بدوية ، فهو ان مدح يزيد بذلك ، فقد فاخر بنفسه أمامه ، وقد لاقى يوما الشاعر جرير فى مجلس الخليفة ، وصرح أنه لايرى له كفء سوى الخليفة يزيد نفسه . انظر / ممدوح حقى : الفرزدق ، ص ٣٥-٣٦) .

(٣) جرير بن عطية الخطفى ، الكلبى ، اليربوعى ، التميمى، الشاعر المشهور ، يعد فى الطبقة الأولى لشعراء الاسلام ولد ونشأ بالبادية ،فقيرا ، راعيا ، من بيت متواضع ، وقد نطق بالشعر صبيا ، فهو من بيت شعر آباء وأبناء ، وكان أول من وفد عليه من الخلفاء يزيد بن معاوية، وتواصل وفوده على أكثرهم ، وعمالهم ، قيل كان جرير أشعر أهل عصره ، وقال عن نفسه : انى لمدينة الشعر =

الشاعر الذى يحامى عن الحكم الاموى ، ويناضل عن اصحابه ، ويسدد السهام لخصومه ، وقد ادى انتصار جيوش الخلافة على ابن المهلب فى عمر يزيد ، وارتفاع شان القيسية على اثر ذلك ، أن اصبح الشاعر جرير ، اللسان الناطق باسم القيسية ضد اليمنية ، يتغنى بذلك الانتصار ، مادحا الخليفة وقواده وفرسانه ، كما مجد اعمال قواده فى حروبهم الاخرى ، فى عدد من القصائد ، ومن ذلك قوله يمدح يزيد بعد القضاء على ابن المهلب ، معرضا باعدائه :

زان المنابر واختالت بمنتخب

مثبت بكتاب الله منصور

يكفى الخليفة أن الله فضله

عزم وثيق وعقد غير تغرير

الى قوله :

وكان نصرا من الرحمن قدره

والله ربك ذو ملك وتقرير

ومن قصيدة أخرى يمدح فيها الخليفة يزيد بن عبد الملك ويعرض بآل المهلب :

---

= التى منها يخرج واليها يعود . له أشعار واخبار مع معاصريه ، ونقائضه مع الفرزدق والاخطل مشهورة . ولد سنة ٢٨هـ على خلاف ، وتوفى (١١٤هـ على الصحيح) بعد وفاة الفرزدق باشهر وقيل : بثمانين يوما . وقد جمع شعره أكثر من واحد .
(انظر عنه / ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٣٧٤/٢-٤٥١ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٧١/٩-٢٧٧ ـ الزركلى : الأعلام ، ١١٩/٢ ـ بلاشير : تاريخ الأدب العربى ، ص ٥٧٠-٥٧١، ٥٧٧ ـ وأيضا لمعلومات أشمل : محمد ابراهيم جمعة : جرير ، دار المعارف ، بمصر) .

ساس الخلافة حين قام بحقها
وحمى الذمار فما يضاع ذمار
ويزيد قد علمت قريش أنـه
غمر البحور الى العلا سوار

الى قوله :

آل المهلب فرطوا فى دينهم
وطغوا كما فعلت ثمود فباروا (١)

واستمر جرير ، يثرى حياة الشعر ، وكان آخر من مدحهم من الخلفاء هشام ، حيث وافته المنية فى موطنه الأصلى باليمامة (٢) .

وقد شهد عهد يزيد بن عبد الملك الى جانب الفرزدق وجرير اللذين كانا مع الأخطل (٣) فحول الشعر الأموى ، وصدر بهم ابن سلام الطبقة الأولى لشعراء الاسلام (٤) ، شهد معهما جلة من الشعراء المبرزين والمؤثرين فى الحياة الأدبية آنذاك منهم :

كعب الأشقرى (٥) ، كان من شعراء المهلب بن أبى صفرة

---

(١) انظر هذه القصائد عند : محمد ابراهيم جمعة : جرير ، ص ٦٨-٦٩،٩٠ – بلاشير : نفس المرجع ، ص ٥٨٢ .
(٢) يوسف خليف : نفس المرجع والصفحات .
(٣) كانت وفاة الأخطل قبل عهد يزيد ، وذلك سنة (٩٠هـ) . (انظر ترجمته عند : الزركلى : الأعلام ، ١٢٣/٥) .
(٤) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٢٩٧/٢-٣٠٠ .
(٥) كعب بن معدان الأشقرى ، أبو مالك الأزدى ، فارس ، شاعر خطيب ، من شعراء خراسان ، كان فى جلة أصحاب المهلب المذكورين فى حروب الأزارقة (ت ٨٠هـ) . (الزركلى : نفس المرجع والجزء ، ص ٢٢٩) لكن الهادى حموده الغزى اورد انه قتل سنة ١٠٢هـ فى فتنة ابن المهلب ، كما أشرنا الى ذلك فى المتن أعلاه ، (انظر : الشعر الأموى فى خراسان ، ص ١٧٢-١٧٧) .

وفرسانه ، ثم تنكر للمهالبة بعد موت المهلب وخروج خراسان من يد ابنائه الى قتيبة بن مسلم ، الذى مدحه ، فلما استعمل سليمان بن عبد الملك على خراسان يزيد بن المهلب ، فر كعب الى عمان ، موطن قبيلته الأول ، فلما قام يزيد بن المهلب بحركته زمن يزيد بن عبد الملك فى البصرة وسيطر على تلك الانحاء ، دس اليه من قتله فى عمان (سنة ١٠٢هـ)(١) . وهو شاعر مبدع وبخاصة فى المديح ، ويعد فى فحول الشعراء بالعصر الأموى بشهادة الفرزدق ، وبمقتله مع فقد عدد آخر من شعراء خراسان ، بدا ذلك الاقليم يفقد ملامحه العربية شعريا(٢) ويبدو أن ابن المهلب لم يقتل كعب الاشقرى لتحوله عن ولائه لهم فحسب ، بل لخشيته من تاثيره على قومه أزد عمان ، فسعى للتخلص منه ، ليضمن وقوف عصبيته الى جانبه .

ومنهم ، عبد الرحمن بن حسان بن ثابت(٣) ، والحكم بن عبدل(٤) ، أدرك أوائل القرن الثانى ، واتصل بابن هبيرة

---

(١) الهادى الفزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ١٧٢-١٧٧ .
(٢) الهادى الفزى : نفس المرجع ، ص ١٧٩-١٨٢ .
(٣) عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الانصارى ، شاعر ابن شاعر كان مقيما بالمدينة وتوفى فيها ، ادرك النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يرو عنه ، وروى عن جماعة ، محدث ثقة ، قليل الحديث ، عد فى الصحابة ،وقيل تابعى وقد جمع شعره فى ديوان ، (ت ١٠٤هـ عن ٩٨ سنة) . (ابن حجر : تهذيب ، ٦/١٤٧-١٤٨ ــ الزركلى : الاعلام ، ٣/٣٠٣-٣٠٤) .
(٤) الحكم بن عبدل بن جبله بن عمرو الأسدى ، شاعر مقدم ، هجاء ، من شعراء بنى أمية ، كان أعرج أحدب ، واقعد آخر ايامه ، ولد ونشا بالكوفة ، وفد على عبد الملك ابن مروان فاكرمه وكان الامراء لايردون حاجته ، (ت نحو ١٠٠هـ) . (الزركلى : نفس المرجع ، ٢/٢٦٧) . ويلاحظ أن يوسف خليف قال انه ادرك ابن هبيرة فى ولايته على العراق ، مخالفا بذلك الزركلى فى التاريخ لوفاته . (انظر المتن أعلاه) .

- عامل يزيد بن عبد الملك على العراق ١٠٣-١٠٥هـ - فاراد أن يوجهه الى الغزو ، ويعد هذا الشاعر مقدمة للادباء الصعاليك الذين ظهروا فى القرن الرابع للهجرة .(١)

وكثير عزة(٢) ، الذى ادرك عهد يزيد وقد نيف على الخامسة والسبعين من العمر ، فاتصل به ، ومدحه بقصائد جياد ، اعجبت الخليفة ، فنال جوائزه ، حتى انه حكمه على بعضها بطلب مايشاء(٣) ، وقد تشفع لاسرى آل المهلب عند الخليفة ، من ذلك قوله :

فعفوا أمير المؤمنين وحسبة
فما تكتسب من صالح لك يكتب

أساءوا فان تغفر فانك اهله
وافضل حلم حسبة حلم مغضب

لكن الخليفة لم يقبل شفاعته ، وقتل اسراه(٤) . وقد تحولت حظوة كثير عند الخليفة الى جفوة ، والسبب فى ذلك كما يذكر خطل رأى كثير ، اذ يروى انه سال الخليفة عن معنى

---

(١) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى الهجرى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ، ص ٤٧٥ .

(٢) كثير بن عبد الرحمن بن الاسود الخزاعي ، شاعر مدنى مشهور ، كان شاعر اهل الحجاز فى الاسلام ، لايقدمون عليه احدا ، ذكر أنه شيعى يؤمن بالرجعة وينسب اليه القول بالتناسخ . متيم بعزة ، وعرف بها ، وله اخبار واشعار معها وفيها ، وفد على بنى مروان ومدحهم ، توفى بالمدينة (١٠٥هـ) ، له ديوان مطبوع . (انظر عن ترجمته واخباره / ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٦١/٩-٢٦٧ - اليافعى : مرآة الجنان ، ٢٤٩/١ - الزركلى : الاعلام ، ٢١٩/٥ - وكذلك لمعلومات اشمل : احسان عباس : ديوان كثير عزة ) .

(٣) انظر ذلك قبل : ص ٧٠٠-٧٠١ .

(٤) عن موقف الخليفة يزيد هذا ، (انظر قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ٢١٤-٢١٥) .

قول احد الشعراء وكان القول غامضا ، فتمامم عنه يزيد ، فاعاد القول ، واخذ يستحث الخليفة فى تحد ، فقال يزيد : وماعلى امير المؤمنين الا يعرف هذا وامر باخراجه ، فحجب عن الخليفة بعد ذلك ولم يصل اليه ، فكلمه فيه مسلمة وكان قد مدح الخليفة بسبع قصائد ، فاعطاه سبعمائة دينار . والغالب انه بعد هذه الجفوة عاد الى الحجاز فظل بها حتى مات .(١)

وعمر بن لجا التيمى(٢) ، ويزيد بن الحكم الثقفى(٣) ، الشاعر الفصيح العاقل الحكيم ، لما ثار يزيد بن المهلب على يزيد بن عبد الملك كتب اليه :

ابا خالد قد هجت حربا مريرة
وقد شمرت حرب عوان فشمر

فان بنى مروان قد زال ملكهم
وان كنت لم تشعر بذلك فاشعر

ومت ماجدا او عش كريما فان تمت
وسيفك مشهور بكفك تعذر(٤)

ولعل هناك صلة حميمة بين ابن المهلب وابن الحكم

---

(١) من اجل ذلك انظر / ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ٥٤٣/٢-٥٤٤ – ابن خلكان : وفيات ، ١١٠/٤ – اليافعى : مرآة الجنان ، ٢٥٢/١ – بلاشير : تاريخ الادب العربى ، ص ٧٢٣-٧٢٨، ٨١٨ .

(٢) عمر بن لجا التيمى ، من شعراء العصر الاموى ، كان بينه وبين جرير مفاخرات ومعارضات شهر بها (ت نحو ١٠٥هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ٥٩/٥) .

(٣) يزيد بن الحكم بن ابى العاصى الثقفى ، روى الحديث وروى عنه ، من فصحاء الشعراء وحكمائهم ، ابى النفس شريفها ، وهو من اهل الطائف ، سكن البصرة ، فولاه الحجاج كورة فارس ثم عزله قبل ان يذهب اليها ، فوفد على سليمان فاجرى له مايعادل عمالة فارس ، فقطع عنه ذلك بعد سليمان ، فلما قام ابن المهلب بحركته حرضه بشعره . وله اشعار فى الحكمة (ت نحو ١٠٥هـ) . (الذهبى : سير ، ٥١٩/٤-٥٢٠ – الزركلى : نفس المرجع ، ١٨١/٨) .

(٤) الزركلى : نفس المرجع والجزء والصفحة .

منذ أن وفد الشاعر على سليمان بن عبد الملك حيث اجزل له العطاء ، فقد يكون لابن المهلب يد فيما ناله ابن الحكم من الخليفة سليمان بحكم قربه منه ومكانته عنده ، أو لعل يزيد ابن عبد الملك ، منع عنه ما اجراه عليه سليمان ، وقطع فيما يبدو زمن عمر بن عبد العزيز ، فناصر لذلك خصمه (١) ، والا كيف بشاعر ثقفي قيسي ، يناصر حركة ابن المهلب اليمني ،خصوصا أن من اسباب قيام تلك الحركة ، تعذيب ابن المهلب لآل أبي عقيل من ثقيف ، أصهار الخليفة يزيد بن عبد الملك .

والطرماح بن حكيم الطائي (٢) ، شاعر اسلامي فحل ، كان شاعر يزيد بن المهلب ، قحطانيا متعصبا ، كان لسان اليمنية المخاصم للمضرية ، وخاصة تميم ، واستمر على ذلك حتى انكسار المهالبة سنة ١٠٢هـ ، فاتصل بخالد القسري ومدحه ، فلم تمهله المنية ، ومات سنة ١٠٥هـ (٣) .

وأبو النجم العجلي (٤) ، الراجز ، أحد ثلاثة طوروا الرجز في العصر الأموي ، ويعد في الطبقة الأولى من الرجاز الفحول

---

(١) انظر ذلك في ترجمته بالصفحة السابقة .

(٢) الطرماح بن حكيم بن الحكم الطائي ، شاعر اسلامي فحل ، ولد ونشا في الشام ،وانتقل الى الرى فكان مؤدبا فيها، وفي الكوفة بعد أن انتقل اليها ، اعتقد مذهب الأزارقة وكان هجاء ، كان معاصرا للكميت وصديقا له (مات بالجدري سنة ١٠٥هـ) ، وله ديوان شعر . (الزركلي : الاعلام ، ٢٢٥/٣ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٢٤٤/١-٢٤٥) .

(٣) بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص ٦٢٥-٦٢٨ - بروكلمان : نفس المرجع والجزء والصفحات .

(٤) أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي ، البكري ، الراجز من أكابر الرجاز وأحسن الناس انشادا للشعر ، نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام (ت ١٣٠هـ) . الزركلي : نفس المرجع ، ١٥١/٥ .

فى الاسلام ، فقد كان من المحسنين فى هذه الصنعة المجودين .[1]

وزياد الأعجم[2] ، من فحول الشعراء الخرسانيين فى العصر الأموى ، امتدح المهلب ، وغيره من الامراء والقواد ، وادرك هشام وله وفادة عليه[3] . ودكين بن رجاء الفقيمى ، الراجز المشهور[4] .

ونصيب بن رباح[5] ، شاعر فحل ، كان يعد مع جرير وكثير عزة ، له مدائح فى خلفاء وأمراء البيت الأموى ، وقد حظى عند الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فقد مدحه واحسن ، فنال اعجاب الخليفة ، فقال له : أجدت المدح فسل حاجتك ، فقال :

---

(١) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاموى ، ص ٢١٧ ـ بلاشير : تاريخ الأدب العربى ، ص ٦١٦-٦١٧ .

(٢) زياد بن سليمان الأعجم ، مولى بنى عبد القيس ، جزل الشعر فصيح الالفاظ ، ولد ونشأ فى أصفهان ، وانتقل الىخراسان مدح المهلب وأمراء عصره ، وكان هجاء يدارى ، له وفادةعلى هشام ، وقد طال عمره (ت ١٠٥هـ وقيل ١٠١هـ) . (الزركلى : الاعلام ، ٥٤/٣) .

(٣) الهادى الغزى : الشعر الاموى فى خراسان ، ص ١٢٧-١٣٣ .

(٤) دكين بن رجاء الفقيمى ، التميمى ، راجز شهر فى العصر الاموى ، له اراجيز ومدائح (ت ١٠٥هـ) ، (الزركلى : نفس المرجع ، ٣٤٠/٢ ـ بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ٢٢٩/١) .

(٥) نصيب بن رباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل مقدم فى النسيب والمدائح ، قال جرير فيه : أشعر أهل جلدته ، وكان عبدا أسود وقد كان عبدا لراشد الكنانى يسكن البادية ، انشد أبياتا بين يدى عبد العزيز بن مروان ، فاشتراه واعتقه ، له وفادات على خلفاء بنى أمية ، ومدائح فيهم ، تنسك آخر عمره ، واقبل على شانه ، وترك التغزل ، (ت ١٠٨هـ على خلاف) . (انظر عن ترجمته وأخباره واشعاره / الذهبى : سير ، ٢٢٦/٥-٢٦٧ ـ الزركلى : نفس المرجع ، ٣١/٨-٣٢ ـ ولمعلومات اشمل انظر ايضا : داود سلوم : شعر نصيب بن رباح ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧م) .

يدك يا أمير المؤمنين بالعطاء أبسط من لساني بالمسألة ، فأمر به فملىء فمه جوهرا فلم يزل غنيا حتى مات (١). وقد عده بعضهم من شعراء الشعوبية الى جانب اسماعيل بن يسار (ت ١١٠هـ) واخوته محمد وابراهيم وغيرهم ، الذين ظهر على يديهم لون جديد من الشعر ، وهو تمجيد أقوامهم ، وتاريخ شعوبهم الأعجمية (٢).

ومنهم الأحوص (٣) ، كان منفيا في دهلك بأمر عمر بن عبد العزيز ، فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، كتب اليه الأحوص مادحا ، فعفى عنه يزيد ، واستقدمه الى دمشق ، على اختلاف في سبب تخلية سبيله ، وكان الخليفة يعرف للأحوص مدائحه في أهل بيته ، لذا قال له يوما : لو لم تمت الينا بحرمة ، ولاتوسلت بدالة ، ولاجددت لنا مدحا ، غير انك مقتصر على بيتيك لاستوجبت عندنا جزيل الصلة ، ثم أنشد يزيد قوله :

وانى لاستحييكم أن يقودني
الى غيركم من سائر الناس مطمع

وان اجتدى للنفع غيرك منهم
وأنت امام للبرية مقنع

---

(١) داود سلوم : شعر نصيب بن رباح ، ص ١٨ ـ بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص ٧١٦-٧٢٠ .

(٢) محمد خفاجي : الحياة الأدبية في العصر الأموي ، ص ١٠٠-١٠١ ـ بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٢٣٩/١ .

(٣) عبدالله بن محمد الأنصاري ، شاعر هجاء مقدم في النسيب وفد على الوليد وخص بني أمية بمدحه ، ولسوء سيرته وتعرضه باشعاره للناس ، جلدونفي الى دهلك ، أطلقه يزيد بن عبد الملك ، فقدم دمشق ومات فيها (سنة ١١٠هـ) . (الزركلي : الأعلام ، ١١٦/٤ ـ ولمعلومات أوفى واشمل ، انظر أيضا : عادل سليمان جمال : شعر الأحوص الأنصاري ، رسالة ماجستير في الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٤م ، مطبوع ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) .

ووهبه الخليفة ثلاثين الف درهم ، فمدحه الأحوص بقوله :

من يكن سائلا فان يزيدا ملك من عطائه الاكثار

فأكثر له يزيد كما تأمل وظن ، وقربه وقضى حوائجه ، حتى اغناه ، فتفنن الأحوص فى مدحه ، ودان له بما صار اليه من الثراء ، يقول :

وماكان مالى طارفا من تجارة
وماكان ميراثا من المال متلدا
ولكن عطاء من امام مبارك
ملأ الأرض معروفا وجودا وسوددا

ويقول من قصائد تعبر عن رضا ، وامنا ، وانعام ، وصدق فى مدح الخليفة راجيا دوام ذلك :

ولى منك موعود طلبت نجاحه
وانت امرء لاتخلف الدهر موعدا
وعودتنى أن لاتزال تظلنى
يد منك قد قدمت من قبلها يدا

ووفاء للخليفة ، وجزاء لاكرامه ، نجده مبادرا الى هجاء خصومه المهالبة ، عندما احجم الشعراء ، فظهر بصورة المدافع عن سياسة الخليفة يزيد ، وقد ناله من وراء ذلك بلاء عظيم . وقد عزل الخليفة عامل عمر على المدينة أبو بكر ابن حزم الذى كان وراء نفى الأحوص ، فوجدها فرصة للنيل من خصمه ، فهجاه ، وذكر الخليفة باشياء كانت من ابن حزم تجاهه ، مما أغضب عليه الخليفة ، فامر بضربه . وبوفاة يزيد لانجد نصوصا تدل على اتصاله بهشام الذى ادرك خمس

سنوات من خلافته .(١)

وثابت قطنة (ت ١١٠هـ) شاعر أزدي(٢) ، كان مع المهلب فى حروبه مع الخوارج ، فكان ولاؤه ومدحه للمهلب وآله ، الذين قربوه وولوه اعمالهم ، لاسيما فى ولاية يزيد بن المهلب ، وكان فى موقفه المحرض لابن المهلب فى حركته ايام يزيد بن عبد الملك ، وله فى ذلك أشعار(٣) ، وظل وفيا للمهالبة حتى بعد نكبتهم ، فقال كثيرا من الاشعار يتفجع عليهم ويرثى فيها قتلاهم ، معلنا نقمته وسخطه على الامويين .(٤)

ومنهم ذو الرمة(٥) ، والعرجي(٦) ،

---

(١) من اجل ذلك انظر : عادل سليمان جمال : شعر الأحوص الانصارى ، ص ٣٤،٤١-٤٣،٤٧ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ١/١٩٦-١٩٧ - بلاشير : تاريخ الأدب العربى ، ص ٧٤٣-٧٤٧ .

(٢) انظر ترجمته قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٧٠ .

(٣) انظر موقفه هذا ، وشىء من شعره خلال ماكتبناه عن حركة ابن المهلب قبل : الفصل الثانى ، المبحث الاول ، ص ١٧٠-١٧١ .
وانظر قصيدته الى ابن المهلب ابان فتنته عند : ابن أعثم : الفتوح ، م٤/٢٤٨ .

(٤) الهادى الغزى : الشعر الأموى فى خراسان ، ص ١٦٠-١٦١ .

(٥) غيلان بن عتبة العدوى المضرى ، أحد فحول الشعراء ، يعد فى الطبقة الثانية فى عمره ، قيل : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة ، له ديوان مشهور ،تغزل بمى بنت مقاتل المنقرى ، وله فيها اشعار ، وهو لم يرها وقيل رآها مرة واحدة ، يذهب فى شعره مذهب الجاهليين ، وكان مقيما بالبادية ، وكان يحضر اليمامة والبصرة ، ولد نحو ٧٧هـ ، وتوفى (١١٧هـ) . (ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٩/٣٣٢-٣٣٣ - الزركلى : الاعلام ، ٥/١٢٤ - وذكر ابن الاثير وفاته سنة ١٠١هـ ، الكامل ، ٤/١٧١) .

(٦) عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، الأموى القرشى ، من أهل مكة ، لقب بالعرجي لسكناه قرية العرج قرب الطائف ، شاعر غزل مطبوع ، من الادباء الظرفاء الأسخياء ، ومن الفرسان المعدودين ، صحب مسلمة فى وقائعه ضد الروم ، وأبلى فيها ، وسجنه والى مكة محمد بن هشام ، فطال سجنه حتى مات (نحو ١٢٠هـ) وكان مولده حوالى ٧٧هـ ، له ديوان شعر . (الزركلى : نفس المرجع ، ٤/١٠٩ - بلاشير : نفس المرجع ، ص ٧٦٣-٧٦٨) .

والنابغة الشيباني (١) ، كان ممن هنأ الخليفة يزيد بانتصاره على ابن المهلب سنة ١٠٢هـ (٢) ، بقصائد عديدة ، ضاع اكثرها .

والكميت الاسدى (٣) ، قال الذهبي (٤) : وفد على يزيد بن عبد الملك . ويزيد بن الطثرية (٥) ، والقطامي (٦) .

---

(١) عبد الله بن المخارق الشيباني ، شاعر بدوي ، كان يفد الى الشام يمدح الخلفاء الامويين ، عبد الملك وأولاده، فأجزلوا له العطاء ، كان نصرانيا وأسلم وتحمس للاسلام، له ديوان شعر (٦٠-١٢٥هـ) . (الزركلي : الاعلام ، ١٣٤/٤- بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص ٥٩٨) .

(٢) بلاشير : نفس المرجع والصفحة .

(٣) الكميت بن يزيد الاسدي ، الكوفي ، مقدم شعراء وقته ، وشاعر الهاشميين ، كان عالما بآداب العرب ولغاتها واخبارها وانسابها ، خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، فارسا ، راميا ، قيل : لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، وهو من مناقب بني أسد ، كان شيعيا ، متعصبا للمضرية على القحطانية ، منحازا الى بني هاشم ، واشهر شعره الهاشميات ، وهي قصائد مدح فيهم ، قيل مدح علي بن الحسين ، فاعطاه من عنده ومن بني هاشم اربع مئة الف ، وثيابه ، ودعا له . عبر بشعره عن آراء الزيدية الشيعة ، وموقفه العدائي من بني أمية ، بلغ شعره خمسة آلاف بيت ، ولد سنة ٦٠هـ ، و(ت ١٢٦هـ) انظر عنه : (الذهبي : سير ، ٣٨٨/٥-٣٨٩ - الزركلي : نفس المرجع ، ٢٣٣/٥ - يوسف خليف : تاريخ الشعر العربي في العصر الاسلامي ، ص ١٣٣) .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) يزيد بن سلمة القشيري ، شاعر مطبوع ، مقدم عند بني أمية ، له شرف في قومه ، صاحب غزل وظرف وفصاحة ، جمع شعره في ديوان ، قتله بنو حنيفة باليمامة يوم الفلج سنة ١٢٦هـ ، وقد ادرك خلافة معاوية رضي الله عنه . (انظر عنه : الزركلي : نفس المرجع ، ١٨٣/٨ - ولمعلومات أشمل انظر أيضا : ناصر بن سعد الرشيد : شعر يزيد بن الطثرية ، طبع دار مكة للطباعة والنشر) .

(٦) عمير بن شييم التغلبي ، القطامي ، المعروف بصريع الغواني ، شاعر غزل فحل ، في الطبقة الثانية من شعراء الاسلام ، كان نصرانيا وأسلم ، اتصل بالوليد بن عبد الملك ، ومدح الأمويين ودافع عنهم ، له ديوان مطبوع ، (ت نحو ١٣٠هـ) وقال الزركلي في هامشه في تاريخ وفاته نظر . (انظر عنه / الزركلي : نفس المرجع، ٨٨/٥-٨٩ - بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ١٣٦/١-١٣٧- بلاشير : نفس المرجع ، ص ٥٦٠ - والأخيران أرخا لوفاته بسنة ١٠١هـ) .

اولئك ثلة من مشاهير الشعراء فى عصر يزيد بن عبد الملك الذين اثروا حياة الشعر ، وكانوا من علامات ادب العصر البارزة ، وممن شاركوا فى النهوض به .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الصدد ، ان هذه الفترة تمثل مرحلة مهمة من مراحل تدوين الشعر العربى ، فالظاهر أن تدوين الشعر مر بثلاث مراحل ، اولى : وكان التدوين فيها محدودا ككتابات شخصية ، او متداخلا مع علوم اخرى ، واستمرت هذه المرحلة من الجاهلية الى صدر الاسلام . المرحلة الثانية مرحلة جمع الشعر المدون والشعر المتداول شفهيا ، واغلب الظن ان بداية المرحلة الثانية التى تمثل نهاية الأولى ، كان مع بدايات العصر الأموى ، ففى عهد معاوية نجد عبيد بن شريه يؤلف كتابا فى اخبار اليمن واشعارها وانسابها ، وغيره وكانت حركة الجمع قوية فى اواخر القرن الاول وبداية الثانى . أما المرحلة الثالثة ، فهى اعداد مجموعات من الشعر فى كتب الفقها اللغويون ، وهذه مرحلة جاءت بعد ذلك ، لكن المصنفين اعتمدوا على ماجمع ودون فى المرحلة الثانية من الاشعار الجاهلية والاسلامية .

وتعتبر فترة البحث جزءا من المرحلة الثانية ، وقد قام بدور الرواية والتدوين والجمع فيها الشعراء انفسهم ، شاركهم فيها المؤرخون والمفسرون ، وبعض الرواة ، فقد اعتاد بعض الشعراء املاء شعرهم او كتابته ، فنقرا ان جريرا يملى قصيدته فى الراعى على خادمه ، والفرزدق يكتب بعض شعره ويدفعه الى جرير كى ينقضه وهكذا ، وقد كان ذو الرمة راوى الراعى ، والكميت راوية للشعر عالما به ، قيل : انه كان يفوق حماد الراوية .

كما ثبت أن الشعبى وقتادة والزهرى وغيرهم ، كانوا ذوى دراية بالشعر العربى ، كما كان من ضمن مدونات الزهرى كتبا فيها شعر ، ومن المعروف أن المشاهير من الرواة مثل أبى عمرو بن العلاء ينسبون مروياتهم الى هذا الجيل من الرواة والشعراء (١) .

وجدير بالذكر أن حمادا الراوية الذى قيل : انه أول من جمع الشعر فى هذا العصر – وماهذا القول بصحيح ، فقد قدمنا من القول مايدل على أن تدوين الشعر وجمعه مر بمراحل وأن هناك من سبقه الى ذلك – والذى كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ، الحافظ للشعر المميز له ، كان منقطعا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فى خلافته (٢) .

فليس مستبعدا أن يكون قد دون للخليفة شيئا من محفوظاته ، أو قدم له شيئا من مدوناته ، وليس ثمة شك فى اثراء حماد للحركة الأدبية فى تلك الفترة ، والمشاركة فى نهضتها .

---

(١) من أجل ماذكرناه عن تدوين الشعر ، انظر / فؤاد سزكين: محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ١/١٦٣-١٦٦ – أحمد كمال زكى : الحياة الأدبية فى البصرة ، ص ١٤٧-١٤٨ – سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٧ .

(٢) من أجل ذلك ، انظر / ابن خلكان : وفيات ، ٢/٢٠٧-٢٠٩ محمد خفاجي : تاريخ الأدب فى العصر الأموى ، ص ١٨ – بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، ١/٢٤٥-٢٤٦ .

## الخطابـــة :

ازدهـر فن الخطابة فى العصر الاموى بشكل عام ، وارتقت الى درجة لم تعهدها من قبل ، وهى على قسمين : خطابة دينية وخطابـة سياسـية وحربية ، الا أن الخطابة فى هذا العهد غلب عليها الطابع السياسى وسماته المميزة .(١)

ولقـد واصـل هـذا الفن الادبى فى عهد الخليفة يزيد بن عبـد الملك ازدهـاره ، حـيث شـهد عهـده عـددا من الخطبـاء الفصحاء ، كالحسن البصرى ، وجامع المحاربى ، وعبد اللـه بن عبد اللـه بن الاهتم ، وعبد اللـه بن عروة بن الزبير ، ومورق العجـلى ، وبكر بن عبد اللـه المزنى ، ومحمد بن واسع الازدى ويزيـد بـن ابـان الرقاشى ، ومالك بن دينار ، ومنهم القاص الـواعظ ، وغـيرهم كثير(٢) ، ولعل أهم المناسبات الخطابية فى عهـد يزيـد بـن عبـد الملك حركة يزيد بن المهلب ، فقد كان النـاس فيها خطباء ووعاظ بين داع لها ومحرض عليها ، وواعظ عـن الانغمـاس فيهـا ، اذ كـان الاعتمـاد فـى مثل هذه الفتن لايعتمـد عـلى السـيف فحسـب بـل عـلى اللسـان ايضا ممثلا فى الشعراء والخطباء ، وممن يقف على راس هؤلاء الخطباء ، يزيد ابـن المهلب نفسه ، فقد كان خطيبا مفوها حفظت المصادر بعض

---

(١) محمد خفاجي : تاريخ الادب فى العصر الاموى ، ص ١٣١-١٣٢ شـوقى ضيـف : الفـن ومذاهبـه فـى النثر العربى ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١م ، ص ٦٣-٦٧ ـ بلاشير : تاريـخ الادب العربى ، ص ٨٧٧-٨٧٩ ـ فيليـب حتى : تاريخ العرب (م) ، ٣١٨/١ ـ فيليب حتى : تاريخ سورية ، ١٠٧/٢-١٠٨ .

(٢) الجـاحظ : البيان والتبيين ط٤ ، ٣٥٣/٢-٣٥٤ ، ٣٥٥/١ ، ١٣٥/٢ ـ سـعد الموسـى : تـاريخ الحيـاة العلميـة فـى المدينة ، ص ٢٠٢ .

خطبه[١] ، منها خطبته فى واسط بعد خروجه على الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وهو فى طريقه للقاء جيوش الخلافة بقيادة مسلمة ابن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وخطبته[٢] فى جنده عندما تدانت العساكر فى العقر ، فقد قال بعد ان حمد الله واثنى عليه :

"ايها الناس ، انى قد سمعت الناس فى عسكرى هذا وقولهم بانه قد جاء مسلمة بن عبد الملك ، وقد جاء العباس ابن الوليد ، جاء اهل الشام ، فخبرونى من مسلمة ، فوالله مامسلمة عندى الا جرادة[٤] صفراء[٣] قسطنطين بن قسطنطين ، ومن العباس بن الوليد ! فوالله ما العباس عندى الا نسطوس بن نسطوس[٥] ، ومن اهل الشام ، فوالله ماهم الا سبعة اسياف خمسة منها لى ، واثنان على ، وانما اتاكم مسلمة والعباس فى برابرة واقباط وجرامقة[٦] وانباط[٧] وجراجمة[٨] واخلاط ومفاربة

---

(١) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه ، ص ٦٩ .

(٢) انظر نص خطبته فى واسط قبل : الفصل الثانى ، المبحث الأول ، ص ١٨ .

(٣) قال عواد الاعظمى : صيرت عبارة الجرادة الصفراء لقبا ينعت بها شخص ليدل على مدى جشعه المادى ، وشففه الشديد فى جمع الاموال واقتنائها والتهامها . (مسلمة، ص ٣٩-٤٠) .

(٤) لم اعثر لها على شرح .

(٥) لم اعثر لها على تعريف . (ولعله يرمز بقسطنطين ونسطوس عن مسلمة والعباس الى كونهما من امهات روميات وانهما هجينين وليسا من العرب الخلص) .

(٦) الجرامقة : جرامقة الشام انباطها ، وقيل : قوم بالموصل اصلهم من العجم ، انظر : اللسان (جرمق) .

(٧) الانباط : قوم يسكنون سواد العراق ، وقيل ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهناك انباط الشام ايضا ، وقد حذقوا جباية الخراج ، وكانوا مهرة فى عمارة الاراضى . انظر : اللسان (نبط) .

(٨) الجراجمة : قوم من العجم بالجزيرة ، ويقال : الجراجمة نبط الشام . انظر : اللسان (جرجم ) . ونقل نبيه عاقل عن البلاذرى ، ان الجراجمة : قوم من النصارى كانوا يعيشون على جبل اللكام (الامانوس) فى مدينة اسمها الجرجومة . ثم تحدث عن فتح الجرجومة وموقف اهلها من الدولة الاسلامية . (انظر : تاريخ خلافة بنى امية ، ص ١٥٠-١٥١) .

وسقالبة[1] ، زراعون وفلاحون اوباش[2] واخناش[3] ، فلايهولنكم امرهم فوالله مالقوا مثل جدكم ، واني لأرجو انهم ماجاءوا الا لهلاكهم وحلول النقمة بهم ، وليس يردعهم عن غيهم الا الطعن في نحورهم ، والضرب بالمشرفية على قممهم ، فاعيروني سواعدكم ساعة تصفقون بها هامهم وخراطيمهم ، فانما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بينكم وبين القوم الظالمين"[4] .

ومن الخطب التي قيلت ابان حركة ابن المهلب ، خطبة الحسن البصري في الناس ، بعد ان زعم ابن المهلب انه يدعو الناس الى سنة عمر بن عبد العزيز ، اذ قال : "اللهم امرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا ، ياعجبا لفاسق غير برهة من دهره ، ينتهك المحارم ، ياكل معهم ماأكلوا - يقصد بني امية - ويقتل من قتلوا ، حتى اذا منع شيئا ، قال : اني غضبان فاغضبوا ، فنصب قصبا عليها خرق ، فاتبعه رجرجة ورعاع ، يقول : اطلب بسنة عمر ، ان من سنة عمر ان توضع رجلاه في القيد ، ثم يوضع حيث وضعه عمر"[5] .

---

(١) السقلب : جيل من الناس . انظر : اللسان (سقلب).
(٢) الاوباش من الناس الاخلاط ، أو الضروب المتفرقون . انظر : اللسان (وبش) .
(٣) لم اجد لها شرحا يناسب معناها في هذا المقال .
(٤) ابن اعثم : الفتوح ، م٤/٢٥٠-٢٥١ - وانظر هذه الخطبة ايضا مع وجود بعض الاختلاف ، عند : ابن عبد ربه : العقد ، ٢١٤/٤ - الجاحظ : البيان والتبيين ، ط٥ ، ٢٩٢/١-٢٩٣ .
(٥) الذهبي : سير ، ٥٠٦/٤ .

**الكتابـــة :**

عرف المسلمون الكتابة[(١)] منذ بداية العصر الاسلامي ، وقد ساعد استحداث ديوان الانشاء (الرسائل) على تطور صناعة الكتابة ، حيث نشأت فيه ، في حجر العرب ، وتحت ايديهم[(٢)] .

ولقد ظل أمر المكاتبات في الدولة الأموية ، جاريا على سنن السلف ، ببساطة المظهر ، وعدم التكلف في الخطاب ، موجزة واضحة حتى ولي الخلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ) ، الذي أنف أن يكتب له مع تأخير اسمه ، فأمر بتجويد الرسائل وتفخيم الخطاب ، والا يكاتب بمثل ماتكاتب به السوقة ، وأجرى العمل على ذلك من بعده ، حتى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) ، ويزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ) ، اللذين رجعا بالكتابة الى نهج السلف[(٣)] . ثم أخذت الكتابة بعدهما في التأنق والصنعة والاطناب واشراق البيان[(٤)] . وقد كان للخليفة يزيد عدد من الكتاب ، ذكر ابن عبد ربه أن من بينهم عبد الحميد الكاتب[(٥)] .

ومن نماذج كتابات ذلك العهد ، ماكتبه عمر بن عبد العزيز يوصي به خلفه يزيد بن عبد الملك ، اذ كتب : "أما بعد ، اياك أن تدركك الصرعة عند الغرة ، فلاتقال العثرة ،

---

(١) الكتابة : هي النصوص النثرية ذات الطابع الادبي ، أيا كان نوعها .(سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٠٩) .

(٢) عن نشأة الكتابة ، وصناعتها وتطورها ، (انظر / احمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها في العصور الاسلامية ـ شوقي ضيف : الفن ومذاهبه ، ص ١٠٣-١٠٤ ـ بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ص ٨٦٢-٨٦٣ ـ بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٢٦١/١) .

(٣) من أجل ذلك ، (انظر / احمد كمال زكي : الحياة الادبية في البصرة ، ص ٢٢٦-٢٢٨ ـ محمد خفاجي : الحياة الادبية عصر بني أمية ، ص ٢٦٦) .

(٤) محمد خفاجي : تاريخ الأدب في العصر الأموي ، ص ١٤٣ ـ احمد كمال زكي : نفس المرجع والصفحات .

(٥) انظر اسماء كتابه قبل : الفصل الخامس ، المبحث الاول ص ٤٤٢-٤٤٣ .

ولاتمكن من الرجعة ، لايحمدك من خلفت ، ولايعذرك من تقدم عليه ، والسلام" (١) .

القصص والوعظ :

تطور القصص والوعظ فى العصر الاموى ، واصبح القصص وظيفة رسمية ، يعين القاص لها من الخليفة ، ويعزل بامره احيانا ، وكان لبعض الخلفاء الامويين قصاص ، وكان فى كل بلد قاص ، يقص على الناس بالمسجد الجامع ، يرغبهم فى الآخرة ، ويزهدهم فى الدنيا ، ويحضهم على العمل الصالح ، كما يدعوهم لطاعة اولى الامر ، وينهاهم عن الانغماس فى الفتن . وقد كان منشأ القصص زمن الراشدين ، فنما وانتشر بسرعة ، لموافقته ميول العامة ، يدل على ذلك التصنيف فيه منذ بداية العصر الاموى (٢) .

وهناك ارتباط وثيق بين الوعظ والقصص ، فكثيرا مايستغل القاص قصة ذات مغزى واثر فى العظة ، لذلك كان أكثر القاصين وعاظا (٣) .

ومن اشهر القصاص والوعاظ فى عهد يزيد بن عبد الملك الحسن البصرى (ت ١١٠هـ) وهو أكبر وعاظ العصر وقصاصيه ، وهو لايعتمد على الاساطير والخيال ، بل يعتمد على الحوادث التى تقع حوله والثابتة لديه ، فيجعل منها قصصا ، ويسخرها

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، ٥/٤٠٥-٤٠٦ - ابن الجوزى : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٣١٨ وورد عنده أيضا بنص آخر . انظر : نفس المصدر ، ص ٣١٧-٣١٨ .

(٢) من اجل ذلك ، انظر : سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٠٤ - أحمد أمين : فجر الاسلام، ص ١٥٨-١٦٢ - خليل الزرو :الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٤-٢٥،٧٥ - بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، ٢٥٨/١.

(٣) خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ٢٥-٢٦ .

للعظة ، متحريا الصدق فيما يقول . وقد اشتملت كثير من المصادر على مواعظه (١) . من ذلك عظته الناس فى عدم الانغماس فى فتنة ابن المهلب زمن يزيد بن عبد الملك .

وعطاء بن يسار (ت ١٠٤هـ) (٢) ، كان صاحب قصص وعبادة وفضل والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٦هـ) (٣) ، له باع فى التفسير والقصص . والشعبى (ت ١٠٩هـ) (٤) ومحمد بن سيرين (ت ١١٠هـ) (٥) ، ومن كبار القصاص مسلم بن جندب (ت بعد ١١٠هـ) كان قاص مسجد النبى صلى الله عليه وسلم (٦) .

ووهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، كان الغالب عليه القصص، وله أقوال حسنة وحكم ومواعظ (٧) . وعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (بضع وعشر ومئة) (٨) . ورجاء بن حيوة (ت ١١٢هـ) (٩) . ومحمد ابن كعب القرظى (ت ١١٨هـ) ، من القصاص المؤثرين ، ومات من اثر سقوط المسجد عليه وهو يقص (١٠) . ومعبد بن خالد الجدلى

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ط٥ ، ٣٦٧/١ ـ ابن خلكان وفيات ، ٧٠/٢ ـ أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦١-١٦٢، ١٨٥ ـ شوقى ضيف : الفن ومذاهبه ، ص ٧٦-٧٧ .
(٢) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٣٢/٩ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ١٩٤/٧-١٩٥ .
(٣) الذهبى : سير ، ٥٩٨/٤-٦٠٠ .
(٤) شوقى ضيف : نفس المرجع والصفحات .
(٥) أحمد كمال زكى : الحياة الأدبية فى البصرة ، ص ٢٢١-٢٢٣
(٦) الجاحظ : نفس المصدر والطبعة ، ٣٦٧/١-٣٦٨ .
(٧) الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٧٤ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة ، ٢٨٩/٩ ـ شوقى ضيف : نفس المرجع ، ص ٧٦ .
(٨) الذهبى : نفس المصدر ، ١٠٣/٥-١٠٥ .
(٩) شوقى ضيف : نفس المرجع والصفحة .
(١٠) ابن سعد : الطبقات ، القسم المتمم ، ص ١٣٤-١٣٧ ـ ابن كثير : نفس المصدر والطبعة والجزء ، ص ٢٦٨-٢٧٠ ـ ابن حجر : نفس المصدر ، ٣٧٣/٩-٣٧٤ .

(ت ١١٨هـ) ، قاص الكوفة[1] . وعبد الله بن كثير المقرىء (ت ١٢٠هـ) ، الواعظ المفوه وقاص الجماعة في مكة[2] . وبلال ابن سعد بن تميم (ت نحو ١٢٠هـ) ، واعظ أهل الشام وقاصهم ، كان من أبلغ الوعاظ ، حسن القصص ، شبه بالحسن البصري[3] . وثابت البناني (ت ١٢٧هـ)[4] . ومحمد بن المنكدر (ت ١٣٠هـ)[5] . ومالك بن دينار (ت ١٣١هـ)[6] .

---

(١) الذهبي : سير ، ٢٠٥/٥ .
(٢) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣١٩ .
(٣) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٦٢/٩-٣٦٤ - ابن حجر : تهذيب ، ٤٤١/١-٤٤٢ - خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٣٠ .
(٤) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٢٠ - ابن حجر : نفس المصدر ، ٣/٢-٤ .
(٥) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٠٥ .
(٦) الذهبي : نفس المصدر ، ١٨٠/٧ - شوقي ضيف : الفن ومذاهبه ، ص ٧٦-٧٧ .



المبحث الثالث

## الكتابة التاريخية

نشأ علم التاريخ عند المسلمين منذ صدر الاسلام ، وقامت الدراسات التاريخية ذى بدء على دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومغازيه ، وبعض الأحداث الاسلامية الأولى . لذا كان أقدم أنواع الكتابة التاريخية ظهورا ، التدوين فى السيرة النبوية ، ونشأ ذلك مقرونا بالاهتمام بسنته صلى الله عليه وسلم ، وعلى نحو دراسة الحديث ، وبايدى اهله ، مرورا بمراحل تدوين الحديث والسنة ، متزامنا معه (١) .

وكان من الطبيعى أن تكون المدينة اول مراكز الحركة التاريخية ، وبخاصة دراسة السيرة ومغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اعتبرت من العلوم الخاصة باهل المدينة ، فقيل : لاتمار اهل المدينة فى المغازى . ثم ياتى بعدهم اهل الشام (٢) . وان كانت دراسة السيرة قد انتشرت فى القرن الثانى الى مراكز أخرى غير المدينة ، كاليمن

---

(١) عن نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، انظر : عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ١٣-٢٠ -السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٤١-٧١ - حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص ٥ ومابعدها - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١/٧٤-١١٢ ومابعدها - محمد بن صامل السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٣-٣٠٤ ومابعدها - خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ١٩٦-٢٠٨ - سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٧-٢٤٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٥٤ - سعد الموسى : نفس المرجع ،ص ٢١ - خليل الزرو : نفس المرجع ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

والعراق والشام .[1]

غير أن حسين نصار يقول[2] : أن أول المدارس التاريخية ظهورا ، هي مدرسة اليمن التي يمثلها عبيد بن شريه (المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان) ، ووهب بن منبه (ت ١١٠ او ١١٤هـ) . ولعل صحة قوله تاتي في اسبقيتها في دراسة تاريخ اليمن واهل الكتاب ، اما دراسة السيرة والمغازي وامر الفتوح ، فليس ثمة شك في تقدم المدينة والشام والعراق عليها .

وقد مرت الكتابة التاريخية بثلاث مراحل ، توازي مراحل تدوين الحديث بل تشاركه في بعضها . وتمثل فترة دراستنا جزءا من المرحلة الثانية ، وهي التي قام فيها المهتمون بعلم التاريخ بجمع الأخبار والأحداث (المادة التاريخية) ، وتدوينها من الرواة ومما كتب قبل[3] ، وافراد كل موضوع على

---

(١) عبد العزيز الدوري : بحث في نشاة علم التاريخ ، ص ٣٢٢ - شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ، ١٢٥-١١٩،٨٤/١ .

(٢) نشاة التدوين التاريخي عند العرب ، ص ٧٣ .

(٣) عرف العرب التدوين التاريخي وغيره منذ الجاهلية ، ولكنه كان محدودا ونادرا جدا ، لغلبة الأمية عليهم ، واعتمادهم على الحفظ والرواية الشفهية ، وماذكر عن بعض الوثائق التاريخية من العصر الجاهلي ، فهي حالات استثنائية نادرة . لذلك لم يصلنا اى كتاب مصنف في تاريخهم قبل الاسلام . (انظر / محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ، ص ٢٧٣-٢٧٤ - عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ١١٩-١٢٠) ، الا انه مع بداية التاريخ الاسلامي ، نشا علم التاريخ عند المسلمين ، ودونوا مادته منذ الصدر الأول ، فدلت الأخبار ان كثيرا من الصحابة والتابعين كتبوا الأخبار التاريخية ، وفي مواضيعها المختلفة ، فيما عرف بالكتابات الشخصية ، التي كانت تاخذ من كل علم بطرف ، الى جانب بعضها البعض غير مرتبة ولامبوبة . وتلك المرحلة الأولى للكتابة التاريخية ، وهي التي تسبق مرحلة دراستنا - الثانية - التي أشرنا الى سماتها أعلاه . (عن ذلك =

حدة فى كتاب او دفتر او صحيفة تخصه بدون ترتيب او تبويب وتعلمها وتعليمها مما ادى الى حركة تاريخية نشطة واسعة ، شملت مساحة واسعة فى التاريخ وغطت كثيرا من مواقع دراسته والف فى ذلك اعداد كبيرة من الكتب . لاشك ان معظمها اشبه بالرسائل الصغيرة التى لاتتجاوز بضع صفحات لكنها كانت تشكل فى مجموعها المادة التاريخية التى اعتمد عليها المصنفون بعد[1] . وقد قام على خدمة التاريخ فى هذه المرحلة التابعون واتباعهم[2] .

ولمعرفة حال هذا العلم ابان هذه الفترة ، واهم نشاطات وآثار اهله ، نعرض لبعض مشاهير القائمين عليه ، وماورد عنهم فى هذا الصدد ، وهم :

---

= انظر / محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٤-٢٩٦ - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ص ٩٣-٩٦ ومابعدها . وان كان أدخل من مؤرخى المرحلة الثانية فى المرحلة الأولى كالزهرى . ومد المرحلة الثانية حتى نهاية القرن الثانى ، والأرجح انها تنتهى ببداية التصنيف فى اواسط القرن الثانى) .

(١) أشار الذهبى الى أن التصنيف المرتب المبوب للعلوم الاسلامية بما فيها التاريخ ، قد حدث منذ سنة ١٤٣هـ . (شاكر مصطفى : نفس المرجع ، ص ٩٢-٩٣ - عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ١٢٠) .

(٢) من أجل ماذكرناه عن المرحلة الثانية وسماتها ، انظر محمد السلمى : نفس المرجع ، ص ٢٨٦-٢٨٧ - شاكر مصطفى : نفس المرجع ، ص ٩٦-٩٩ . (وقد جعلا نهاية المرحلة الثانية فى أوائل القرن الثالث ، اذ جعلا بداية الثالثة هو ظهور المؤلفات التاريخية الشاملة على أساس الترتيب الزمنى المتسلسل . مع أن السلمى اشار فى (ص ٢٩٠-٢٩١) الى أن بدايات التاليف على السنين ظهر منذ منتصف القرن الثانى ، وعلى هذا الأساس فان الأرجح أن يكون منتصف القرن الثانى (أى بداية التصنيف المبوب المرتب) هو نهاية المرحلة الثانية وبداية الثالثة . أما ماحدث بعد ذلك من ظهور المدونات الشاملة على السنين أو الطبقات وغير ذلك ، فانه تطور فى مناهج وأساليب وأشكال التدوين التاريخى .

ابـان بـن عثمـان بـن عفـان (ت ١٠٥هـ)[1] ، أول من اشتهر بمعرفـة المغـازى والتـأليف فيهـا[2] ، فقد ذكر ان له مغاز ، مكتوبـة موثقـة مصححـة ، حـيث ورد أن سليمان بن عبد الملك لمـا حج سنة ٨٢هـ أى قبل توليه الخلافة ، أمر ابـان أن يكتب لـه سـيرة النبى صلى الله عليه وسلم ومغـازيه ، فقـال ابـان : "هـى عنـدى ، قـد اخذتها مصححة ممن اثق به" ، فامر سليمان بنسـخها والقـى بهـا الى عشرة من الكتـاب ، فكتبوها فى رق ، وكـانت هذه المغـازى تحوى ذكر الانصار فى العقبتين ، وذكرهم فـى بـدر[3] . ويفهـم مـن الروايـة السـابقة أن المغـازى كـانت مكتوبـة عنـد ابـان ، وقـد أخذهـا أيضا ممن يثق به مكتوبة مصححة وليس عن طريق الرواية الشفهية .

وقـد روى مغازيـه هـذه تلميذه المغيرة بن عبد الرحمن (ت ١٢٥هـ)[4] ، ويبـدو انهـا ليسـت كتابـا بـالمعنى الدقيق ، وانما هى مجموعة أخبار متعلقة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلـم ، تمـاثل الصحـائف ، ويظهر ان تلك المجموعة قد ضاعت، ولم ينقل عنه اصحاب السيرة ، كـابن اسحق والواقدى وابن سعد

---

(١) ابـان بن عثمان بن عفـان ، الامام الفقيه الأمير ، الأموى المـدنى ، وفـد عـلى عبد الملك ، وتولى امرة المدينة سبع سنوات (ت ١٠٥هـ) . (الذهبى : سير ، ٣٥١/٤-٣٥٣) .

(٢) هوروفتس : المغـازى ، ص ٣ ـ حسين نصار : نشأة التدوين التـاريخى ، ص ٢٧ ـ سـعد الموسـى : تـاريخ الحيـاة العلميـة فى المدينـة ، ص ٢٢٨ . لكـن محمـد بن صـامل السـلمى ، الـذى أشـار الـى الـدور المميـز لعروة بن الزبـير (٢٢-٩٣هـ) فى ارساء قواعد الكتابة فى السيرة النبوية ، ينقل عن ابن كثير من قول محمد بن عمر : أن عـروة أول مـن صنف فى المغازى . وذكر ان له كتابا فى المغـازى . (انظـر / منهـج كتابـة التـاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٧-٢٩٨) .

(٣) سـعد الموسـى : نفس المرجع ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

(٤) هـوروفتس : نفس المرجـع ، ص ٣-١٠ ـ حسـين نصـار : نفس المرجـع والصفحة ـ محمد السلمى : منهج كتابة التـاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٦ ـ أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٥٨ .

فى الجزء المخصص للسيرة فى طبقاته (١) . وليس ذلك لكون مغازيه لاتعدو احاديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما قال السيد عبد العزيز سالم (٢) ، فالواقع أن مغازيه لم تقتصر على أحاديث عن النبى عليه السلام وسيرته ، بل تضمنت اخبارا اخرى نقل ابن سعد بعضها ، فقد ذكر عنه خبر آخر الكلمات التى قالها عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند مماته ، وشراء معاوية رضى الله عنه لبردة الرسول صلى الله عليه وسلم التى اعطاها كعب بن زهير (٣) . كما اشار الى مغازيه من المؤرخين اليعقوبى (٤) ، والطبرى (٥) . وهذا يعنى عدم النقل عنه فى كتب السيرة ، وندرة الرواية عنه فى كتب التاريخ العامة غير أن اسمه كثيرا ماتردد فى كتب الحديث ، والسبب وراء ذلك كونه محدث اكثر من مؤرخ (٦) ، ولعله أيضا لم يرزق تلامذة يقومون بنشر علمه بعده (٧) ، كما انه كان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث وبين دراسة التاريخ (٨) .

وعلى كل فكثير من المؤرخين يعتبرون ابانا اول من دون السيرة ، وجعل لها مجموعة خاصة تتناول المغازى ، فكان بذلك أول من فصل التاريخ عن علم الحديث (٩) .

---

(١) هوروفتس : المغازى ، ص ٣ ـ حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ، ص ٢٧-٢٨ .
(٢) التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٥ .
(٣) حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٢٨-٢٩ .
(٤) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ص ١٥٢ ـ عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٢١
(٥) شاكر مصطفى : نفس المرجع والصفحة .
(٦) عبد العزيز الدورى : نفس المرجع والصفحة .
(٧) محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٦ .
(٨) عبد العزيز الدورى : نفس المرجع والصفحة ـ شاكر مصطفى : نفس المرجع والصفحة .
(٩) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٨ ـ هوروفتس : نفس المرجع ، ص ١٠ .

وهب بن منبه [(١)] ، الامام العلامة الاخبارى القصصى [(٢)] ، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة ، عالم باساطير الاولين وخاصة الاسرائيليات ، كان له مساهمة مميزة [(٣)] فى الكتابة التاريخية ، مما رواه من مادة تاريخية ومادونه فى مجالات متعددة للدراسة التاريخية . لقد كان لاصله ونشاته وثقافته كبير الاثر فى كتابته التاريخية ، فهو يمنى تابعى من الابناء ، ذكر انه قرا (٧٠ او ٧٢ او ٧٣ او ٩٢) من الكتب المقدسة ، وعرف اللغة اليونانية والسريانية والحميرية ، فكان على ثقافة واسعة ، وكون بها مدرسة تاريخية يمنية لها سماتها المميزة [(٤)] .

فقد كتب وهب فى أربعة فروع من التاريخ ، كان المؤسس لبعضها هى :

الاول : قصص الانبياء السابقين ، وأحاديث اهل الكتاب ، أو ماعرف بالاسرائيليات ، وهى قصص واساطير العهد القديم ، وفى هذا الجانب ، دون كتاب "المبتدا" ، وهو فى مبدا الخلق وسير الانبياء ، فهو أول محاولة لكتابة تاريخ الرسالات ،

---

(١) وهب بن منبه ، الابناوى ، اليمانى ، أصله فارسى من الابناء فى اليمن ، يعد فى التابعين الثقات ، كان على قضاء صنعاء ، محدث ، لكن روايته فى المسند قليلة ، وغزارة علمه فى الاسرائيليات ، ومن صحائف اهل الكتاب اتهم بالقدر ، ورجع عنه ، ويقال الف فيه كتابا ، ثم ندم عليه . ولد بصنعاء (سنة ٣٤هـ) ، ومات بها (سنة ١١٠ أو ١١٤هـ) . انظر عن ترجمته / الذهبى : سير ، ٥٤٤/٤-٥٥٧ ـ الزركلى : الاعلام ، ١٢٥/٨-١٢٦ .

(٢) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٥٤٤ .

(٣) الزركلى : نفس المرجع والجزء ، ص ١٢٥ .

(٤) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١٣٨/١،١٥٤-١٥٥ ـ هوروفتس : المغازى ، ص ٣٠ ـ حسين نصار : نشاة التدوين التاريخى ، ص ٣٧ ـ السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٤٨ .

هشام فيه ، واضافة اشياء عن غير وهب . وتتميز كتاباته فى هذا المجال انها اسطورية ، تاخذ عن الاسرائيليات ، والقصص الشعبى ، واطلاق الخيال ، وادخال الشعر فيها ، فى اسلوب ادبى ، يحكى مفاخر عرب الجنوب [(١)].

الثالث : ويذكر حاجى خليفة ان وهبا جمع المغازى ، وقد وجد قطعة من كتاب المغازى هذا ، عثر عليه بيكر بين مجموعة اوراق بردى "شت رينهاردت" المحفوظة فى هيدلبرج ، وتاريخ نسخها (سنة ٢٢٨هـ) [(٢)] ، واتضح عدم اقتصارها على المغازى ، لتعرضها لموضوعات اخرى من السيرة ، والحق ان ليس فيها جديد ، لكنها تؤيد مايقال ان السيرة كانت تروى فى عام (١٠٠هـ) او قبله بقليل ، كما فى الكتب المتاخرة بالضبط [(٣)].

الرابع : تاريخ الفتوح ، اذ ينسب حاجى خليفة اليه "كتاب الفتوح" [(٤)].

ومع ذلك فان وهبا جاء اهل المدينة باتجاه جديد واسلوب مغاير ، اخذ طابع القصص ، والأسطورة ، دون سند ولادقة ، وكان عماده الاسرائيليات ، مما جعل العلماء

---

(١) عن اسلوبه فى كتابة التاريخ القديم ، انظر : حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ، ص ٣٩-٤٤ – عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦،١١٠

(٢) نقل عبد العزيز الدورى نص هذه القطعة ، (انظر / بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ١١٥-١١٧) .

(٣) هوروفتس : المغازى ، ص ٣٤-٣٦ – محمد السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، ص ٢٩٩-٣٠٠ – عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ٢٥،١١٢ – احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٥٨ .

(٤) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١/١٣٩ – حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٤ – حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ، ١/٥١٣ – هوروفتس : نفس المرجع ص ٣٣-٣٤ .

عن حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حتى وصفه ابن قتيبة ب "صاحب السير والمغازى" .(١)

ويتبين من ذلك ، ان عاصما كان من العلماء المشهودين بمعرفة السيرة والمغازى ، وان علم التاريخ من العلوم التى اصبحت تدرس فى المساجد فى حلقات مستقلة ، كما يشير الخبر ، ان بنى امية قبل عمر كانوا يمنعون تدارس المغازى فى جامع دمشق ،(٢) واخيرا ، ان عاصما لم يستمر فى تدريس المغازى والسير فى جامع دمشق فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وعاد الى المدينة حيث واصل تعليمه لتلاميذه هناك ، ولانعلم الاسباب التى وراء ذلك .

ويعد عاصم من الثقات ، وقد اعتمد عليه ابن اسحق والواقدى فيما رواه من المغازى ، لكن لم يقتصر على المغازى ، بل تطرق الى جوانب اخرى من السيرة وتاريخ الخلفاء الراشدين . اما اسلوبه ، فانه يعتمد الاسناد تارة ويهمله اخرى ، ويدخل اشعار المشاركين فى الاحداث فيما يرويه من اخبارهم ، ولم يكن عاصم جامعا للاخبار وراو لها فحسب ، اذ نجده احيانا يبدى رايه فى بعض الاحداث ومسبباتها .(٣)

---

(١) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ، ص ٤٥ .

(٢) يشير شاكر مصطفى الى مايؤيد هذا القول ، فانه يذكر ان عبد الملك بن مروان امر بحرق كتاب فى المغازى وجده بيد بعض ابنائه ، لانه يشغله عن القرآن والسنة . (انظر / التاريخ العربى والمؤرخون ، ٨٢/١) .

(٣) ابن حجر : تهذيب ، ٤٧/٥ – هوروفتس : المغازى ، ص ٤٧-٤٩ – حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٥ .

لايـأخذون أحاديثه مأخذ الجد ، وصارت معلوماته موضع ريبة ، فـاعتبر نمـوذج الاخبـاري القـاص ، ولـم يذكـروه فـي أصحاب المغـازي والسير . لكن ذلك لم يمنع أثره في مدرسة المدينة التاريخيـة ، كما لم يمنع الاسرائيليات من أن تدخل التاريخ والتفسير . وقد أخذ عنه الكثير من المؤرخين والمفسرين .(١)

وعـاصم بـن عمـر بـن قتـادة (٢) ، راوية العلم ، والعالم بالسيرة والمغـازي ، ومعلم المغازي في جامع دمشق والمسجد النبـوي . قال عنه ابن سعد (٣) : "كانت له رواية للعلم ، وعلم بالسيرة ، ومغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم" . وأضاف "وفـد علـى عمر بن عبد العزيز في خلافته في دين لزمه فقضاه عنـه عمـر ، وأمـر لـه بعد ذلك بمعونة ، وأمره أن يجلس في جـامع دمشـق فيحـدث النـاس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنـاقب أصحابـه ، وقـال : ان بني مروان كانوا ينهون عنه ، فاجلس فحدث النـاس بذلك ، ففعل ، ثم رجع الى المدينة فلـم يزل بهـا حتى توفي" .

وقـد ذكر هوروفتس (٤) : انه ظل يشرح معارفه بالمدينة بعد عودتـه اليهـا أمام سامعيه حتى توفي . وقد اشتهر بأحاديثه

---

(١) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦ ١٠٤ ـ شـاكر مصطفـى : التـاريخ العـربي والمؤرخـون ، ١٥٤/١-١٥٥ ـ حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ،ص ٨

(٢) عـاصم بـن عمـر بـن قتادة الأنصاري المدني ، ثقة كثير الحديث ، عالما مشهورا ، (ت ١١٩هـ على خلاف) . انظر / ابن حجر : تهذيب ، ٤٧/٥ .

(٣) الطبقات : القسم المتمم ، ص ١٢٧-١٢٩ ـ ابن حجر : نفس المصدر والجزء والصفحة ـ هوروفتس : المغازي ،ص ٤٧-٤٨ ـشاكر مصطفى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٦ .

(٤) نفس المرجع والصفحات (وقد حدد تاريخ عودته سنة ١٠١هـ ولعـل ذلـك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز ، وتولى يزيد الـذي قـد يكـون على رأي بعض أسلافه في النهي عن تدريس المغازي في جامع دمشق) .

وشرحبيل بن سعد[١] ، احد علماء المغازى بالمدينة ، قال عنه سفيان بن عيينة : لم يكن احد اعلم بالمغازى والبدريين منه ، وقد دون قوائم باسماء الصحابة المشاركين فى الغزوات الكبرى[٢] ، والمهاجرين الى الحبشة والمدينة[٣] .

وهو الاسم الثالث الذى يذكر مع ابان وعروة[٤] ، لكنه لم يبلغ مكانتهما ، وبذلك يعد فى الطبقة الاولى من مؤرخى السيرة[٥] .

وقد اتهم شرحبيل وضعف ، فاسقطوا مغازيه وعلمه ، اذ احتاج على كبر ، فخشى من يطلبه ان لم يعطه شيئا ، ان يقول لم يشهد ابوك بدر ، فيعطيه ، واتهم بانه قد يجعل سابقة لمن لاسابقة له[٦] . فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدى ، بينما وقف موسى بن عقبة الى جانبه ، واخذ ابن سعد عنه خبرا واحدا .

ومحمد بن مسلم الزهرى (ت ١٢٤هـ) ، مؤسس المدرسة التاريخية بالمدينة والشام[٧] ، الذى قام باستقصاء روايات

---

(١) شرحبيل بن سعد الخطمى مولى الانصار ، روى وروى عنه ، يكتب حديثه ، وكان يفتى ، قيل ليس بثقة ، وقيل ليس بشىء ، ضعيف ، وروى أن ابن معين وثقه . (ت ١٢٣هـ) عن أكثر من مئة سنة . (ابن حجر : تهذيب ، ٢٨٢/٤-٢٨٣).

(٢) ابن حجر : نفس المصدر والجزء ، ص ٢٨٢ ـ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٣) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشاة علم التاريخ ، ص ٢٢ ـ السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٧ ـ هوروفتس : المغازى ، ص ٢٥-٢٦ .

(٤) هوروفتس : المغازى ، ص ٢٥ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والصفحة .

(٦) سعد الموسى : نفس المرجع والصفحات ـ هوروفتس : نفس المرجع ، ص ٢٦-٢٧ (وذكر انه اختل عقله على كبر الى جانب الفقر) ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ١٥٤/١ .

(٧) عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ١٠١ ـ السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ص ٥٨-٥٩ ـ شاكر مصطفى : نفس المرجع والجزء ، ص ١٥٧ .

المدينة ، والبحث عنها ، وضبطها ، وتدوينها ، بصورة منظمة ووضعها في اطار متين وواضح ، وكان اول من وضع للسيرة هيكلا محددا ، وخطوطا واضحة . فوضع بدراساته الجدية أسس المغازي وحفظ الروايات التاريخية الأولى (١) . ويمثل الزهري مع عبد الله بن ابي بكر بن حزم (ت ١٣٥هـ) ، وعاصم بن عمر سابق الذكر ، الجيل الثاني بعد ابان وعروة وشرحبيل بن سعد . وقد قام هذا الجيل – الثاني – بتنمية وتوسيع دراسة المغازي ، وكان للزهري ، دور وطريقة مميزة ، سار عليها تلاميذه مثل موسى بن عقبة وابن اسحق (٢) .

لقد قام الزهري بهذا الدور ، لما تمتع به من سعة العلم والثقافة ، فقد كان اماما جامعا ، حاول أن يجمع كل مايتعلق بسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء الراشدين ، وقد روى السيرة عن عروة بن الزبير ، وزاد عليها ماجمعه (٣) .

لقد لخص الطبري دوره كمؤرخ بقوله : كان محمد الزهري مقدما في العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخبار قريش والانصار ، راوية لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه (٤) .

ويقول شاكر مصطفى : كان عالما بالانساب عالما باخبار عهد الرسالة والراشدين ، خصب الانتاج (٥) ، كان يكتب كل مايعرف

---

(١) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ ، ص ٢٣-٢٤، ١٠١-١٠٢ – السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٨-٥٩ .
(٢) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ٢٣، ١٠١-١٠٢ .
(٣) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٢٩ .
(٤) عبد العزيز الدوري : نفس المرجع ، ص ٨١ .
(٥) نفس المرجع والجزء والصفحة .



كمـا كـان عالمـا بسير الانبياء واهل الكتاب[١] ، وكان قد درس انساب قومه على يد عبد الله بن ثعلبة[٢] .

ولقـد تمثلـت دراساته فيمـا رواه ودونه من الكتب فى الميدان التـاريخى ، فقـد نسـب له كتاب "مشاهد النبى صلى الله عليـه وسلم" ، و"سيرة الزهـرى"[٣] التى نقل عنها ابو القاسـم السهيلى ، ووصفها بقولـه : وهى اول سيرة الفت فى الاسلام[٤] . كـذلك روى انـه جمع كتابا فى المغازى[٥] ، وقد اشار الـى تاليفـه فى المغازى الامام البخارى ، وذكر السخاوى ان الزهرى روى المغازى عن عروة ، واشار حاجى خليفة الى مغازى الزهـرى ضمـن المصنفـات فـى المغـازى[٦] . كمـا طلب منه خالد القسـرى كتابـة السيرة له[٧] ، لكن لايعرف شىء عن تلك السيرة التـى كتبهـا لخـالد ولعلـه لم يكملها[٨] . وقد تكون هى سيرة الزهرى التى نقل عنها السهيلى . كما امره خالد القسرى ايضا بالكتابـة عـن القبائل العربية الشمالية ، ففعل ، لكنه لم يتمـه[٩] ، ويتضـح انـه كتاب "نسب قومه" الذى ذكر انه الفه ، وقـد ذكـر انـه دون كتابـا فـى "نسـب قـريش" ، اتخذه مصعب الزبـيرى مصدرا فى كتابه نسب قريش[١٠] . ويبدو انه نفس الكتاب

---

(١) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣٥٦/٩ .
(٢) هوروفتس : المغازى ، ص ٦٠ .
(٣) حسـين نصـار : نشـأة التـدوين التـاريخى ، ص ٤٧ ـ سعد الموسى : الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٢٩ .
(٤) سعد الموسى : نفس المرجع والصفحة .
(٥) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٥٨ .
(٦) عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٧٩
(٧) حسـين نصـار : نفس المرجـع ، ص ٤٦ ـ هـوروفتس : نفس المرجع ، ص ٦٠-٦٨ .
(٨) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٠٤ .
(٩) حسـين نصـار : نفس المرجـع والصفحـة ـ هوروفتس : نفس المرجع والصفحات .
(١٠) عبـد العزيـز الدورى : نفس المرجع ، ص ٢٤، ٩٦ ـ السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٩ .

سالف الذكر ، فلعله بدأ من الكتابة عن عرب الشمال فبدأ بقريش أو مضر ولم يتمه ، فذكر على هذا الأساس أنه دون فى نسب قومه أو نسب قريش ، وهو اختلاف لفظى لكتاب واحد . وقد عرف الزهرى بمعرفة الانساب ، ينقل ابن كثير من قول الليث فيه : "وان حدث عن الاعراب والانساب قلت : لايحسن الا هذا" .(١)

ويذكر أنه كتب "أسنان الخلفاء" بطلب من الوليد بن عبد الملك ،(٢) وآخر الاحداث التى رواها الزهرى ، كان آخر عهد الخلفاء الراشدين . اذ لم يرو عنه شيئا يذكر عن تاريخ بنى امية .(٣) ويظهر انه لم يعالج الفترة الاموية ، الا ماكتبه عن اسنان الخلفاء .(٤)

وسيرة الزهرى تشمل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها ، المغازى وغيرها ، مبتدئة بما يتصل بحياته من قبل الاسلام حتى وفاته ، مراعيا فيها التسلسل التاريخى ، وتاريخ بعض الحوادث الكبرى ، مستخدما الاسناد الجمعى ، حيث يدمج اكثر من رواية فى خبر واحد عن الحدث الواحد . وهو بذلك يسير خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة ، وكان يرسل أخباره أحيانا . وسيرته معتمدة على الحديث ، لاتجد فيها أثرا لقصص الانبياء الا نادرا ، ولم يكن يدخل اشعار

---

(١) البداية ، ط ٤ ، ٣٥٦/٩ - عبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ ، ص ٤٧ .

(٢) هوروفتس : المغازى ، ص ٦٠-٦٨ - حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى ، ص ٤٧ - السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٦٠ .

(٣) خليل الزرو : الحياة العلمية فى بلاد الشام ، ص ٢٠٣-٢٠٤ - السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والصفحة .

(٤) عبد العزيز الدورى : نفس المرجع ، ص ٩٧-٩٨ .

المشاركين في الاحداث عند روايتها الا قليلا . ولقد تميز اسلوبه الكتابي بالوضوح والسهولة والبساطة والجمال ، كما كان ذي طابع انساني ملتزم ، بعيد عن التاثر عن الآراء والنظريات المذهبية والسياسية .(١)

وقد اثرى الزهري علم التاريخ بمعارفه التاريخية ، فعلم ودون ونشر ، وقلما نجد مصدرا تاريخيا ظهر بعد القرن الثاني ليس للزهري اسما فيه (٢) ، كما احتوت كتب الحديث والسير على علمه . ولكن لم يصل الينا مع كل هذا العلم ومادون شيء من كتبه (٣) ، الا أن بعض المتاخرين جمع الاحاديث التي احتوتها كتب الحديث من مدوناته ، في كتاب سماه "الزهريات" (٤) وقد نشر سهيل زكار مرويات الزهري في كتب الحديث ، في كتاب باسم المغازي ، وادعى انها هي السيرة التي كتبها الزهري .(٥)

وممن كان لهم مشاركات في خدمة علم التاريخ ، عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ) ، قال عنه سفيان بن عيينة : "كنت

---

(١) عن منهجه وأسلوبه في كتابة السيرة والمغازي ، انظر / عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة التدوين التاريخي ، ص ٢٣-٢٥ _ حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي ، ص ٤٧-٤٩ _ هوروفتس : المغازي ، ص ٦٠-٦٨ _ السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٩ _ خليل الزرو : الحياة العلمية في بلاد الشام ، ص ٢٠٢ .

(٢) خليل الزرو : نفس المرجع والصفحة _ حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٨ .

(٣) حسين نصار : نفس المرجع ، ص ٤٧ _ سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٣٠ .

(٤) حسين نصار : نفس المرجع والصفحة .

(٥) سعد الموسى : نفس المرجع والصفحة وهامش واحد منها .

اذا سمعت عكرمة يحدث الناس عن المغازى كانه مشرف عليهم ، ينظر كيف يمنعون ويقتتلون" (١) . والقاسم بن محمد بن ابى بكر (ت ١٠٧هـ) الذى نقل عنه بعض المؤرخين نصوصا حول المغازى واخبار الخلفاء (٢) .وعامر الشعبى(ت ١٠٩هـ) ،كان عالما بالمغازى حافظا لها ، محدثا بها ، روى ان ابن عمر مر بالشعبى وهو يحدث بالمغازى ، فقال : شهدت القوم وانه اعلم بها منى (٣) ، ويقول شاكر مصطفى عنه (٤) : اشتهر فى الواقع بما روى من الاخبار فى الاسرائيليات ، وفى القصص ، والتبابعة ، واخبار اليمن ، والمغازى . واضاف : ان اسمه ورد فى مواضع عديدة لدى الطبرى . وقال عنه ايضا : لم نذكر الشعبى لم كتب والف ولكن لما روى . وقد اخذت عنه رواياته لغيره ، ثم ذكر انه الف كتابا فى المغازى وآخر باسم "كتاب الشورى ومقتل الحسين" (٥) ، وكتابا فى الفتوح املاه املاء دون اصول . ذاكرا انه لم يصلنا من كتبه شيء ، الا نتفا فى بعض المصادر .

ومحمد بن كعب القرظى (ت ١١٧هـ) ، اهتم باخبار اليمن وروى الكثير منها ، وقد روى عنه الطبرى بعض أخبار اليمن والانبياء ويهود الحجاز (٦) . ويزيد بن ابى حبيب (ت ١٢٨هـ) ، كان عالما بالفتن والحروب ، وخاصة مايتعلق بفتوح مصر وشئونها وولاتها ، وهو احد من اعتمد عليهم الكندى فى كتابه

---

(١) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٥٥/٩ .
(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٤٠ .
(٣) الشيرازى : طبقات الفقهاء ، ص ٨١ ـ ابن حجر : تهذيب ٥٩/٥ .
(٤) التاريخ العربى والمؤرخون ، ١٧٥/١-١٧٦ .
(٥) اورد اسمه فى مكان آخر "كتاب الشورى ومقتل عثمان" . (انظر نفس المرجع ، ص ٨٣) .
(٦) شاكر مصطفى : نفس المرجع ، ١٣٧/١ .

ولاة مصر وقضاتها ، كما ترك عدة كتب فى اخبار مصر وفتوحها[1] ويعقوب بن عتبة بن المغيرة (ت ١٢٨هـ) ، احد العلماء بالسيرة[2] . ويزيد بن رومان الاسدى (ت ١٣٠هـ) ، الذى الف كتابا فى المغازى ، وصل الى الواقدى[3] .

ويتبين من هذه الدراسة المقتضبة للكتابة التاريخية فى فترة بحثنا ، الى ان هذا العلم كان فى مرحلة يخطو بها نحو النضوج ، اذ عاش التاريخ آنذاك مرحلة الجمع والتدوين المستقل فى كتب تخص التاريخ ، ليبدأ تميز شخصية هذا العلم وتلمس معالمه الخاصة بعيدا عن العلوم الاخرى التى كان يعيش فى احضانها ، وخاصة الحديث .

ولقد لمسنا ان الكتابة التاريخية ، حظيت باهتمام صفوة من العلماء ، كان جلهم من العرب ، الذين طرقوا عددا من جوانب الدراسات التاريخية ، ودونوا فيها الكثير من المؤلفات ، التى لم يصلنا منها وبكل اسف الا شذرات ونتف .

وكانت دراساتهم قد شملت السيرة ، والمغازى ، وبعض حوادث الاسلام الاخرى ، وتاريخ ماقبل الاسلام ، والانساب ، وقصص الانبياء ، والتواريخ الاقليمية . وقد قامت تلك الدراسات على اسس واضحة ، واتجاهات مختلفة ، تدعو الى الثبات والتكامل من ناحية ، والنمو والتوسع والشمول من ناحية أخرى، لترسم للاجيال القادمة ، خطوطا ومعالم علم سيكون له مكانة متميزة بين العلوم الاسلامية الاخرى .

---

(١) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٩١ ـ محمد النجار : الدولة الاموية فى الشرق ، ص ١٦٩-١٧٠ ـ شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ص ٨٢-٨٣ .
(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٢٤١ .
(٣) شاكر مصطفى : نفس المرجع ، ١/١٥٧ .

## المبحث الرابع

# مظاهر النشاط العلمي

أبنّا في التمهيد أن للحركة العلمية ونهضتها قبل عهد الخليفة يزيد ، مظاهر نشاط علمي ، تتمثل في المؤسسات العلمية من مساجد وكتاب ومكتبات ، ورجال العلم من علماء ومعلمين ومؤدبين ، ومناهج تعليم وطرق وأساليب تدريس ،وفضل علماء وآداب متعلمين ، واهتمام الخلفاء ورعاية الدولة لتلك الحركة وطلاب العلم والعلماء (١) .

### حلقات العلم في المساجد :

استمرت الحركة العلمية في عهد يزيد تتنامى نهضتها ويتواصل عطاء أهلها ، وكان لنشاط تلك الحركة مظاهره في عهده أيضا . وقد ظل المسجد يؤدي دوره الرائد في خدمة الحركة العلمية ، وبخاصة الجوامع الكبرى في الأمصار الاسلامية (٢) ، وواصل العلماء في حلقات التدريس بها ، تعليم الناس وتفقيههم ، في حلقات فردية لعالم جامع يتناول موضوعات شتى فيما يلقيه كالحسن البصري (ت ١١٠هـ) في حلقته بجامع البصرة (٣) ، أو لعالم يختص تعليمه بجانب علمي كتعلم القراءة على يد كبار المقرئين ، كأخذها عن عبد الله بن

---

(١) انظر ما أوردناه في التمهيد عن مظاهر النشاط العلمي قبل يزيد : ص ٤٥-٥٣ .
(٢) ذكرنا أشهرها في التمهيد ، انظر : ص ٥١ .
(٣) من أجل علم الحسن البصري وما قام به من دور مميز في خدمة العلوم الاسلامية ، (انظر / المبحث الأول ، ص ٦٢٥، ٦٤١،٦٥٨،٦٨٣-٦٨٤) .

عامر ( ١١٨هـ) ، أو تعليم عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١١٩هـ) [(١)] للمغازى فى جامع دمشق ثم المسجد النبوى [(٢)]. أو حلقات ثنائية يشترك فى الالقاء بها اكثر من عالم كحلقة سالم بن عبد الله ابن عمر (ت ١٠٦هـ) ، والقاسم بن محمد بن ابى بكر (ت١٠٧هـ) فى مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم . كما كان لبعض الاسر حلقات تخصها ، كحلقة آل حزم [(٣)].

مجالس العلماء :

كما كان لبعض العلماء مجالس علم فى منازلهم الى جانب حلقاتهم العلمية فى المساجد ، فقد كان للزهرى (ت ١٢٤هـ) مجالسه التى يسامر فيها الناس ويطعمهم الثريد ويسقيهم العسل ، ويتجاذبون الحديث [(٤)]. كما كان لمحمد بن المنكدر (ت ١٣١هـ) ، وهو من سادات القراء ، مجلس علم ، يقول أبو معشر فيه : "كان سيدا يطعم الطعام ، ويجتمع عنده القراء" [(٥)] وكذلك مجلس يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس [(٦)] (ت ١٢٨هـ).

وكان للتعلم على ايدى هؤلاء العلماء فى حلقاتهم ومجالسهم ، اساليبه وآدابه ، اذ يأتى طلاب العلم ويسالون

---

(١) انظر ذلك قبل : المبحث الاول ، ص ٦١٩ .
(٢) انظر ما أوردناه عن ذلك قبل : المبحث الثالث ، ص ٧٣٤.
(٣) عن الحلقات العلمية ، انظر / سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ، ص ٨٩-٩١ ـ أحمد أمين: فجر الاسلام ، ص ١٦٥-١٧٤ ـ ابن حجر :تهذيب ، ١٠٢/٣ ، ٤٨٨/٩ ، ٣٦٨/١٠-٣٧٠ ـ الذهبى : سير ، ٨٤/٥،١٨٦-١٨٧ .
(٤) الذهبى : نفس المصدر ، ٣٣٥/٥ .
(٥) انظر ذلك فى ترجمته عند / الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٥٣-٣٦١ .
(٦) سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ٩٠ .

العلماء ، فيروون لهم الاحاديث والاخبار ، او يفتونهم [(١)] ، ويملون عليهم الاجابات ، اما من الذاكرة وهو الغالب ، او من كتاب او صحيفة ، والطلاب منهم من يحفظ ، ومنهم من يدون ومن العلماء من ياذن بالكتابة عنه ، ومنهم من يمنع ذلك . ومن دون من التلاميذ ، عرض ماكتب على شيخه ، او على نسخته المقابلة ، توثيقا وضبطا .

ولم يكن احد من العلماء ياذن بنشر مروياته وكتبه ، الا عن طريق التحديث او الاجازة ، وكان لايعتمد على الوجادة [(٢)] الا في اضيق الحدود ، فالاعتماد كان على السماع من افواه الشيوخ او القراءة عليهم [(٣)] ، حتى تحمل لهم الاجازة بالرواية عنهم ، ومن هنا لزم الرحلة في طلب العلم وجاءت اهميتها [(٤)] .

وكان العلماء يقدمون لتلاميذهم وآخذى العلم عنهم مايناسب مستواهم العقلي ، يقول الزهري :"ماحدثت قوما حديثا قط لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم" [(٥)] .
ولعروة بن الزبير قول شبيه بهذا [(٦)] .

---

(١) ليست هذه الطريقة مطلقة ، فمن العلماء من له من الهيبة مايمنع التلاميذ من سؤاله ، الا ان يتكلم من تلقاء نفسه ، او يساله احد نزل به امر ، يقول الزهري "ولقد كنا نجلس عند ابن المسيب فما يستطيع احد منا ان يساله عن شيء الا ان يبتدىء الحديث ، او ياتي رجل يساله عن شيء قد نزل به" . (انظر / الذهبي : سير ، ٣٣٥/٥) .

(٢) الوجادة : تعني ان يجد احد صحيفة او كتاب لعالم ما ، فيروي مافيها ، او يحدث منها ، او ينقل عنها ، دون ان يسمع منه ، او يعرض عليه مافيها.ودون اجازة ولامناولة .

(٣) يقول الزهري : "القراءة على العالم والسماع منه سواء ان شاء الله" . (الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٣٨)

(٤) محمد السلمي : منهج كتابة التاريخ الاسلامي ،ص ٢٨٥-٢٨٦

(٥) خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٢ .

(٦) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ، ص ٢٤

ويرون أن افضل الوسائل لادراك العلم وفهمه ، اخذه درجة درجة ، يقول الزهرى : من طلب العلم جملة فاته جملة ، وانما يدرك العلم حديثا وحديثين ، كما كان يكره تكرار الحديث (١) ، وينتقد من يستفهمه عن قول ذكره (٢) . لذلك كان من العلماء فى تلك الحقبة من يحث على الكتابة ويعين عليها ، فقد كان عطاء بن ابى رباح (ت ١١٤هـ) يحض طلابه على التعلم والكتابة ، وكانوا يكتبون بين يديه ، وكان يقول : "ياغلمان ، تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لايحسن كتبنا له ومن لم يكن معه قرطاس اعطيناه من عندنا" (٣) .

ويقول الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) : "اذا سمعت شيئا فاكتبه ولو فى حائط" (٤) .

وكان طلاب العلم يسألون عما يريدون ، يطوفون على من لديهم شىء من العلم فيحفظون ويكتبون ، وقد يلازم طالب العلم شيخه عددا من السنوات يأخذ عنه العلم ، حرصا على العلم دون كلل أو ملل ، يقول الزهرى : "مست ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمانى سنين" (٥) .

ومما يذكر فى هذا الصدد تطور طريقة الدراسة فى حفظ كتاب الله ، فى خلافة يزيد بن عبد الملك (٦) ، ينقل ابن عساكر أن عبد الله بن العلاء قال : "كنا ندرس فى مجلس يحيى بن

---

(١) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٢ .
(٢) الذهبى : سير ، ٣٣٣/٥ .
(٣) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٧ – صبحى الصالح : علوم الحديث ، ص ٤٤ .
(٤) محمد الخطيب :نفس المرجع ، ص ٣٢٦ .
(٥) الذهبى : نفس المرجع والجزء ، ص ٣٣٢ .
(٦) تاريخ دمشق ، م٥٢/٢ .

الحارث[1] فى مسجد دمشق ، فى خلافة يزيد بن عبد الملك اذ خرج علينا امير دمشق الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب الاشعرى من الخضراء ، فاقبل علينا منكرا لما نصنع فقال : ماهذا وانتم ؟ فقلنا ندرس كتاب الله . فقال : اتدرسون كتاب الله تبارك وتعالى ؟ ان هذا شىء ماسمعته ولارايته ولاسمعت انه كان قبل . ثم دخل الخضراء . وكان الضحاك بن عبد الرحمن اميرا على دمشق فى خلافة عمر بن عبد العزيز" .

ويظهر أن ماانكره الضحاك بن عبد الرحمن فى دراسة القرآن ، هو تدبر معانى القرآن والتفكر فيه ، اذ أن طريقة الدراسة فى قراءة القرآن ، كانت قد عرفت منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، واول من احدثها هشام بن اسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وتعنى التكرار وراء قارىء ما وقد يكون المكرر فردا او جماعة ، عن فرد او جماعة . وقد وصفها ابن عساكر بقوله :"فقرا هشام بن اسماعيل ، فجعل عبد الملك يقرا بقراءة هشام ، فقرا بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك من يليه من اهل المسجد فقرا بقراءته[2] .

ومن طرق تحفيظ القرآن فى تلك الفترة ، طريقة مسلم بن جندب الهذلى القارىء (ت بعد ١١٠هـ) فى تعليم كتاب الله ، يقول جعفر بن الزبير : "وكان ـ يعنى مسلم ـ يعلمنا غدوة

---

(١) يحيى بن الحارث الذمارى الدمشقى ، الامام الكبير ، امام جامع دمشق وشيخ المقرئين ، عالم بالقراءة فى دهره ، كان يقف وراء الائمة يرد عليهم لايستطيع ان يؤم من الكبر ، قرا على ابن عامر وواثلة بن الأسقع ، وتلا عليه آخرون . ثقة من رواة الحديث ، ولد زمن معاوية ، وتوفى سنة ١٤٥هـ عن تسعين سنة . (الذهبى : سير ، ١٨٩/٦-١٩٠) .

(٢) خليل الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٢٠-٢١ .

ثلاثين آية وعشية ثلاثين آية ، وفي رواية يقرأ علينا " .(١)

ومن آداب طلاب العلم اجلال العلماء ، وتقديرهم ، وخدمتهم ، يقول الزهري :"كنت أخدم عبيد الله بن عبد الله(٢) حتى كنت استقي له الماء المالح ، وكان يقول لجاريته من بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش" .(٣)

أما العلماء ، فكانوا يعينون التلاميذ على طلب العلم(٤) ويتالفونهم على الحديث ، ومن آدابهم حسن الانصات للمحدث ،(٥) واظهار عدم المعرفة بما يحدث به وان كان قد سبق الى علمه(٦) ومن سماتهم التواضع والخوف من الشهرة ، قال صفوان بن عمرو في خالد بن معدان (ت ١٠٣هـ على خلاف) وكان له حلقة :"رايت خالد بن معدان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة " .(٧)

الكتـــاب :

وواصل الكتاب دوره زمن يزيد ، الى جانب المسجد كدار(٨)

---

(١) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة ،ص ٩٥

(٢) ضربنا المثل بالزهري في اكثر من موضع ، لأنه من علماء عصر الخليفة يزيد وممن عمل له ، وكان من علماء الأمة المبرزين ، لذا احتوت تراجمه على اخبار كثيرة عن تعلمه وتعليمه واخبار العلم والعلماء ، فوجدنا بها شيئا مما نريده في هذا الباب . (انظر شيئا من ذلك في ترجمته عند / الذهبي : سير ، ٣٢٦/٥-٣٥٠) .

(٣) الذهبي : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٣٢ – الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ص ٦٩ .

(٤) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٧ .

(٥) سعد الموسى : نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٦) ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٣١٨/٩ .

(٧) ابن حجر : تهذيب ، ١٠٢/٣-١٠٣ .

(٨) عن التعريف بالكتاب ، ونشاته ، ودوره في الحركة العلمية بالدولة الاسلامية ، (انظر / يوسف حوالة : الحياة العلمية في افريقية ، ص ٢٣٢-٢٣٤ – محمد بدوي: دراسات في التربية والفكر في الاسلام ، ص ٦٦-٧١ – خليل الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢١ – وانظر ايضا قبل : التمهيد : ص ٥٢ .

علم ومنار ثقافة ، ومن اشهر معلمي الكتاب في عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، عطاء بن ابي رباح (ت ١١٤هـ) الذي كان معلم كتاب[1] . والضحاك بن مزاحم الهلالي (ت ١٠٥ أو ١٠٦هـ) كان يعلم الصبيان حسبة ، وكان فقيه مكتب عظيم كالجامع في الكوفة ، فيه ثلاثة آلاف صبي ، وكان يركب حمارا ويدور عليهم اذا عيي[2] .

والطرماح بن حكيم الطائي (ت ١٠٥هـ) ، اشتغل مؤدبا بالري ، قال عبد الأعلى : لم ار احدا آخذا لعقول ولا اجذب لأسماعهم منه ، ولقد رايت الصبيان يخرجون من عنده كانهم قد جالسوا العلماء[3] .

## المؤدبون :

ظهرت في العصر الاموي فئة المؤدبين ، وهم الذين كانوا يعلمون أبناء الخلفاء والأمراء والخاصة ، ويؤدبونهم ، ويشرفون على تربيتهم . وكان الخلفاء يغدقون عليهم العطاء، الا أن بعضهم كان لاياخذ لقاء تعليم القرآن شيئا ، وكان المؤدب ذا اثر بالغ فيمن يؤدبه .

واعتمد يزيد بن عبد الملك على المؤدبين في تربية ابنائه ، وذلك على طريقة من سبقه من الخلفاء الأمويين ، الذين استدعوا الى قصورهم من يقوم بتاديب وتعليم ابنائهم[4].

---

(١) ابن حجر : تهذيب ، ١٧٩/٧-١٨٣ ـ الذهبي : سير ، ٨١/٥.
(٢) ابن حجر : نفس المصدر ، ٢٩٧/٤-٢٩٨ ـ ابن كثير : البداية ، ط٤ ، ٢٣١/٩ ـ الذهبي : دول الاسلام ، ٥٣/١ ـ الذهبي : سير ، ٥٩٨/٤-٦٠٠ ـ اليافعي : مرآة الجنان ، ٢٤٢/١ ـ محمود الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٠١ ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ، ١١٢/٢-١١٣ .
(٣) بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، ٢٤٤/١-٢٤٥ .
(٤) انظر ماأوردناه مجملا عن المؤدبين في العصر الأموي قبل : التمهيد ، ص ٥٢ .

كما عاش زمنه عدد من مؤدبي ابناء الخلفاء الآخرين ، ومنهم : اسماعيل بن عبيد الله بن ابي المهاجر (ت ١٣٢هـ) ، كان مفقها لأولاد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكان الخليفة يزيد ممن تعلموا على يديه (١) . والضحاك بن مزاحم الهلالي (ت ١٠٥ او ١٠٦هـ) كان احد مؤدبي ابناء الخليفة عبد الملك ايضا (٢) . وعبد الواحد بن قيس السلمي ، كان معلم اولاد الخليفة يزيد بن عبد الملك . وقد قال : قلت ليزيد بن عبد الملك : "اني لست آخذ منك على القرآن شيئا ، انما آخذ منك على غيره" (٣) . وعبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد ابن يزيد بن عبد الملك ، "اختاره يزيد بن عبد الملك ، وكلفه بتربية ولده وتاديبه حين كبر وبلغ سن التعليم ، لمعرفته بمكانته الادبية الرفيعة ، وثقته بقدرته التعليمية العالية" . كما ادبه ، ابو نخيلة التميمي البصري ، وكان شاعرا راجزا فصيحا مقتدرا كثير البدائع والمعاني (٤) . غير انا نجد من يشير الى اشتهار عبد الصمد بن عبد الأعلى بالزندقة واللهو والمجون (٥) . وقد ناقش حسين عطوان (٦) هذه التهمة ، وضعف الأخبار الواردة فيها .

---

(١) ابو زرعة : تاريخ ابي زرعة ، ٣٤٧/١-٣٤٨ ـ الذهبي : سير ، ٢١٣/٥ ـ ابن حبيب : المحبر ، ص ٤٧٦ ـ ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان ، ص ٢٥٠ ـ عواد الأعظمي : مسلمة ، ص ١٩-٢٠ . وانظر ايضا قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٢ .

(٢) انظر قبل : الفصل الاول ، ص ١٠٢ .

(٣) ابن حبيب : نفس المرجع والصفحة ـ الزرو : الحياة العلمية في الشام ، ص ٢٨-٢٩ ـ محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء ، ص ٤٤-٤٥ .

(٤) للتعريف بهذين المؤدبين ، وتربيتهما للوليد بن يزيد وسيرتهما معه واثرهما عليه . (انظر / حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٧٣-٩٨) .

(٥) محمد صالحية : نفس المرجع ، ص ٤٤ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٨٣-٨٧ .

كمـا يذكر حسين عطوان مؤدبا ثالثا للوليد بن يزيد هو[(١)] يزيد بن ابى مساحق السلمى ، لكنه شكك فى صحة ذلك الخبر .

ووهب بن كيسان الفقيه المؤدب[(٢)] ، لكنا لانعلم لمن كان مؤدبا .

وكان الزهرى مؤدبا لأبناء الخلفاء من بنى امية ، ومنهم الخليفة يزيد بن عبد الملك نفسه[(٣)] . وعون بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، الذى علم مروان بن محمد فى حياة ابيه ثم تركه ولزم الخليفة عمر بن عبد العزيز[(٤)] .

المكتبـــات :

انتشرت الصحف والكتب فى تلك الفترة - مدار البحث - وكثرت لشيوع الكتابة بين الناس وتدوين كثير من العلماء للعلم وحثهم عليه ، يقول الحسن البصرى :"ان لنا كتبا كنا نتعهدها"[(٥)] . فعرف العصر انواعا من المكتبات او خزائن الكتب فكان هناك خزانة الخلفاء الأمويين ، والمكتبات العامة ، والمكتبات الخاصة .

---

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٩٨-٩٩ .
(٢) الذهبى : سير ، ٥/٢٦ .
(٣) الزرو : الحيـاة العلمية فى الشام ، ص ٢٨-٢٩ - محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٤٩٣ - وانظر قبل : الفصل الأول ، ص ١٠٢-١٠٣ .
(٤) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٠٣-١٠٥ .
(٥) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٢٦ - صبحى الصالح : علوم الحديث ، ص ٤٤ . (لكن من العلماء مع تدوينه العلم لنفسه ، الا انه كان يكره الاملاء ، فكان الزهرى ممن يمنع ان يكتب عنه ، فاذن للناس واملى عليهم ، بعد ان الزمه هشام بالاملاء على بنيه ، وقال : كنا نكره الكتاب ، حتى اكرهنا عليه الامراء ، فرايت الا امنعه مسلما" . (انظر / الذهبى : نفس المصدر والجزء ص ٣٣٤ - شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، ص٩٥-٩٦) .

وامـا خزانـة الخلفـاء الأمـويين ، فقد وجد بها اعداد كبـيرة مـن الدفـاتر التي احتوت علـى علم الزهرى ، يدل علـى ذلـك رواية عبد الرزاق انه سمع معمرا يقول : "كنا نرى انا قـد اكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : من علم الزهرى" (١).

وقـد كـتبت هـذه المدونات قبل عهد الوليد ، فقد كانت وفـاة الزهرى (١٢٤هـ) ، قبل تولى الوليد الخلافة (١٢٥هـ) ، ويبـدو انهـا دونـت وحـفظت فـى عهد هشام الذى الزم الزهرى بالكتابة والاملاء (٢)، ولعل بعضها كتب فى عهد الخليفة يزيد بن عبـد الملـك ، فقـد كـان الزهـرى من رجال دولته وممن تولى له القضاء .

ويظهر انه كان للخلفاء الأمويين خزائن كتب ، يحفظ بها بعـض العلوم والمدونات فى شتى الفنون ، يدل على ذلك الخبر الذى يشير الى اخراج الخليفة عمر بن عبد العزيز كتاب اهرن القس بـن اعيـن الذى ترجمه ماسرجويه ، من خزائن الكتب وقد حـفظ بهـا منـذ عهـد مـروان بن الحكم ، فاخرجه بعدما وجده لينتفع به المسلمون ، وقيل : بل ترجم فى عهد عمر نفسه (٣).

والغـالب أن مكتبـة خلفـاء بنى أمية هذه ، كانت لحفظ الكـتب ، فلاتفتـح ابوابهـا لطـلاب العلـم ، الا ان يكـون من الخلفـاء أو ابنـاء اسـرتهم . وقد نص الخبر على اخراج كتب الزهـرى مـن خزائن الوليد بن يزيد ، فلانعلم الى اين اخرجت

---

(١) الذهبى : سير ، ٥/٣٣٤ – هوروفتش : المغازى ، ص ٦٥-٦٦
-احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٦٨ .
(٢) انظر ص ٦٥٣-٦٦٤ .
(٣) أحمد أمين : نفس المرجع ، ص ١٦٣ .

الى مكتبات عامة كانت موجودة ، او خزائن كتب قد تكون ملحقة بالمساجد التى كانت تمثل دور العلم فى تلك الفترة ، ليستفيد منها سائر المسلمين ، وهذا ارجح .

اما المكتبات العامة ، فان من المسلمين من اتخذ بيتا وضع فيه كتبا وادوات للتسلية واللعب واعده للرواد من طلاب العلم ، وفتحه امام العامة ، فيذكر احمد امين نقلا عن ابى الفرج (١) : ان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحى ، وكان فى العصر الاموى (٢) ، قد اتخذ بيتا فجعل فيه شطرنجات ، ونردات ، وقرقات (٣) ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل فى الجدار اوتادا ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقراه ، او بعض مايلعب به فلعب به " . وكانت هذه المكتبة بالمدينة (٤) .

والحق انه مظهر راق للنهضة العلمية فى تلك الحقبة من الزمن ، وشبيه عبد الحكم الجمحى ، محمد بن جبير بن مطعم (ت ٩٩ او ١٠٠هـ) ، الذى كان لديه مكتبة عامرة بالكتب ، وكان يسمح لطلاب العلم بالاطلاع فيها ، لكنه كان يمنع خروج اى كتاب (٥) .

اما المكتبات الخاصة ، فقد كان لكثير من العلماء

---

(١) فجر الاسلام ، ص ١٦٨ .
(٢) لم اعثر على ترجمته ، وقد قال احمد امين انه فى العصر الاموى ، (انظر النص اعلاه ) .
(٣) النردات : جمع نرد ، وهو مايعرف اليوم بالطاولة وقرقات : جمع قرق وهى لعبة للصبيان . (انظر / محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، هامش ٤ ، ص ٣٠١) .
(٤) عن هذه المكتبة ، انظر ايضا / احمد زكى : الحياة الادبية فى البصرة ، ص ١٤٨ ـ محمد الخطيب : نفس المرجع والصفحة .
(٥) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ،ص ٢٤

مكتباتهم الخاصة ، حيث استعانوا على حفظ علمهم بالتدوين ، وحفظ تلك المدونات للمذاكرة فيها والعودة اليها عند الحاجة ، او الاملاء منها احيانا ، وتقديمها لطلاب العلم احيانا اخرى ينسخون منها ، او باعارتها ثم استعادتها .

فقد كان لمجاهد بن جبر (ت ١٠٣هـ) كتبا فى غرفة بيته، وكان يسمح لبعض اصحابه ان يصعدوا اليها ، فيخرج لهم كتبه فينسخون منها (١) .

وترك عبد الله بن زيد (ت ١٠٤هـ) نزيل داريا ، لما مات حمل بغل كتبا (٢) . كما كان لمحمد الباقر بن على بن الحسين (ت ١١٤هـ) كتب كثيرة سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق ، وقرا بعضها .

كما كان عند مكحول الشامى (ت ١١٢هـ) كتب ، وعند الحكم بن عتيبة (ت ١١٣هـ) ايضا ، وعند بكير بن عبد الله ابن الاشج (ت ١١٧هـ) عالم المدينة ، كتب انتقلت الى ابنه مخرمة بن بكير (٣) ، كما كان للزهرى (ت ١٢٤هـ) مع حفظه مكتبة خاصة ، يقول يونس بن يزيد : قلت للزهرى اخرج لى كتبك ، فاخرج لى كتبا فيها شعر (٤) . وكان اذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله ، فيشغل بها عن كل شىء من أمور الدنيا ، حتى قالت امراته : والله لهذه الكتب اشد على من ثلاث ضرائر (٥) .

---

(١) محمد الخطيب : السنة قبل التدوين ، ص ٣٢٦ ـ صبحى الصالح : علوم الحديث ، ص ٤٤ .
(٢) الزرو : الحياة العلمية فى الشام ، ص ٧٨ .
(٣) محمد الخطيب : نفس المرجع ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .
(٤) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة ،ص ٨٧
(٥) احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٦٨ ـ هوروفتش : المغازى، ص ٦٦ .

كل ماذكرناه دلائل واضحة على انتشار الكتب والمكتبات وبالأخص الخاصة منها ، وذلك ينبىء عن نهضة علمية شهدتها الدولة الاسلامية فى اواخر القرن الأول وبداية الثانى . ولعل مما ساعد على انتشار الكتب والمكتبات ، وجود اسواق لبيع الكتب ونسخها ، فينقل الذهبى أن همام بن منبه اليمانى كان يشترى الكتب لأخيه وهب بن منبه (١) ، وكان ممن ينسخ المصاحف فى هذه الفترة عبد الرحمن بن هرمز الاعرج (ت ١١٧هـ) ، احد القراء البارزين ، وكان يكتبها بيده ولايتركها الا لثقة أمين (٢) ، كما كان مالك بن دينار (ت ١٢٧هـ) العالم البر التابعى ، من اعيان كتبة المصاحف ، حيث كان ينسخ المصاحف للتكسب ، وكان ينسخ المصحف فى اربعة اشهر (٣) .

ومما يستوجب الذكر ونحن ندرس ابرز جوانب الحياة العلمية فى عصر الخليفة يزيد بن عبد الملك ، واهم مظاهر نشاطها العلمى ، ابداء الرأى فى دوره فى الحياة العلمية فى عهده واهتمامه بها .

كانت الحركة العلمية فى الدولة الاموية فى غالب الاحيان تنمو من تلقاء نفسها (٤) ، لاهتمام الناس بالعلم وانكبابهم عليه ، حيث حثهم الدين الاسلامى على ذلك ، وكونه مظهرا من مظاهر النمو والتطور الحضارى ، الذى اخذت دولة الاسلام ترتقى سلمه ، الى جانب الحاجة وضرورات الحياة

---

(١) الذهبى : سير ، ٣١٢/٥ .
(٢) سعد الموسى : تاريخ الحياة العلمية فى المدينة النبوية ، ص ٩٦ .
(٣) الذهبى : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٦٢-٣٦٤ .
(٤) يستثنى من ذلك بعض الخلفاء ، كعمر بن عبد العزيز ، (انظر قبل التمهيد ، ص ٦٩-٧١) .

الجديدة فى المجتمع الاسلامى الجديد .

وهذا لايعنى عدم اهتمام الخليفة يزيد بالعلم البتة ، فلعل من نافلة القول انه ترك كثيرا من جهود واهتمامات سلفه الخليفة عمر بن عبد العزيز العلمية ،تسير فى طريقها وتواصل نتاجها ، كالابقاء على البعثات التى ارسلها سلفه (١) عمر بن عبد العزيز الى الاقاليم الاسلامية لبث تعاليم الدين الاسلامى ، وتفقيه الناس (٢) ، والاستمرار فى نشر العلم فى المساجد ومجالس العلماء (٣) . ومما يدل على استمرارية ذلك النهج ، ماذكر عن اقتفاء بشر بن صفوان عامل يزيد على افريقية ، لسياسة محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله بن ابى المهاجر ، اميرا افريقية قبله ، فى العمل على نشر الدين والعلم بين البربر ، فاستمر العلماء والدعاة فى عملهم وكان من بينهم الواليان السابقان محمد بن يزيد واسماعيل بن عبيد الله ، وقد ادت تلك السياسة الطيبة الى اقبال البربر على حلقات العلم فى المساجد وتعليم الصبيان فى الكتاب (٤) . ولعل مثل هذا حدث فى الاقاليم الاخرى .

ومن المحتمل استمرار اوامر عمر بن عبد العزيز بتدوين العلم وخاصة السنة (٥) ، وان لم نلمس ذلك على المستوى الرسمى،

---

(١) من ذلك البعثة التى أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز من فقهاء التابعين لتفقيه البربر ، (انظر / فاطمة رضوان : المغرب فى عصر الولاة الأمويين ، ص ٤٨ — الفرد بل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى ، ص ٩٦-٩٧) .

(٢) أمر عمر العلماء بنشر الاسلام فى مساجدهم ومجالسهم . (انظر قبل / ص ٦٩ — عماد الدين خليل : ملامح الانقلاب الاسلامى ، ص ٨٣) .

(٣) انظر : فاطمة رضوان : نفس المرجع ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) انظر ذلك بالمصادر التى احلنا اليها لمعرفة عطاءات عمر العلمية ، قبل : التمهيد ، ص ٧٠ .

(٥) انظر قبل : المبحث الاول ، ص ٦٥٠-٦٦٠ .

وليس لدينا قرائن على استمرارية كل سياسات عمر في سبيل نشر العلوم ولكن الاقرب عدم التوقف ، واستمرار العلماء المكلفين بذلك فيه ، خصوصا أن من اولئك العلماء من حظى بثقة يزيد وكان من المقربين اليه والعاملين في دولته ، كمحمد بن مسلم الزهري . وليزيد اهتمام واضح بالادب وخاصة الشعر ، حيث قرب الشعراء ، وفتح ابوابه لهم ، واجزل لهم العطاء ، وحظوا باهتمامه ، وتلك صفة تميز بها بنو امية ، عدا عمر بن عبد العزيز .

يقول حسين عطوان[1] عن اهتمام يزيد بالعلماء وتقريبه لهم واعتماده عليهم : "واثرت ثقافته الدينية في سياسته تاثيرا بارزا ، اذ استهل خلافته بتقريب العلماء والفقهاء من امثال رجاء بن حيوة الكندي ، ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهما ممن احصاهم اليعقوبي[2] ، واجلهم يزيد واحسن اليهم ، واستعان بهم في القضاء ، واستفاء بآرائهم في تصريف شئون الدولة " .

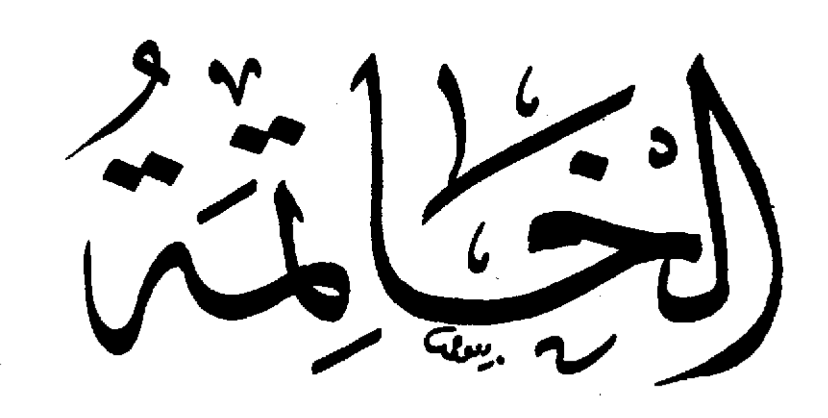
فيذكر انه كان يجرى على رجاء بن حيوة ثلاثين دينارا في كل شهر[3] ، وان سعيد بن خالد الاموي كان من خاصته او الغالب عليه[4] ، وهو من رجال الحديث الثقات .

---

(١) سيرة الوليد بن يزيد ، ص ١٦ .
(٢) بالرجوع الى تاريخ اليعقوبي ، نفس الجزء والصفحة ، تبين انه اورد اسماء علماء عصره ، لكنه لم يشر الى تقريب يزيد لهم او اهتمامه بهم .
(٣) الذهبي : سير ، ٤/٥٦٠ .
(٤) من اجل ذلك ، انظر قبل : الفصل الخامس ، المبحث الأول، ص ٤٣٣، ٤٤٠-٤٤١ .

ويتبين لنا مما ذكرناه ، أن الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وان كان له بعض الاهتمام بالعلم واهله ، الا انه لم يكن ذى دور بارز فى دفع الحركة العلمية وتنميتها ، تلك الحركة التى اعتادت الحياة بعيدا عن احضان الدولة ، فلم يؤثر عليها ذلك ، حيث واصلت النمو والتطور .

وهذا فى حد ذاته ظاهرة حضارية ، تعد من خصائص الأمة الاسلامية ، ومميزات دولتها ، حيث كانت الحياة العلمية ، والمظاهر الحضارية ، تحيا وتنمو نحو النضج والتقدم ، بشكل طبيعى ، ومن تلقاء نفسها ، على أسس ثابتة مستمدة من دينها وبامكانيات اهلها وموروثاتها ، وماوصل اليها مما وافق عقيدتها ، دون توجيه من الدولة ، او الاعتماد على رعايتها كما أن من مميزات الدولة الاسلامية ، ترك الحرية للراى والفكر مالم يكن مخالفا للدين الحق ، وافساح المجال للحياة العلمية ان تعيش دون توجيه معين ، ورعايتها رعاية هدفها حفز رجال العلم واعانتهم ، ودفع الحركة العلمية ، والمظاهر الحضارية نحو التقدم . ولعمرى ان ذلك كان من العوامل التى جعلت الأمة الاسلامية رائدة الحضارة العالمية بعد حقبة قصيرة من عمر الزمن .


الخاتمة

# الخاتمة

يأتي في مقدمة ماتوصلنا إليه في بحثنا هذا ، أنّ الدولةَ الأمويةَ في عهدِ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ ، كانت قويةَ البنيانِ ، ثابتةَ الكيانِ ، مُهابةَ الجانبِ ، استطاعت حكومتُها القضاءَ على الفتنِ الداخليةِ ، ومواجهةَ الأخطارِ الخارجيةِ ، وتوجيهَ الجيوشِ الفاتحةِ ، فحفظت الأمنَ ، وصانت الحدودَ ، وواصلت الجهادَ . كما استمرتْ الأمةُ في رُقيِّها الحضاريِّ ، وخصوصا في الحياةِ العلميةِ ، مما يعني قيامَ الدولةِ الأمويةِ في عهدِ يزيدَ ، بأداءِ واجباتِها ، والقيامِ بدورِها التاريخيِّ بكلِّ اقتدارٍ .

أما حاكمُ الدولةِ ، وخليفةُ المسلمينَ يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ ، فقد خرجنا من دراسةِ سيرتِه ، بإجماعِ جلِّ المصادرِ على ميلِه للهوِ واللذاتِ ، وحبِه لجاريتيه سلامةَ وحبابةَ وشغفِه بهما وطربِه بغنائِهما ، لكنَّ تلك الدراسةَ بينت ما اعترى قصتَه مع جاريتيه من مبالغةٍ واختلاقٍ وتزييفٍ ، فحوتْ مالايقبلُه العقلُ ، ولايقرُّه العرفُ ، ولايوافقُ الدينَ . وعلى أساسِها ظهرتْ سيرتُه الذاتيةُ ، بصورةِ الخليفةِ اللاهي المنصرفِ عن تحمُّلِ المسئوليةِ ومباشرةِ شئونِ الحكمِ . غيرَ أنا نؤكدُ ما أوردناه في دراسةِ سيرتِه ، من أنَّ يزيدَ وإنْ صحَّ جانبٌ مما قيلَ في سيرتِه الذاتيةِ ، إلا أنَّه ليسَ كما ابتلى به من أوصافٍ شنيعةٍ وآراءٍ متحاملةٍ ، وأحكامٍ جائرةٍ ، وهو كما قال ابنُ كثير : ليس به من بأسٍ ، فإنه على المستوى الرسميِّ كحاكمٍ للدولةِ الإسلاميةِ ، وكما أثبتت دراستُنا الجديةُ لأحداثٍ عدةٍ ، وأحوالٍ

دولته ، انه قام بتحمل مسئولية الحكم ، ومباشرة مهام الدولة . ونحن بذلك لاننفى وجود بعض الاثر لسيرته الذاتية ، على بعض سياساته ، وبعض احداث عهده .

ومن النتائج العامة التى نستشفها من دراسة سيرته والدولة فى عهده ، انّ عهدَ يزيدَ بن عبد الملك لم يكن بداية النهاية للدولة الاموية ، او سببَ الانهيار ، كما قالت بذلك كثيرٌ من المراجع ، ولكن التبعةَ التى يتحملها ، هى عدمُ الاستمرار فى الحركة الإصلاحية التى بداها سلفُه عمرُ بنُ عبد العزيز ، والذى ادركَ حاجةَ الدولة للإصلاح ، وإعادة الترتيب والتوازن . فلم يدركْ ذلك يزيدُ ، وراى مصلحةَ الدولة المالية العاجلة فى إعادة تطبيق بعض سياسات خلفاء بنى اميةَ قبلَ عمرَ ، فرد الدولةَ دونَ انْ يدرى إلى الحياة فى ظروفها السابقة ، التى كان منها مايمثلُ اسبابَ وهنٍ وعواملَ هدمٍ ، زاد اثرُها وقويت وطاتُها مع تقادم الزمن ، حتى اوصلت الدولةَ إلى هاوية الانهيار ، بعد سبعةٍ وعشرين عاما ـ تقريبا ـ من نهاية عهد يزيد .

ومـاذلك لسوء سيرته الذاتية ، او لانصرافه عن تحمل المسئولية ومباشرة شئون الحكم ، ولكن لانّ يزيدَ كان خليفةً عاديا ، إذ لم يكنْ سياسيا محنكا كمعاويةَ ، ولا إداريا ناجحا كابيه عبد الملك ، ولامصلحا مقتدرا كعمرَ بن عبد العزيز .

وبالنظر فى الحركات الداخلية فى عهده ، نجدُ الدولةَ قد عانت من قيام عددٍ من الحركات مختلفةَ المشارب ، كان اشدَها باسا واخطرَها شانا على الدولة فى عهده ، حركةُ يزيدَ ابن المهلب ، واعظمَها اثرا على الدولة بعدَه حركةُ بلاى ،

فالأولُ ، استولى على البصرةِ وماحولَها ، ووجّه العمالَ ، وجبى الأموالَ ، وخرجَ على الدولةِ ، وخلعَ الخليفةَ ، ورامَ الخلافةَ لنفسِه ، فعَظُمَ أمرُه ، وجلّ خطرُه ، وكادت حركتُه تطيحُ بالبيتِ الأمويِّ الحاكمِ ، فأُلزمَ الدولةَ توجيهَ جيشٍ من ثمانين ألفا للقضاءِ عليه ، فكلفَها كثيرا من الرجالِ والجهدِ والوقتِ والمالِ .

أما الثاني وهو بلاى ، فقد قادَ المقاومةَ النصرانيةَ ضدَ المسلمين في الأندلسِ ، ومهدَ نجاحُه لقيامِ دولةِ أشتريسَ النصرانيةِ في الشمالِ الغربي من الأندلسِ ، التي لم يستطعْ المسلمون إزالتَها بعد ذلك ، وواصلت النصرانيةُ مقاومتَها للوجودِ الإسلاميِّ حتى تمكنت من إزالةِ النفوذِ الإسلاميِّ على الأندلسِ بعدَ نحوٍ من ثمانيةِ قرونٍ .

وظهرَ أنَّ تلك الحركاتِ في عهدِه لم تقمْ نقمةً على سياسةِ الخليفةِ يزيدَ أو سيرتِه ، ولا احتجاجا على إجراءاتِ عمالِه وأصحابِ الأمرِ في دولتِه ، حيثُ كان وراءَها أسبابٌ وطموحاتٌ شخصيةٌ ، ونزعاتٌ إقليميةٌ ودوافعُ عقائديةٌ .

وتبين جديةُ الدولةِ في إخمادِ تلك الحركاتِ لحفظِ الأمنِ والحرصِ على وحدةِ الأمةِ وسلامةِ الكيانِ ، عن طريقِ إعطائِها حقِها من الاهتمامِ والمتابعةِ ، واتخاذِ الأسلوبِ المناسبِ ، حزما كما اتُّبِعَ في غالبِ تلك الحركاتِ ، مرونةً ولينا كما عوملَ به عقفانُ الحروريُّ . وليس هنا مكان للتساؤلِ لماذا لم يتَّبعْ الأسلوبَ السلميَّ مع بقيةِ الحركاتِ ، مادام قد نجحَ في إنهاءِ حركةِ عقفانَ دونَ خسائر ؟ فقد جرب مع حركةِ ابنِ المهلبِ حيثُ أعطى الأمانَ ودعى للسلمِ ولم يحققْ الغرضَ ، كما أنَّ نجاحَه

مع إحدى حركات الخوارج لايعني نجاحَه مع حركاتهم الأخرى ، فقد مارسَ هذا الأسلوبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ مع شوذبَ الخارجيِّ ، ونجحَ معه ، لكنه لم ينجحْ مع غيره من الخوارجِ ممن قام في عهده . فكيف بإرضاءِ وإقناعِ قومٍ من يزيدَ بنِ عبدِ الملك ، لم ترضِهم سياسةُ علي رضي الله عنه ، ولم تسكِتْهم عدالةُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ .

ونتج عن دراستِنا لتلك الحركاتِ تمكنُ الدولةِ من القضاءِ عليها وإخمادِها جميعا ، عدا حركةِ بلاى في الاندلسِ ، الذى دُحِرَ قائدَها ومن معَه إلى الصخرةِ في المنطقةِ الجبليةِ في الشمالِ الغربيِّ من الاندلسِ ، فتُرك ، وما لبث بعد عهدِ يزيدَ أنْ عاودَ المقاومةَ ، وإنْ كنا لانُحَمِّلُ عهدَ يزيدَ تبعةَ بقائه ، فمنشأُ تلك الحركةِ كان منذُ عهدِ سليمانَ بنِ عبدِ الملكِ لاعهدَ الخليفةِ يزيدَ .

ويجرُّنا الحديثُ عن الحركاتِ انه وإنْ تم القضاءُ على معظمِها ، فإنَّ بعضَها قد خلَّفَ آثارا ، فلاشك أنَّ الشدةَ في استئصالِ آلِ المهلبِ ، وإنْ لم يتجاوزْهم إلى من التفَّ حولَ زعيمِهم من أهلِ العراقِ ، قد ترك آثارا انتقاميةً في نفوسِ بعضِ اليمنيينَ ، نجد ذلك على لسانِ الكرمانيِّ الذى قال : "كانت غايتي في طاعةِ بني مروانَ أنْ يقلدَ ولدى السيوفَ فاطلبَ بثارِ بني المهلبِ" .

لكنا لانوافقُ ما استنتجَه كثيرٌ من المؤرخينَ ، في خسارةِ البيتِ الاموىِّ لولاءِ القبائلِ اليمانيةِ منذُ حركةِ ابنِ المهلبِ وتصفيةِ آله بتلك القسوةِ ، وإبعادِ اليمانيةِ عن الوظائفِ الكبرى في المشرقِ ايام يزيدَ . فالصحيحُ أنَّ الاثرَ كان نسبيا

إذ عادت للقبائل اليمانية مكانتها في المشرق بعد عهد يزيد، عندما ولّى الخليفة هشامُ خالدَ القسريَّ العراقَ. فعلا شأنُ اليمانية وتمتعت بتلك الحظوة هناك، طوالَ ولايته التى استمرت من (١٠٦ – ١٢٠هـ).

واثبت البحثُ أنّ تلك الحركات مع تعددها وقوة بعضها، وما أدت إليه من طمع بعض القوى المجاورة، إلا أنّها لم تُعقْ الدولةَ عن درء الأخطار الخارجية والقيام بواجباتها، وإنْ كانت قد استولت على شيءٍ من اهتماماتها وجهودها.

ومما كشفَتْه لنا هذه الدراسةُ، إصدارُ الخليفة يزيدَ بن عبد الملك مرسومًا في أواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢١م، يخصُّ النصارى ودورَ عبادتهم وبعض مظاهرها، قضى بتحطيم الأصنام، وكسر الصلبان، ومحو الصور وإزالة التماثيل، وهدم الكنائس المستحدثة، في كلّ مكانٍ من أقطار الدولة الإسلامية، والكتابةُ بأمره ذاك إلى عماله على الأقاليم، والأمرُ بتنفيذه. فشرعَ في ذلك على الفور، وجرى العملُ بمقتضاه، وإنْ بدا أنّ الخليفةَ يزيدَ قد توفي قبلَ أنْ يتمَّ تنفيذُ كلّ ما أمرَ به. كما تبين ظهورُ أثره واضحا في مصرَ والشام والعراق، دون غيرها من الأقاليم الإسلامية، لكونها مراكزَ تواجُد المسيحيينَ الكبرى، داخلَ الدولة الإسلامية، ومعاقلَ فكرهم، ومقرَّ كنائسهم العظمى، ولاستقرار الأمور فيها. بينما قلَّ أثرُه في الأقاليم الأخرى، لقلة تواجُد المسيحيينَ في بعضها ولعدم استقرار الأمور في البعض الآخر، كأقاليم الأطراف حديثة العهد بالفتح، والتي كان همُّ المسلمينَ بها نشرَ الإسلام بين أهلها وتثبيتَ سلطانهم فيها.

ورأينا أنَّ الخليفةَ بمرسومه هذا ، أُلزمَ النصارى بحدودِ ما أعطوا من حريةٍ دينيةٍ فى عهودِ الصلحِ ، خشيةً على المسلمين من التأثرِ بما يبرزُه النصارى من مظاهرِ عباداتِهم ، وصونا لمشاعرِ المسلمين من التأذى بمبالغةِ النصارى وتماديهم فى إبرازِ بعضِ تلك الشعائرِ والمظاهرِ الدينيةِ ، كدقِّ النواقيسِ ، ورفعِ الصوتِ بالترتيلِ ، ورفعِ الصلبانِ ، وتفشى الصورِ المقدسةِ والتماثيلِ ، وبناءِ الكنائسِ المستحدثةِ ، خصوصا أنَّهم يعيشون بينَ ظهرانى المسلمين ، ويأتون أمرا خارجا عما أعطوا فى صلحِهم ، ومنافيا لما جاء به دينُ الإسلامِ الذى حرَّمَ تصويرَ كلِّ ذى روحٍ ، واتخاذَ صورِها ، واستعمالَ ماهى فيه ، مما لايمتهن .

وتَبيَّنَ مدى اثرِ هذا المرسومِ فى نفوسِ أهلِ الذمةِ كجزءٍ من سياسةِ يزيدَ وإجراءاتِه تجاهَهم ، جاء ذلك على لسانِ المؤرخِ المصريِّ القبطيِّ ساويرس بنِ المقفعِ ، الذى قال :"ثم تولى بعده - أى بعدَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ - يزيدُ ومانحسن بشرحِ ماجرى فى أيامِه ولانذكرُه من السوءِ والبلاءِ لأنَّه سلك فى طريقِ الشيطانِ وحادَ عن طريقِ الله ..." وذكرَ أمرَ يزيدَ فى هذا الشأنِ . كما جاءت أهميتُه فى مداه خارجيا ، وتأثُّرِ الدولةِ البيزنطيةِ به ، ومحاكاةِ امبراطورِها ليو الثالث الأيسورى للخليفةِ يزيدَ فى مرسومِه ، حيثُ اتخذَ سياستَه اللايقونية والقاضيةَ بإزالةِ جميعِ الصورِ والتماثيلِ الدينيةِ من الكنائسِ فى ولاياتِ الدولةِ البيزنطيةِ ، وذلك سنة (١٠٧ - ١٠٨هـ/٧٢٦م) ، أى بعد مرسومِ يزيدَ بنحوِ خمسِ سنواتٍ ، وقد ترتب على سياستِه اللايقونية كثيرٌ من الآثارِ والنتائجِ

الخطيرة . ولعلّ مما يستلزمُ الذكرَ سَبْقَنا الدارسينَ المحدثينَ من المسلمينَ فى إبرازِ هذا المرسومِ ، الذى اغفلَ جلُّ المؤرخينَ ذكرَه ، وجَهلَ الكثيرُ امرَه .

وتوصلنا فى ضوءِ هذه الدراسةِ إلى عودةِ النشاطِ العسكريِّ والتوسعِ فى عملياتِ الفتوحِ ، زمن يزيدَ بن عبدِ الملكِ ، وانَّ منها ماكان اضطراريا ، كالجهادِ فيما وراءَ النهرِ الذى استهدفَ إخمادَ تمرُّدِ الصغدِ ومدَّ التركِ الذين اعانوا الصغدَ واستغلوا اضطرابَ الحالِ هناك للهجومِ على الممالكِ الإسلاميةِ فيما وراءَ النهرِ . وكذلك الجهودُ العسكريةُ فى ارمينيةَ ، والتى بذلت لصدِ هجماتِ الخزرِ على ذلك الاقليم . ومنها ماكان لحفظِ التوازنِ ، والابقاءِ على الهيبةِ الإسلاميةِ واستمراريةِ الجهادِ ، كحروبِ المسلمينَ زمن يزيدَ فى ارضِ الرومِ ، بينما مثلت حروبُ المسلمينَ فى بلادِ الغالِ ، مواصلةَ حركةِ الفتحِ وجهادِ اعداءِ الإسلامِ ونشرِ الدينِ القويمِ ، بين مَنْ لم يملْهم نورُ الإسلامِ ، ولم تطأْ ارضَهم اقدامُ الفاتحينَ .

وخرجنا من تلك الدراسةِ ، بنجاحِ المسلمينَ فى إخمادِ تمردِ الصغدِ فيما وراءِ النهرِ ، وإعادةِ السيادةِ الاسلاميةِ على تلك البلادِ . والحفاظ على مكتسباتِ الفاتحينَ السابقينَ فيها. غيرَ انَّ المسلمين قد فقدوا بعدَ عهدِ يزيدَ كثيرا من فتوحاتِهم فيما وراءَ النهرِ بعد انْ ثَبَّتَ سعيدُ الحرشيّ اقدامَهم فيها من جديد،فى خلافةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ . إذ لم يستطعْ ولاةُ خراسانَ فى زمنِ هشامٍ،الحفاظَ على تلك المكتسباتِ ، حتى لم يبقَ فى ايديهم سنة ١١١هـ/٧٢٩م ، من منطقةِ ماوراءَ النهرِ سوى سمرقندَ وبخارى وماحولَها .

كما نجحَ الجراحُ الحكميُّ عاملُ يزيدَ على ارمينيةَ في صدِّ الخزرِ عن ارمينيةَ ، ومطاردتِهم حتى بلادِهم ، وإنزالِ الهزيمةِ بهم . غيرَ انَّهم عاودوا غزوَ ارمينيةَ واذربيجانَ زمنَ هشامٍ ، واستمرَ صراعُ المسلمينَ معهم ، الذين كانوا في دورِ المُدافعِ احيانا ، وتعرضوا لمحنٍ شديدةٍ ، كانكسارِهم امامَ الخزرِ (سنة ١١٢هـ)،ذلك الانكسارُ الذى استُشهِدَ فيه الجراحُ الحكميُّ .

وتوصلنا من دراسةِ الفتوحِ في أرضِ الرومِ ، بتحقيقِ عددٍ من الانتصاراتِ والفتوحِ عن طريقِ الصوائفِ والشواتي في تنظيمِها الجديدِ ، فقد فتحت المخاضةَ ، ودبسة ، وسسره وقيصريةَ ، وقونيةَ ، وكمخَ . وإلى جانبِ ذلك ظلت الحدودُ مع الرومِ مصانةً ، وأُشغِلَ العدوُ بالدفاعِ عن نفسِه ، بينما ظل زمامُ المبادرةِ بايدى المسلمين . كما واصلوا الغزوَ البحريَّ عن طريقِ اسطولِ افريقيةَ ، للجزرِ الروميةِ في وسطِ وغربِ البحرِ المتوسطِ ، حيثُ غزوا صقليةَ ، وسردانيةُ ، وكورسيكا . فحافظوا باسلوبِهم الهجوميِّ هذا ، على السواحلِ الإسلاميةِ في افريقيةَ ، ومع انَّ غزواتِهم قد اتسمت بالغاراتِ السريعةِ الخاطفةِ التي لم تسعَّ لفتحٍ دائمٍ وتامٍ لتلك الجزرِ ، إلا انَّها كانت مجالا تدريبيا للقوةِ البحريةِ الناشئةِ في إفريقيةَ ، وتهديدا للقواعدِ البحريةِ البيزنطيةِ،المتمثلةِ في جزرِ وسطِ وغربِ البحرِ الابيضِ المتوسطِ ، خصوصا صقليةَ ، واستكشافا لفتوحاتٍ اسلاميةٍ لهذه الجزرِ ، وهو ماتاخر لمدةِ قرنٍ من الزمانِ تقريبا ، حين قام الاغالبةُ بغزوِها اوائلَ القرنِ الثالثِ الهجريِّ .

وتوصلنا من دراسة الفتح في بلاد الغال ، إلى أنَّ حملةَ السمح بن مالكٍ على تلك البلاد قد تمت زمنَ يزيدَ بن عبد الملك ، وأنَّ المجاهدينَ المسلمينَ على أثرها ، تمكنوا من اتخاذ موطيء قدم لهم في تلك البلاد ، وهي مدينةُ أربونةَ ، التي أصبحت ثغرا إسلاميا فيما وراءَ جبال البرتات منذُ ذلك الحين ، وتكوين حكومةٍ إسلاميةٍ فيها ولما حولها في إقليم سبتمانيا وبروفانس . حيثُ تبينَ جديةُ الفتح في هذه الحملة ، ونيةُ البقاء والاستمرار ، وإنْ كان مقتلُ السمح في طولوشةَ،قد عَطَّلَ تحقيقَ تلك الغاية . كما تبين أنَّ فتوحات عنبسةَ بن سحيم في تلك البلاد قد تمَّ الإعدادُ لها في خلافة يزيدَ ، وجرت أحداثُها في خلافة هشام بن عبد الملك .

ومن النتائج الهامة في هذا الصدد ، بطلانُ ماقيلَ عن مخالفة سعيدٍ الحرشيِّ والسمح بن مالكٍ لأخلاقيات الإسلام وسماحة مبادئه في التعامل مع الأعداء .

ومن النتائج التي توصلنا إليها أنَّ يزيدَ لم ينقضْ كلَّ سياسات عمرَ بنَ عبد العزيز ، فلم يعزلْ جميعَ عماله ، ولم يلغِ كلَّ إجراءاته المالية ، والذي حدث هو مخالفتُه لعمرَ في بعض إجراءاته المالية ، لظنه أنَّها كانت ذاتَ أثرٍ سلبيٍّ على الدولة ، وأنَّها أدت إلى نقص موارد بيت المال . إذ لم يدركْ ماأدركَه عمرُ من حاجة الدولة للإصلاح ، ومالتلك الإجراءات المالية القديمة من آثارٍ سلبيةٍ على الدولة ، وإنْ بدت ذاتَ مردودٍ إيجابيٍّ . وتبين أنَّه عادَ إلى بعض سياسات أسلافه من خلفاء بني أميةَ قبلَ عمرَ ، باعتبارها في نظره أصلحَ وأجدى ، كإعادة ضرائبَ النيروز والمهرجان ، والضريبةَ التي فُرِضَتْ على

أهلِ اليمنِ . يؤكدُ ذلك أنَّه أبقى على ماكان ذا مردودٍ إيجابيٍّ على خزينةِ الدولةِ من إجراءاتِ عمرَ وسياساتِه ، كمنعِ بيعِ الأراضي الخراجيةِ . بينما أبقى على بعضِ إصلاحاتِ عمرَ ، كمتابعةِ عمرَ في إنقاصِ جزيةِ نصارى النجرانيةِ ، وإسقاطِ مازيدَ على أهلِ قبرصَ عما صولحوا عليه .

واتضح أنَّ يزيدا لم يكن محكوما بروحِ العصبيةِ في توجهاتِه وسياساتِه الادارية والماليةِ ، لذلك وجدناه يعتمدُ على المضريينَ واليمنيينَ ، والعربِ والموالي سواء ، بينما بدا لنا أنَّه تابعَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ في منعِ أهلِ الذمةِ من العملِ في دواوينِ الدولةِ . وقد اختار رجالَه من أهلِ الثقةِ والكفاءةِ والمكانةِ ، واتخذَ موقفا سليما فيمن خرج عن ذلك ، فقد عزلَ ابنَ الضحاكِ عن المدينةِ عندما بدا له أنَّه تجاوزَ حدودَه واستغلَّ سلطانَه في أغراضِه الشخصيةِ ، كما كان مرنا واقعيا في موقفِه من البربرِ عندما قتلوا يزيدَ بنِ أبي مسلمٍ وأنكرَ ماصنَعه وقال : إني لم أرضَ ماصنعَ يزيدُ بنُ أبي مسلم ، وأقر من ولوه أمرَهم .

ومما وصلنا إليه ، اتخاذُ يزيدَ سياساتٍ ماليةٍ متشددةٍ وغيرِ عادلةٍ ، وبالأخصِ مع الموالي وأهلِ الذمةِ ، فقد اشتدَّ في الخراجِ ، حيثُ وضع الخراجَ على الكنائسِ ، وأملاكِ الأساقفةِ ، ويرجح إعادته فرضَ الجزيةِ على الرهبانِ ، كما حَرَمَ الموالي العطاءَ ، وأعادَ فرضَ الضرائبِ غيرِ الشرعيةِ ، على العربِ والموالي وأهلِ الذمةِ ، ويحتملُ مقتضى بعضِ النصوصِ إعادتَه فرضِ الجزيةِ على بعض مَن أسلم ، غيرَ أنَّه لانصَّ صريحٌ بذلك . وإذا ماصحت تلك الإشاراتُ ، فإنَّ فرضَها قد اقتصرَ على المناطقِ والأقاليم

الشرقيةِ من الدولةِ الإسلاميةِ ، تلك الأقاليمُ التى فرضت الجزيةَ على من أسلم فيها ، لأولِ مرةٍ على يدِ الحجاجِ بن يوسفَ الثقفيّ .

ومن أهمِ النتائجِ التى توصلنا إليها فى هذا الصددِ ، أنّ فرضَ الجزيةِ على من اسلم منذُ اتخذ ذلك الحجاجُ الثقفيُّ ، لم يعمم على كلّ الأقاليمِ الإسلاميةِ كما اعتقد كثيرٌ من الباحثين ، واقتصرَ على حدودِ ولايتِه ، بل على اهلِ القرى والرساتيقِ ومناطقِ الأطرافِ ، اما من سكن الأمصارَ من الموالى فإنّ الدلائلَ تشيرُ على عدمِ تطبيقِ ذلك عليهم . كما اتضح أنّ فرضَها على من اسلم فى أقاليمِ الأطرافِ ، قد تم فى كثيرٍ من الأحيانِ عن طريقِ الأمراءِ المحليينَ (الدهاقين) ، الذين ترك لهم امرَ جمعِ الأموالِ المفروضةِ على اقوامِهم وتقديمِها لبيتِ المالِ ، فكانوا يخففون عمن بقى منهم على دينِه ، ويبقونها على من اسلم منهم ، ويثقلون عليهم فى الخراجِ .

وتبين لنا أنّ يزيدا قد اتخذَ بعضَ الإصلاحاتِ والتنظيماتِ الإداريةِ والماليةِ ، بهدفِ الإصلاحِ والضبطِ وزيادةِ مواردِ الدولةِ ، فاهتم بطريقِ الركبِ العراقيِّ من الكوفةِ إلى مكةَ ، وبناءِ قنطرةِ الكوفةِ ، وبناءِ مدينةِ اللاذقيةِ أو إتمامِه ، وشحنِها ، كما وُضِعَ فى عهدِه الديوانُ الرابعُ لمصرَ ، وعمل على دمجِ الإداراتِ المحليةِ فى الحكومةِ الإسلاميةِ ، كما حدث فى خراسانَ عندما تولى مسلمُ بنُ سعيدٍ الكلابيُّ عاملُ يزيدَ عليها ، تعيين مرزبانَ مروَ من قِبَلِه ، واتم فى عهدِه تنظيمَ الأمورِ الماليةِ فى الأندلسِ ، ومسحَ المواد وجودةَ العملةِ ، وقُومَتِ المكاييلُ وضُبِطَتْ ، وحورب الفسادُ الإداريُّ والماليُّ .

غيرَ أنَّ يزيدَ لم يدركْ أنَّ توسعَ الدولةِ ، واصطدامَ الفتوحِ الإسلاميةِ بقوىً كبرى ، وتعددَ الجبهاتِ ، قد أدى إلى فتورِ الفتوحاتِ فيما وراءَ الحدودِ ، وبالتالى انقطاعِ مواردَ ماليةٍ هامةٍ ، مما زاد من أعباءِ الدولةِ وتفاقمِ مشاكلِها ، ولعلَّ ذلك ماحداه إلى اتخاذِ بعضِ الإجراءاتِ الماليةِ المتشددةِ لتعويضِ ذلك النقصِ وتوفيرِ مايلبى حاجاتِ الدولةِ ، وكان الأولى أن يدركَ حاجةَ الدولةِ إلى مشاريعَ إنتاجيةٍ ثابتةٍ ، وإصلاحاتٍ داخليةٍ بديلةٍ .

ومع كلِّ ذلك فإنَّ الخليفةَ يزيدَ قد أدارَ دولتَه بما يحفظُ عليها كيانَها وسلطانَها داخليا وخارجيا ، واتخذ من السياساتِ الإداريةِ والماليةِ ماساعدَه على النجاحِ فى ذلك . لكنَّه لم يكن الرجلَ الذى تنتظرُه الدولةُ فى تلك المرحلةِ من عمرِها .

وأخيرا وجدنا الدولةَ الأمويةَ فى عهدِ الخليفةِ يزيدَ ، قد عاشت حياةً علميةً مزدهرةً متطورةً ، وبالأخصِ فى العلومِ الدينيةِ من قراءاتٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ ، والأدبِ شعرِه ونثرِه والكتابةِ التاريخيةِ ، ولمسنا من هذه الدراسةِ أنَّ عهدَ الخليفةِ يزيدَ مع قِصَرِه زمنيا ، إلاَّ أنَّه زخرَ بثلةٍ من العلماءِ والأدباءِ والمؤرخينَ ، نهضوا بالحركةِ العلميةِ وأثروا هذه العلومَ بجهودِهم وعطائِهم ونتاجِهم ، وكان لهم دورٌ مُمَيَّزٌ فى خدمةِ هذه العلومِ فى تلك المرحلةِ من عمرِها . ولقد كانت العلومُ فى تلك الفترةِ تمرُّ بالمرحلةِ الثانيةِ من عمرِها ، وهى مرحلةُ الجمعِ والتأليفِ المنفردِ المتميِّزِ لكلِّ علمٍ عن الآخرِ فى كتبٍ دونَ تبويبٍ وترتيبٍ .

واتضح من هذه الدراسةِ أنَّ الحياةَ العلميةَ فى الدولةِ الإسلاميةِ قد نمت من تلقاءِ نفسِها وعلى أيدى رجالِها ، مدفوعةً بحثِ الإسلامِ عليها ، وعكوفِ المسلمين على النهولِ من معينِها ، وبما توفرَ من أسبابِ التطورِ والنماءِ .

كما تبين قلةُ اهتمامِ الخليفةِ يزيدَ بها ، إلا ماكان من رعايتهِ للأدبِ ورجالِه وخصوصا الشعراءَ . غير أنَّ ذلك لم يعقِ الحركةَ العلميةَ عن مواصلةِ التطورِ ، واستمرت فى النموِ بشكلٍ طبيعيٍّ .

وختاما نسدلُ الستارَ على عهدِ الخليفةِ يزيدَ ، وقد رأيناه قد انتهى والدولةُ الأمويةُ لازالت قويةً مُهابةً مصانةً ، مقاتلةً فى سبيلِ الله لامقاتَلَة ، متناميةَ التطورِ والتنظيمِ إداريا وماليا وعلميا . مما يعنى أنَّ عهدَه كان استمرارا لعصرِ القوةِ من حياةِ الدولةِ الأمويةِ ، وأنَّ الضعفَ والوهنَ لم يظهرْ على الدولةِ حتى ذلك الوقتِ ، وإنْ تَلَمَسَ معالمَه المتفحصُ، ورأى علاجَه المفكرُ ، وحاول اصلاحَه المصلحُ .

وهكذا كان عهدُ الخليفةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ كما قدمناه فى هذه الدراسةِ ، لاكما صُوِّرَ مشوها فى كثيرٍ من المصادرِ والمراجعِ .

# ثبت المصادر والمراجع والبحوث

# (أ) المصادر المطبوعة والمخطوطة

(١) ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) : الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢) الاربلي (ت ٧١٧هـ) : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تصحيح مكي السيد هاشم ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(٣) الأزدي (ت ٣٣٤هـ) : تاريخ الموصل ، تحقيق علي حبيبة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

(٤) الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) : كتاب الأغاني ، طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة .

(٥) ابن أعثم (ت ٣١٤هـ) : الفتوح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(٦) ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) :كتاب الإقناع في القراءات السبع ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، طبعة جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ

(٧) البلاذري (ت ٢٧٩هـ) : انساب الأشراف ، الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩م ، والجزء الرابع القسم الثاني ، باريس ١٩٣٨م ، والجزء الخامس ، مكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٣٦م .

(٨) البلاذري : انساب الاشراف ، الجزء الثالث ، مكروفيلم مصور عن مكتبة الخزانة الملكية العامة بالرباط بالمغرب ، برقم ٢٥١٨ ، مركز البحث العلمي ، جامعة ام القرى ، بمكة ، تاريخ ، رقم ١٨٥٨ (مخطوط) .

(٩) = = : فتوح البلدان ، راجعه وعلق عليه رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(١٠) ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة .

(١١) الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بمصر ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٢) ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) : النشر في القراءات العشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

(١٣) الجهشياري (ت ٣٣١هـ) : كتاب الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، ابراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م .

(١٤) ابـن الجـوزى (ت ٥٩٧هـ) : سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد ، ضبطه وشرحه وعلق عليه الأستاذ زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(١٥) ابـن حبيب (ت ٢٤٥هـ) : المحبر ، عناية وتصحيح ايلزه شتيتر ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٦١هـ .

(١٦) ابـن حجر (ت ٨٥٢هـ) : الاصابة فى تمييز الصحابة ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ .

(١٧) = = كتاب تهذيب التهذيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(١٨) الحميدى (ت ٤٨٨هـ) : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

(١٩) ابو حنيفة الدينورى (ت ٢٨٢هـ) : الأخبار الطوال ، دار السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٠هـ .

(٢٠) الخشنى (ت ٣٦١هـ) : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

(٢١) ابـن خلدون (ت ٨٠٨هـ) : تاريخ ابن خلدون "العبر" ، المكتبة التجارية ، مصر ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

(٢٢) ابـن خلكان (ت ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

(٢٣) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) : تاريخ خليفة ابن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمرى ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢٤) الدباغ (ت ٦٩٦هـ) : معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تصحيح وتعليق ابراهيم شبوح ، مكتبة الخانجي ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م .

(٢٥) ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ، تحقيق سعيد عاشور ، مراجعة احمد السيد دراج ، مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

(٢٦) ابن ابى دينار القيروانى (كان حيا ١١١٠هـ) : المؤنس فى اخبار افريقيا وتونس ، تحقيق محمد شمام ، نشر المكتبة العتيقة ، الطبعة الثالثة .

(٢٧) الذهبى (ت ٧٤٨هـ) : أسماء الذين راموا الخلافة ، نشر صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨م /١٣٩٨هـ .

(٢٨) = = : تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، مطبعة السعادة ، نشره مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ .

(٢٩) الذهبى : كتاب دول الاسلام ، مطبعة دائرة المعارف النظامية حيدر اباد ، الدكن ، الطبعة الأولى ، ١٣٣٧هـ .

(٣٠) = = :سير اعلام النبلاء ، اشرف على تحقيقه وخرج احاديثه شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(٣١) = = :العبر فى خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت، الطبعة ١٩٦٠م .

(٣٢) ابو زرعة (ت ٢٨١هـ) : تاريخ ابى زرعة الدمشقى ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجانى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، بدمشق ، ومطبعة المفيد الجديدة بدمشق ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٣٣) ساويرس بن المقفع (كان يعيش فى القرن الرابع الهجرى) كتاب سير الآباء البطاركة ، باريس ، ١٩٠٣م

(٣٤) ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) : الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٣٥) = = :الطبقات الكبرى ، القسم المتمم ، دراسة وتاريخ زياد محمد منصور ، المملكة العربية السعودية ، الجامعة الاسلامية ، المدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣٦) ابن سلام (ت ٢٣١هـ) : طبقات فحول الشعراء ، قراه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ، المؤسسة السعودية بمصر ، القاهرة .

(٣٧) السيوطي (ت ٩١١هـ) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،القاهرة .
(٣٨) الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) : الملل والنحل ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل ، مطبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
(٣٩) الشيرازي (ت ٤٧٦هـ) : طبقات الفقهاء ، تحقيق احسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
(٤٠) الطبري (ت ٣١٠هـ) : تاريخ الامم والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ، بيروت، لبنان .
(٤١) ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ) : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
(٤٢) الضبي (ت ٥٩٩هـ) : بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس علمائها وامرائها وشعرائها وذوي النباهة فيها من دخل اليها وخرج عنها ، طبع بمطبعة روخس ، مدينة مجريط ، ١٨٨٤م .
(٤٣) ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) : فتوح مصر واخبارها ، تقديم وتحقيق محمد صبيح ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ، القاهرة ، وطبعة ليدن ، ١٩٢٠م .
(٤٤) عبد الله بن محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ) : تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد مطيع الحافظ ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٤٥) ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) : العقد الفريد ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(٤٦) ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ) : تاريخ مختصر الدول ، دار المسيرة ، بيروت .

(٤٧) ابن عذارى (ت ٦٩٥هـ) : البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، تحقيق ج.س.كولان و ا.ليفى بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، وليدن ، ١٩٥١م .

(٤٨) ابو العرب (ت ٣٣٣هـ) : كتاب المحن ، تحقيق يحيى وهيب الجبورى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٤٩) ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) : تاريخ مدينة دمشق ، مجلد (١)، (٢) ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م .

(٥٠) = = :تاريخ دمشق ، صورة من نسخة المخطوط ، بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، والقاهرة ، ومراكش ، واستانبول ، فهرست الشيخ محمد ابن رزق بن الطرهونى ، الناشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧هـ (مخطوط).

(٥١) ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٥٢) ابن العمرانى (ت ٥٨٠هـ) : الانباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائى ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

(٥٣) ابو الفدا (ت ٧٣٢هـ) : المختصر فى أخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

(٥٤) ابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦هـ) : عيون الاخبار ، طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ، وطبعة دار الكتاب العربى ، بيروت .

(٥٥) = = :الامامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزينى دار المعرفة ، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .

(٥٦) = = :المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ، والطبعة الرابعة .

(٥٧) قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ) : الخراج وصناعة الكتابة ، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدى ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١م .

(٥٨) القرمانى (ت ١٠١٩هـ) : اخبار الدول وآثار الاول ، بقلم البغدادى محمد حدادنى ، طبعة بغداد ١٢٨٢هـ .

(٥٩) القلقشندى (ت ٨٢٠هـ) : مآثر الانافة فى معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م .

(٦٠) ابن القوطية (ت ٣٦٧هـ) : تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، الناشرون دار الكتاب المصرى القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦١) الكبسى (ت ١٣٠٨هـ) : اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمانية ، مخطوط مكتبة كورسنى ، ايطاليا رقم ٣٦٢ مكروفيلم ، مركز البحث العلمى جامعة ام القرى ، رقم ١١٧٠ ، تاريخ . (مخطوط) .

(٦٢) الكتبى (ت ٧٦٤هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(٦٣) ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٥١هـ/١٩٣٣م . وطبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٦٤) الكندى (ت ٣٥٠هـ) : كتاب الولاه وكتاب القضاه ، تهذيب وتصحيح رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٠٨م .

(٦٥) الماوردى (ت ٤٥٠هـ) : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ، دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

(٦٦) المراكشى (ت ٦٤٧هـ) : المعجب فى تلخيص اخبار المغرب، تقديم ممدوح حقى ، دار الكتاب ،الدار البيضاء . بيروت .

(٦٧) المسعودى (ت ٣٤٦هـ) : التنبيه والاشراف ، دار صعب ، بيروت .

(٦٨) = = :مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

(٦٩) المصعب الزبيرى (ت ٢٣٦هـ) : كتاب نسب قريش ، عنى بنشره لاول مرة وتصحيحه والتعليق عليه ا.ليفى بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثالثة .

(٧٠) المقدسى (ت ٣٥٥هـ) : كتاب البدء والتاريخ ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩١٩م .

(٧١) المقرى (ت ١٠٤١هـ) : نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد واحسان عباس ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٧٢) المقريزى (ت ٨٤٥هـ) : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مؤسسة الحلبى وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .

(٧٣) مكى بن ابى طالب (ت ٤٣٧هـ) : كتاب التبصرة فى القراءات السبع ، تحقيق المقرىء محمد غوث الندوى ، نشر وتوزيع الدار السلفية ، بومباى ، الهند ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٧٤) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها ، تحقيق ابراهيم الابيارى ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٧٥) مؤلف مجهول : العيون والحدائق فى اخبار الحقائق ، ويليه تجارب الامم لمسكويه ، مكتبة المثنى ، بغداد .

(٧٦) الناصرى (ت ١٣١٥هـ) : الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق ولديه جعفر ومحمد الناصرى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤م .

(٧٧) النباهى (ت قبل ٧٩٣هـ) : تاريخ قضاة الاندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

(٧٨) الواقدى (ت ٢٠٧هـ) : فتوح الشام ، دار الجيل ، بيروت .

(٧٩) ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ) : تتمة المختصر فى تاريخ البشر (تاريخ ابن الوردى) ، تحقيق احمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان الطبعة الاولى ، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م .

(٨٠) وكيع (ت ٣٠٦هـ) : اخبار القضاه ، صححه عبد العزيز مصطفى المراغى ، المكتبة التجارية ، مصر مطبعة الاستقامة الطبعة الاولى ، ١٣٦٦هـ .

(٨١) اليافعي (ت ٧٦٨هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

(٨٢) ياقوت : معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٨٣) يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ) : غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق وتقديم سعيد عبد الفتاح عاشور دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٨٤) اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) : تاريخ اليعقوبي طبعة دار بيروت ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(٨٥) = = :مشاكلة الناس لزمانهم ، تحقيق وليم ملورد، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٢م .

(٨٦) ابو يوسف (ت ١٨٢هـ) : كتاب الخراج ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة .

# (ب) المراجع العربية والمعربة والبحوث

(١) ابراهيم احمد العدوى : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ،دار الجيل ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

(٢) ابراهيم بيضون : الدولة العربية فى اسبانيا ، من الفتح الى سقوط الخلافة (٩٢ ـ ٤٢٢هـ) (٧١١-١٠٣١م) دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

(٣) = = :ملامح التيارات السياسية فى القرن الاول الهجرى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩م .

(٤) ابراهيم على طرخان : المسلمون فى اوروبا فى العصور الوسطى ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

(٥) ابكار السقاف : اسرائيل وعقيدة الارض الموعودة ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧م .

(٦) احسان عباس : ديوان كثير عزة ، جمع وشرح ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

(٧) احسان النص : العصبية القبلية واثرها فى الشعر الاموى، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م .

(٨) احمد امين : فجر الاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة العاشرة ، ١٩٦٥م .

(٩) احمد تيمور : التصوير عند العرب ، اخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات زكى محمد حسن،

القاهرة مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٢م .

(١٠) احمد السيد دراج : صناعة الكتابة وتطورها فى العصور الاسلامية ، سلسلة دعوة الحق ، العدد الثامن ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ ، ذو القعدة .

(١١) = = عبدالرحمن الغافقى ، بحث ، رسالة المسجد، العدد الرابع ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٢) احمد عبد الله خياط : الاقطاع فى الدولة الاسلامية حتى نهاية العصر العباسى الأول ، ماجستير فى التاريخ الاسلامى ، مقدمة لكلية الشريعة ، قسم التاريخ الاسلامى ، جامعة الملك عبد العزيز ، فرع مكة المكرمة ، ١٤٠٠ — ١٤٠١هـ/١٩٨٠ — ١٩٨١م .

(١٣) احمد كمال زكى : الحياة الأدبية فى البصرة الى نهاية القرن الثانى الهجرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م .

(١٤) احمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية .

(١٥) اديب السيد : ارمينية فى التاريخ العربى ، المطبعة الحديثة ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .

(١٦) ارمينيوس فامبرى : تاريخ بخارى ، ترجمة احمد محمود الساداتى ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

(١٧) اسد رستم : كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى ، منشورات المكتبة البولسية ، لبنان ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨م .

(١٨) اومان : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب مصطفى طه بدر، الناشر دار الفكر العربى ، ١٩٥٣م .

(١٩) بروكلمان : تاريخ الادب العربى ، نقله الى العربية عبد الحليم النجار (الثلاثة الاجزاء الاولى) والسيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب (الثلاثة الاجزاء الاخيرة ) ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة .

(٢٠) د.ر.بلاشير : تاريخ الادب العربى ، ترجمة ابراهيم الكيلانى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٢١) ا.س.ترتون : اهل الذمة فى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن حبشى ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى ، مطبعة الاعتماد بمصر .

(٢٢) توفيق سلطان اليوزبكى : تاريخ اهل الذمة فى العراق (١٢ - ٢٤٧هـ) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢٣) توماس ارنولد : الدعوة الى الاسلام ، ترجمة وتعليق حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين واسماعيل النجراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠م .

(٢٤) ثابت اسماعيل الراوى : العراق فى العصر الأموى ، من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، منشورات مكتبة الأندلس ، بغداد ، الطبعة الثانية ، طبع بمطابع النجف الاشرف .

(٢٥) ثريا حافظ : الحياة الاقتصادية فى بلاد الشام فى العصر الأموى رسالة دكتوراه ، مقدمة لقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، كلية الشريعة ، جامعة أم القرى ، بمكة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

(٢٦) = = : الخراسانيون ، ودورهم السياسى فى العصر العباسى الأول ، الناشر تهامة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٢٧) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤م .

(٢٨) حسن احمد محمود : الاسلام فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

(٢٩) حسن ظاظا : ابحاث فى الفكر اليهودى ، مطبوعات دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

(٣٠) حسن على الشاذلى : المدخل للفقه الاسلامى ، تاريخ التشريع الاسلامى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٧م .

(٣١) حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٣٢) حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، دار المعارف ، القاهرة .

(٣٣) حسين محمد سليمان : رجال الادارة فى الدولة الاسلامية العربية ، دار الاصلاح ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، ١٤٠٤هـ .

(٣٤) حسين مؤنس : فجر الأندلس ،دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الأموية (٧١١ – ٧٥٦م) ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٩م.

(٣٥) حسين نصار : نشأة التدوين التاريخى عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مطبعة السعادة بمصر .

(٣٦) حورية عبده سلام : علاقات مصر ببلاد المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، ١٩٧٤م .

(٣٧) خالد جاسم الجنابى : تنظيمات الجيش العربى الاسلامى فى العصر الأموى ، دار الشئون الثقافية العامة ، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م .

(٣٨) خالد الصوفى : تاريخ العرب فى الأندلس ، الفتح وعصر الولاة (٩٢ – ١٣٨هـ) (٧١١ – ٧٥٦م) ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازى ، دار النجاح ، بيروت ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م .

(٣٩) خليل ابراهيم السامرائى : الثغر الأعلى الأندلس ، ودراسة فى أحواله السياسية (٩٥ – ٣١٦هـ/ ٧١٤ – ٩٢٨م) ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٦م

(٤٠) خليل داود الزرو : الحياة العلمية فى الشام فى القرنين الأول والثانى الهجرى ، دار الآفاق بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١م .

(٤١) خير الدين الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٦م .

(٤٢) داود سلوم : شعر نصيب بن رباح ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٧م .

(٤٣) راضى عبد الله عبد الحليم : دراسات فى تاريخ خراسان، الأندلس للاعلام والنشر ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، ١٩٨٧م .

(٤٤) رفعت فوزى عبد المطلب : توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجى ، بمصر ، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .

(٤٥) = = «صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه، تحقيق وتخريج وشرح ، الناشر مكتبة الخانجى بالقاهرة مطبعة المدنى ، المؤسسة السعودية بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

(٤٦) زكي شنودة : اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع التوراة كتابهم المقدس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

(٤٧) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، ملتزم الطبع والنشر ، دار الفكر العربي ،القاهرة .

(٤٨) سعد بن موسى الموسى : تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ، مكة ، ١٤٠٩هـ .

(٤٩) سهيل زكار : تاريخ العرب والاسلام ، منذ ماقبل المبعث وحتى سقوط بغداد ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

(٥٠) السيد احمد خليل : نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن ، الوكالة الشرقية للثقافة بالاسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م

(٥١) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، نقله الى العربية عفيف البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨١م .

(٥٢) السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

(٥٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الدولة الأموية ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م .

(٥٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م .

(٥٥) = = : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م

(٥٦) = = المغرب الكبير (العصر الاسلامى) ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م .

(٥٧) سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ، الناشر دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠م .

(٥٨) شاكر الفحام : الفرزدق ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٥٩) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ، دراسة فى تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله فى الاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣م .

(٦٠) شكرى فيصل : حركة الفتح الاسلامى فى القرن الاول ، دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الاسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٢م .

(٦١) شكرى فيصل : المجتمعات الاسلامية فى القرن الاول ، نشأتها ، مقدماتها ، تطورها اللغوى والادبى ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١م .

(٦٢) شكيب ارسلان : تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(٦٣) = = : الحلل السندسية فى الاخبار والآثار الاندلسية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٥٥هـ .

(٦٤) شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، الطبعة السادسة، ١٩٧١م .

(٦٥) صابر محمد دياب : ارمينية من الفتح الاسلامى الى مستهل القرن الخامس الهجرى ، دار النهضة الحديثة ، مصر ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(٦٦) = = : بلاد المغرب فى القرن الأول الهجرى ، مكتبة السلام العالمية ، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م .

(٦٧) = = : انتشار الاسلام وحركة الاندماج ببلاد المغرب فى عصر الولاه ، بحث فى مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى ، ص ٢٧٩-٣٠٨ ، العدد السادس ، عام ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ .

(٦٨) صالح باجيه : الاباضية بالجريد ، فى العصور الاسلامية الاولى ، دار ابو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، تونس ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢م .

(٦٩) صالح الحمارنة : المسيحية في ارض الشام في اوائل الحكم الاسلامي ، بحث ، ضمن مجموعة اعمال المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام (من القرن ٦-١٧م) ، المنعقد في الجامعة الاردنية ، نشر الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(٧٠) صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحه ، عرض ودراسة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٧١م .

(٧١) عادل سليمان جمال : شعر الاحوص الانصاري ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، القاهرة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(٧٢) عبد الرحمن عبد الكريم العاني : عمان في العصور الاسلامية الاولى ، ودورها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الاسلامية ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥م .

(٧٣) عبد الرحمن عبد الكريم النجم : البحرين في صدر الاسلام واثرها في حركة الخوارج ، رسالة ماجستير جامعة بغداد ، ١٩٧١م .

(٧٤) عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ - ٨٩٧هـ) (٧١١ - ١٤٩٢م) دار القلم ، دمشق ، بيروت دار القلم ، الكويت ، الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(٧٥) الشيخ عبد العزيز بن باز : الجواب المفيد في حكم التصوير ، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، الطبع والترجمة ، المطابع الأهلية للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .

(٧٦) = = : الفتاوى ، كتاب الدعوة ، سلسلة نصف سنوية تصدر عن مؤسسة الدعوة الاسلامية الصحفية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩هـ .

(٧٧) عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، دار المشرق بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣م

(٧٨) = = : العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام ، من القرن السادس الى القرن السابع عشر ، المنعقد في الجامعة الأردنية ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(٧٩) عبد العزيز السلومي : ديوان الجند ، نشأته وتطوره في الدولة الاسلامية حتى عصر المأمون ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .

(٨٠) عبد العزيز عبد الدايم : الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر ، مع دراسة عن فن القتال البحري في عصر سلاطين

المماليك ، تحقيق ودراسة رسالة دكتوراه ، مقدمة الى كلية الآداب ، جامعة القاهرة .

(٨١) عبد اللطيف عبد الرزاق العاني : ادارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .

(٨٢) عبد الله محمد السيف : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الاموي ، رسالة دكتوراه ، مطبوعة ، جامعة الرياض ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٨٣) عبد الله محمود شحاتة : القرآن والتفسير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٨٤) عبد الله مهدي الخطيب : الحكم الأموي في خراسان ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، دار التربية ، بغداد الطبعة الاولى ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(٨٥) عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

(٨٦) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، دار الفكر العربي ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م.

(٨٧) علي حسن عبد القادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٥م .

(٨٨) علي حسني الخربوطلي : الدولة العربية الاسلامية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م .
(٨٩) علي مصطفى الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ونشاة علم الكلام عند المسلمين ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .
(٩٠) علية عبد السميع الجنزوري : هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية في العصور الوسطى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
(٩١) عماد الدين خليل : حول انهيار الدولة الأموية دراسة مقارنة في سياسة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ) ص ٢٨٩-٣١٤ ، بحث بمجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي العدد الرابع ، ١٤٠١هـ .
(٩٢) = = : ملامح الانقلاب الاسلامي ، في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م .
(٩٣) عمر رضا كحالة : اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام مؤسسة الرسالة ، بيروت .
(٩٤) عمر العقيلي : خلافة معاوية بن ابي سفيان ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٩٥) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧م .

(٩٦) عمر ابو النصر : الأيام الأخيرة للدولة الأموية ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٢م .

(٩٧) عواد مجيد الأعظمي : الأمير مسلمة بن عبد الملك ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، بغداد ، ١٩٨٠م .

(٩٨) عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، عمان ، ١٩٧٨م .

(٩٩) عون الشريف قاسم : شعر البصرة فى العصر الأموى ، دراسة فى السياسة والاجتماع ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(١٠٠) فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، دار الفكر العربى .

(١٠١) فاسيلى فلاديميروفتش بارتولد : تركستان من الفتح العربى الى الغزو المغولى ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٠١) فاطمة عبد القادر رضوان : المغرب فى عصر الولاه الأمويين (٩٠ - ١٣٢هـ)، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤هـ .

(١٠٢) فالح حسين : الحياة الزراعية فى بلاد الشام فى العصر الأموى ، نشر بدعم من الجامعة الأردنية ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١٠٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .

(١٠٤) فرج محمد الهونى : النظم الادارية والمالية فى الدولة العربية الاسلامية ، منذ قيام حكومة الرسول بالمدينة حتى نهاية الدولة الأموية، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، بمطابع الثورة للطباعة والنشر ، بنغازى .

(١٠٥) الفرد بل : الفرق الاسلامية فى الشمال الافريقى من الفتح العربى حتى اليوم ، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوى ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازى ، ١٩٦٩م .

(١٠٦) فؤاد سيزكين : محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(١٠٧) فواز أحمد طوقان : الحائر فى العمارة الأموية الاسلامية ، بحث ضمن اعمال المؤتمر الدولى (الأول) لتاريخ بلاد الشام من القرن السادس الى القرن السابع عشر الميلادى ، المنعقد فى الجامعة الأردنية ، ١٩٧٤م ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت ، ١٩٧٤م .

(١٠٨) فوزى رفعت عبد المطلب : توثيق السنة فى القرن الثانى الهجرى اسسه واتجاهاته ، مكتبة الخانجى ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨١م .

(١٠٩) فوزى محمد عبده ساعاتي : انتشار الاسلام في بلاد السند والبنجاب حتى نهاية العصر الأموى (١٥ – ١٣٢هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١١٠) فوزية محمد عبد الحميد نوح : البحرية الاسلامية في بلاد المغرب في عهد الأغالبة (١٨٤ – ٢٩٦هـ)، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٤-١٤٠٥هـ .

(١١١) فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ، دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .

(١١٢) = = :تاريخ العرب ، الطبعة الثالثة ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٦١م .

(١١٣) كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١٤) ماجدة فيصل زكريا : عمر بن عبد العزيز وسياسته في رد المظالم ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١١٥) محمد ابراهيم جمعة : جرير ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

(١١٦) محمد أمين بدوى : دراسات في التربية والفكر في الاسلام خلال عصور الاسلام القوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١١٧) محمد امين صالح : دراسات اقتصادية فى تاريخ مصر الاسلامية ، عصر الولاه ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠م .

(١١٨) = = : العرب والاسلام ، من البعثة النبوية حتى نهاية الخلافة الأموية ، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ، ١٩٨٠م .

(١١٩) محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، دار الفكر العربى ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

(١٢٠) محمد حسين الذهبى : التفسير والمفسرون ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١٢١) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت ، ١٩٧٣م .

(١٢٢) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ التشريع الاسلامى ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة التاسعة، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

(١٢٣) محمد خليفة التونسى : الخطر اليهودى (بروتوكولات حكماء صهيون) ، الطبعة الرابعة .

(١٢٤) محمد ابو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، طبع ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية

والافتاء والدعوة والارشاد ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ .

(١٢٥) محمد السيد الوكيل : الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، السعودية ، جدة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٢٦) محمد شفيق غربال ومجموعة من الأساتذة المتخصصين : الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان للطبع والنشر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١٢٧) محمد صالحية : مؤدبو الخلفاء فى العصر الاموى ، بحث ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، تصدر عن جامعة الكويت ، العدد الثالث ، المجلد الاول ، صيف ١٩٨١م .

(١٢٨) محمد بن صامل العلياني السلمى : منهج كتابة التاريخ الاسلامى ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

(١٢٩) محمد ضياء الدين الريس : عبد الملك بن مروان والدولة الاموية ، مطابع سجل العرب ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩م .

(١٣٠) محمد الطيب النجار : الدولة الاموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، دار العلوم للطباعة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(١٣١) محمد الطيب النجار : الموالى فى العصر الأموى ، دار النيل للطباعة ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م .

(١٣٢) محمد عبد الحى شعبان : الثورة العباسية ، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسى ، دار الدراسات الخليجية ، أبوظبى ، ١٩٧٧م .

(١٣٣) = = : صدر الاسلام والدولة الأموية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٣م .

(١٣٤) محمد عبد القادر احمد : دراسات فى ادب ونصوص العصر الأموى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(١٣٥) محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام فى الأندلس ، من الفتح الى بداية عهد الناصر ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ .

(١٣٦) محمد عبد المنعم خفاجى : تاريخ الأدب فى العصر الأموى مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

(١٣٧) = = : الحياة الأدبية عصر بنى امية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م .

(١٣٨) محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ، مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

(١٣٩) محمد على نصر الله : تطور نظام ملكية الأراضى فى منطقة السواد حتى نهاية العصر الأموى ، ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٧٢م .

(١٤٠) محمد كرد على : الادارة الاسلامية فى عز العرب ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٣٥٢هـ/١٩٣٢م .

(١٤١) محمد محمد زيتون : المسلمون فى المغرب والأندلس ، دار الوفاء للطباعة ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(١٤٢) محمد مختار باشا : كتاب التوفقيات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنجية والقبطية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

(١٤٣) محمد يوسف موسى : تاريخ الفقه الاسلامى ، دار المعرفة، القاهرة .

(١٤٤) محمود اسماعيل عبد الرزاق : الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م .

(١٤٥) محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

(١٤٦) ممدوح حقى : الفرزدق ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة .

(١٤٧) مؤلف مجهول : الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، الدار القومية للطباعة والنشر .

(١٤٨) ناجي حسن : القبائل العربية في المشرق ، خلال العصر الأموي ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٠م .

(١٤٩) نادية حسني صقر : سياسة عمر بن عبد العزيز تجاه اهل الذمة ، مكتبة الفيصلية ، مكة ، ١٩٨٤م .

(١٥٠) = = :الطائف في العصر الجاهلي وصدر الاسلام ، دار الشروق ، جدة ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٥١) ناصر بن سعد الرشيد : شعر يزيد بن الطثرية ، طبع دار مكة للطباعة والنشر .

(١٥٢) نافع توفيق العبود : آل المهلب بن ابي صفرة ، ودورهم في التاريخ حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦م .

(١٥٣) نايف محمود معروف : الخوارج في العصر الاموي ، نشاتهم ، تاريخهم ، عقائدهم ، ادبهم ،دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٧م /١٣٩٧هـ .

(١٥٤) نبيه عاقل : تاريخ خلافة بني امية ، دار الفكر ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(١٥٥) نجدة خماش : الشام في صدر الاسلام (من الفتح حتى سقوط خلافة بني امية ) ، رسالة دكتوراه ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم التاريخ .

(١٥٦) نظير حسان سعداوي : الدولة العربية الاسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

(١٥٧) الهادى حمودة الغزى : الشعر الأموى فى خراسان والبلاد الايرانية ، الدار التونسية للنشر ، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع ، الكويت ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

(١٥٨) هاشم اسماعيل الجاسم : دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية والعربية منذ الفتح العربى للشام حتى نهاية العصر العباسى الأول ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

(١٥٩) هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة وتعليق واضافة عبد الحميد العبادى ، سلسلة المعارف العامة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٤م .

(١٦٠) ج.م.هسى : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رافت عبد الحميد ، الناشر مكتبة سعيد رافت ، مؤسسة الوفاء للطباعة ، القاهرة .

(١٦١) هشام سليم أبو رميلة : نظم الحكم فى الأندلس فى عصر الخلافة ، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥م .

(١٦٢) هوروفتس : المغازى الأولى ومؤلفوها ، ترجمة حسين نصار ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م .

(١٦٣) وسام عبد العزيز فرج : دراسات فى تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية ، الامبراطورية البيزنطية من ٣٢٤ ـ ١٠٢٥م ، مطبعة مصنع اسكندرية الكراس ، ١٩٨٢م .

(١٦٤) وفيق الدقدوقي : الجندية فى عهد الدولة الاموية مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

(١٦٥) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، عصر الايمان ، الجزء الرابع عشر ، الادارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوى ، القاهرة .

(١٦٦) وليد الاعظمى : السيف اليمانى فى نحر الاصفهانى صاحب الاغانى ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(١٦٧) يوسف احمد حوالة : الحياة العلمية فى افريقية "المغرب الادنى" منذ عام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجرى (٩٠ ـ ٤٥٠هـ) ، رسالة دكتوراه ، جامعة ام القرى ، مكة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(١٦٨) يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الاسلامى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

(١٦٩) يوسف خليف : حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى الهجرى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م

(١٧٠) يوسف العش : الدولة الأموية والأحداث التى سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان ، دمشق .

(171) A.A.Vasilievs Iconoclastic Edict of the Caliph Oazid II,A.D.721 in Dumbarton Oaks papers, g, 10, Harvard University Press, Camnridge, Massachusetts, 1956 .

# الفهرست

# الفهرست

## الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك

## (١٠١ - ١٠٥هـ)